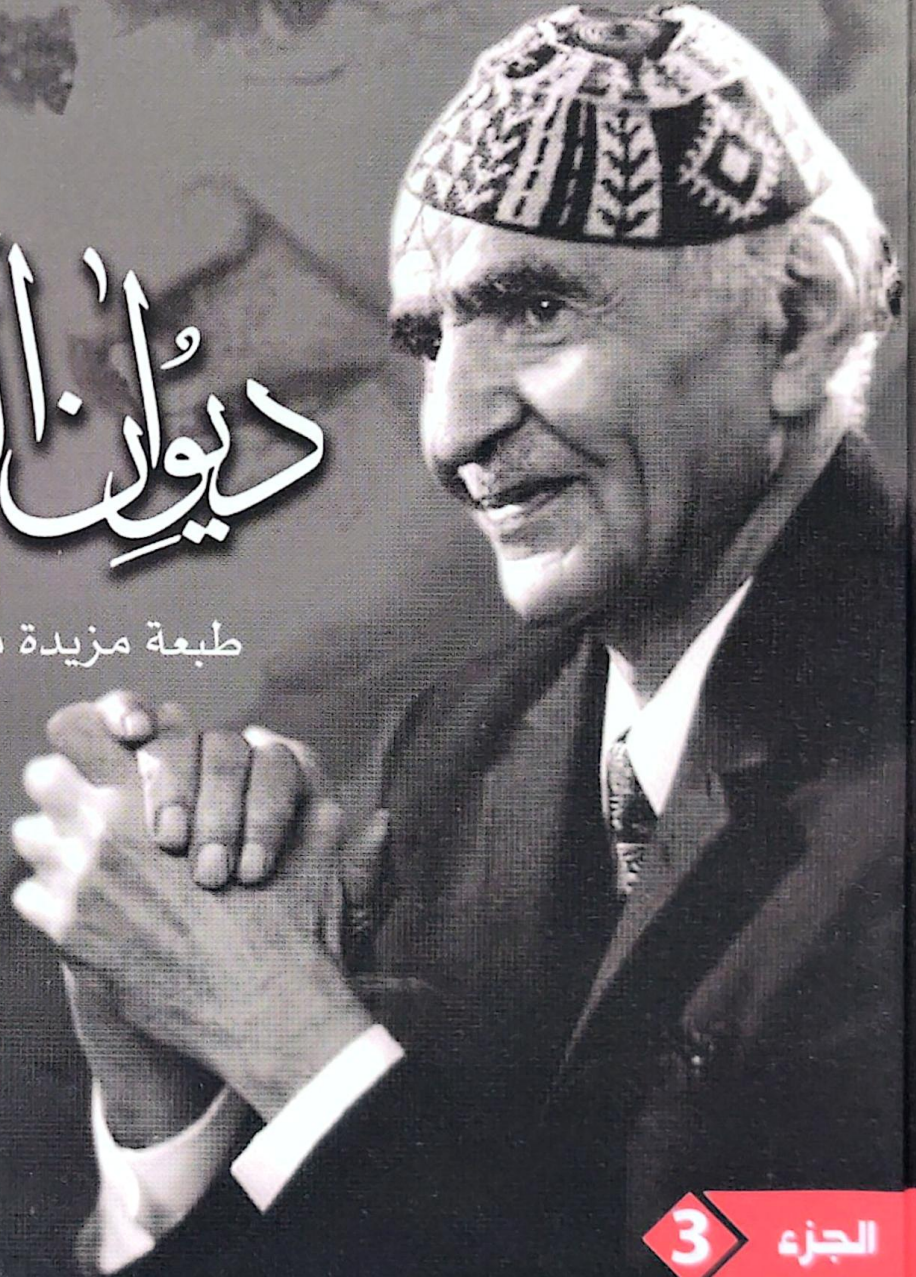




جمهورية العراق
وزارة الثقافة والسياحة والآثار
Ministry of Culture, Tourism and Antiquities - IRAQ

ديوان الجواهري

طبعة مزينة منقحة في ستة أجزاء



الجزء 3

ديوان الجواهري

دِيَوَانُ الْجَوَاهِرِيِّ

الجزء الثالث

ديوان الجواهري
طبعة مزيدة منقحة في ستة أجزاء
الجزء الثالث
تأليف: محمد مهدي الجواهري
موضوع الكتاب: شعر
بغداد - 2021

الطباعة الالكترونية والتصحيح والاخراج الفني: دار الشؤون الثقافية العامة

عدد الصفحات: 464 صفحة
الحجم: 17 × 24 cm

الرقم الدولي: ISBN 978-9922-641-23-2

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: 2874 لسنة 2020

وزارة الثقافة والسياحة والآثار
دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان: بغداد - الأعظمية - حي تونس - آفاق عربية

البريد الإلكتروني: info@darculture.com

الموقع الإلكتروني: www.darculture.com



دار الشؤون الثقافية العامة
The General House of Cultural Affairs

All right reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، من دون إذن خطي سابق من الناشر.

محمد مهدي الجواهري

ديوان الجواهري

طبعة مزيدة منقحة في ستة أجزاء

الجزء الثالث

لجنة مراجعة الديوان

د. حسن ناظم

د. سعيد الزبيدي

د. سعيد عدنان

د. رهبة أسودي حسين

د. نادية العزاوي

بغداد - 2021



٥

ديوان الجواهري

ستالينغراد

(الانتصار المجد)

٧

ديوان الجواهري

نَضَّتِ الرُّوحَ وَهَزَّتْهَا لَوَاءَ وَكَسَّتْهُ وَاکْتَسَتْ مِنْهُ الدَّمَاءَ
وَاسْتَمَدَّتْ مِنْ إِلَهِ الْحَقْلِ وَالْبَيْتِ وَالْمَصْنَعِ عَزْماً وَمَضَّاءَ
رَمَتِ الزَّرْعَ بَعَيْنِ أَثْلَجِ الدَّمْعِ فِيهَا ضَرَمَ الْحِقْدِ اجْتَوَاءَ
أَعَجَلْتُ عَنْهُ فَالْتِ قَسْماً أَنْ سَتْسِقِيهِ دَمَ الْأَعْدَاءِ مَاءَ
وَمَشْتِ فِي زَحْمَةِ الْمَوْتِ عَلَى قَدَمٍ لَمْ تَحْشَ مَيْلاً وَالتَّوَاءَ
أَقْسَمْتُ بِاسْمِ عَظِيمٍ كَرُمْتُ بِاسْمِهِ أَنْ لَا تُهَيِّنَ الْعِظْمَاءَ

يَا "سَتَالِينُ" وَمَا أَعْظَمَهَا فِي التَّهْجِي أَحْرُفَاتُ أَبِي الْهَجَاءِ
أَحْرَفٌ يَسْتَمَطِّرُ الْكُونَ بِهَا انْعِتَاقاً وَازْدَهَاراً وَإِخَاءَ
خَالِقُ الْأُمَّةِ لَمْ يَمُنُّ وَلَمْ يَبْغِ - لَوْلَا أَرْجُ الزَّهْر - ثَنَاءَ
وَزَعِيمٌ شَعَّ فَيَمُنُّ حَوْلَهُ قَبَسٌ مِنْهُ فَكَانُوا الزَّعْمَاءَ
زَرَّ بُرْدِيهِ عَلَى ذِي مِرَّةٍ فَاضٍ إِشْفَاقاً وَبِأَسَاءَ وَعِنَاءَ^(١)
مَسَّهُ الظُّلْمُ فَعَادَى أَهْلَهُ وَامْتَرَى الْبُؤْسَ فَحَبَّ الْبُؤْسَاءَ
وَانْبَرَى كَالْغَيْمِ فِي مُضْجِرَةٍ فَسَقَى دَهْرًا، وَأَحْيَا، وَأَفَاءَ

(١) المِرَّة: القوة.

بورك الباني وعاشت أمةٌ وقتِ الباني حُقوقاً والبناء
قيل للعيشِ ففاضتُ أمناً وإلى الموتِ ففاضتُ شهداً
ومشى التاريخُ موزونَ الخطى ما انحنى ذُلاً ولا ضجَّ ادعاءً
هذه التربةُ لا ما سُمِّيت وطناً يُنبِتُ جوعاً وعراءً
وهي ذي الحفرةُ إذ طارت عجاجاً ألفُ نفسٍ معها طارت فداءً
وهو ذا العرضُ فهل تبغي وُقاةً مثلهم، أو مثلَ ذا تبغي وُقاةً

قف على "القفقاس" وانظر موكبَ المجدِ والعزّةِ يمشي خيلاً
وسلٍ (القوزاق) هل كان دماً لمعانُ السيفِ أم كان طلاءً
وجدَ الغادرُ من قسوتها ما رأى من جُثثِ القتلى عناءً^(١)
نفخت من ودجيتها أن رأته مُتطّى فارسها أمس خلاءً^(٢)
فهي والغیظُ مَرى أشداقها تعرِكُ اللُّجَمَ وتجتُرُ الغُشاءَ^(٣)
واحتواها رهجُ الحربِ فما تُبصرُ الأرضُ عتُواً وازدهاءً
من على صهوتها يمنحها شرفَ "الفارسِ" عزماءَ وفتاءً

(١) العتاق: جمع عتيق، الفرس النجيب.

(٢) الودجان: عرقان في العنق.

(٣) مَرى: من مَرى الضرع، أي احتلبه واستدرّه.

يا عروس "الفلح" والفلغام
صُبغ "الدون" دماءين هما
وجرت أمواجهُ حاملَةً
وعلى الجرفين "عظمان" هما
يا ابنةَ النهرين دومي شَبْحاً
للمُهينين عِقاباً و جَزاءً
كنتِ أسمى مَثلاً من ظَفْرِ
عُلبِ الغالبِ فيه وانثنى الطوقُ - كالحبل - على الطوق انثناءً
كنتِ رمزاً ألهَمَ الجيلَ الفداءَ وهدى الأعقابَ ما شاءت و شاء

حسبوا أمركِ ما قد عودوا
وابتداءً من حديدِ ودمِ
واستجاشوا فيلقَ الموتِ على
ومضوا فيما أرادوا نُطوَّةً
صَعَقَ الحربِ انقِاداً وانطفاءً
يُمَهِّرُ الفتحُ به ثم انتهاءً
ظمياً للدمِ منَّوه ارتواءً
أوشكَ اليأسُ بها يمحو الرجاءَ

أوجفَ الغربُ على وطأتها
وتلَوَّتْ جيرةُ طمّاحةٌ
حملت حاضرَها واثقةً
وانبرى التاريخُ في حيرتهِ
وسرت أنباءُ سُوءٍ تدعى
حُلُمٌ حلومٌ مؤنسٌ
طاف بالكونِ فأغفى أهله

وأما لكلكل الشرقِ فناء^(١)
أفناءً تتلقى أم بقاء؟
أنّ في مستقبلِ آتِ عزاء
أماماً يتخطى أم وراء
أنّ ريحاً تُنذر الدنيا وباء
مُوحشٌ سرّاً بما جاء وساء
تعساءً وفاقوا سعداء

فإذا العِزّةُ في عليائها
وإذا الأنقاصُ في كُربيتها
وإذا المنقُصُ من أحجارها
وإذا الطاغوتُ في أعراسه
أنتِ أملتِ على تاريخه
ومحوتِ العُجبَ من أسطاره
وصفعتِ الدنَّ في يافوخه

تتضرى فتدوسُ الكبرياء
تُفعمُ المكروبَ كالرّوضِ شذاء
لمحّ النجمِ تعالى فأضاء
يملاً الدنيا نحيباً وبكاء
طافحاً بالكبر ذلاً واختذاء
وملأتِ الصّلفَ المحضَ ازدراء
صفعةً لم تُبقِ كُمرّاً وانتشاء

(١) وجف: اضطرب.

حسبُ من ضاقت ثنايك به أنه يبغي - فلا يقوى - النجاء
وكفى المحتل هوناً أن يُرى الآسرون الغلبُ منه أسراء
نحنُ أهل الأرض لو نقوى وفاء لرفعناك على الأرضِ سماء
لجعلنا كل عين - مثلها كل قلب - تملأك اجتلاء

نعم ما أسدت يد أئمة كشفت عن وجهك الحُرَّ غطاء
عاصفٌ مرَّ فجلى وانجلي بدت الشمسُ به أبهى سناء
وضَّح الحق الذي طال خفاء وتولى زبْد الكذبِ جُفاء
وحَدَّ العدلُ شعوباً خلطاء عمروا الأرض وعاشوا خُلصاء
وجدوا في تربةٍ تجمعهم كل ما يُطلبُ في الخلدِ اشتها
ورأوا في السلمِ ديناً يقتضى ورأوا في الحربِ للدينِ اقتضاء
أترجى - أن تنجى وطناً من يد الموت - جنوداً فقراء
إنَّ للحربِ رجالاً ليتهم خبرونا أنَّ للحربِ نساء
وغيوراتِ أبى تاريخها أن تُرى دون الغيورين غناء
زانهما الطهرُ رُواء وارتمت في مثار النقعِ فازدادت رُواء
ذادت الأمُّ عن البيتِ وقاء وارتمى الطفلُ على الأمِّ افتداء

وتعزّت حين أخلت طُنْفاً
"أمّ غوركي" ليت عندي وحيّه
لو يعود اليوم حيّاً لرأى
بل ولولا أن غوركي أمّه
لم تصوّنه، أنها صانت فناء^(١)
لأوفي (بتّك) اليوم الثناء
مثلها ألفاً تهزُّ البُلغاء
مثل هذي لم يبرز النبغاء

يا "تولستوي" ولم تذهب سُدّي
يا ثريّاً وهبّ الناس الثراء
قُم تجذّم مالِكِي غلّتهم
هكذا (الفكرة) تزكو ثمراً
ثورة الفكر ولا طارت هباء
قُم ترّ الناس جميعاً أثرياء
من على عهدك كانوا الأجراء
إن زكّت غرساً، وإن طابت نساء

قد محصت القول حقاً وادّعاء
ووجدت الناس من جهلهم
استغلّوا فهم من يأسهم
فحملت "البعث" باليمنى لهم
كليم يخرقُ السمع سواء
لا يميزون نُغَاءً ورُغَاءً^(٢)
لا يكادون يعون الأنبياء
وعلى اليسرى هناء ورخاء

(١) الطنف: افريز الحائط أو ما أشرف من البناء خارجاً.

(٢) النغاء: صوت الشاة والرغاء للإبل.

وشجبت الرفق والرحمة من
ينشدون الناس أحراراً وهم
وكسوا كلبهم الخبز ومن
ووجدت الذئب في حالاته
قد يكون الكذب مفضوحاً هراء
ويكون الحق - ما بينهما -
نفر ليسوا بحق رُحماء
ملأوا البيت عبيداً وإماء
حولهم يلتحفُ الجمعُ العراء
رُبما رافقَ معزاةً وشاء^(١)
ويكون الصدقُ مدسوساً وباء
باطلاً، والطالحون الصُّلحاء

يا ابنة "النهرين" هذا نسبُ
بُعْدَ المرمى بما استهدفته
وارتمى الحسُّ على الحسِّ فما
ومن الظلم - الذي تأيينه -
عاطفاتٌ حوِّمٌ عاجت على
وهي ما كانت لتُدلي سيباً
من ولاءٍ لو تقبَّلتِ الولاء
واختذى السهمُ فقصرتِ عياء
يستطيعُ اللفظُ للوعي أداء
أن تسومي المعجزاتِ الشعراء^(٢)
أبحرِ الشعرِ فردَّتْها ظمَاء
لك، لولا أنَّها كانت براء

(١) الشاء: جمع شاة.

(٢) المعجزات: ما يعجز.

لم تُثْرَها نَزْوَةُ النَفْسِ، ولم
يَزْهَها العُجْبُ ولم تَنْبِضْ رِياء
جُلَّ ما يُسْعِفُنِي الشَّعْرُ به
أَنْ يَلْبِي "الفَمُّ" للقلْبِ نِداء

بغداد، عام ١٩٤٣

يوم الجيش الأحمر (في عيد تأسيسه)

ببلاد مُفدّاة وجيش مُظفّر
وفتح مُبين يقصُر الشعرُ دونهُ
وحراسُ حقِّ يرقبُ الكونُ كلُّهُ
إذا خَطروا فالبيضُ تنطفُ بالدمّ
وذكرى كأن الدهرَ في جريانه
"ستالين" يا لحنَ التخيلِ والمنى
ويا كوكباً في عالمٍ غمٍّ جوهُ
أردُ خُطّةً تُقدِرُ وتنجحُ فإننا
كأنّ بناتِ الفكرِ في كلِّ خُطّةٍ
حظايا تُرجي نظرةً منك أيها
وقائدُ جيشٍ في البلادِ مُوقرُ
وللنثرِ عَمّا يُعجزُ الشعرَ أقصرُ
مَصيراً على أيديهم يتقرّرُ
تحيّي خطاهم والجمجمُ تنشرُ
يقاسُ بها، والشمسُ منها تنورُ
تُغنيهِ أجيالُ، وترويه أعصُرُ
بلائِه يسترشُدُ المتحيرُ
عَرَفناكَ تُمضي ما تُريدُ وتقدِرُ
تُخَطُّ، ورأيي عبقرِيٌّ تُدبّرُ
تُريدُ، وأيّا تتقي وتُخَيّرُ

بغداد، عام ١٩٤٣

عالم الغد

١٩

ديوان الجواهري

عالم الغد: يارهين ضباب
من دُخانٍ ونفثةٍ وتُراب
وعجاج من المغاني الخراب
تحت أنقاضها وجوهٌ كوابي
من سُيوخٍ وصبيبةٍ وكعاب

هي إذ حشرجت ورقّت وجيبا
أودعت في الترابِ سرّاً رهيبا
وخيالاً للملهمين خصيبا
أمس هذا الضبابُ كان قلوبا

نابضاتٍ بنافحاتٍ الشباب
وهباتٍ من الأمان العذاب
وهي للكونِ بعد سوطِ عذاب
بجناحِ المروعِ المرتباب
حلقت كالسحابِ فوق السحاب

تمنح الشمس جذوةً واشتعالا
ومشت في الثرى تهزُّ الجبالا

يملاً الأرض غيظها زلزالا
يتحدى بثقله الأثقالا
فتقل الطغاة والأقيالا
والمهازيل في الحرير كسالى
عثرات تُعرقل الأجيالا
وبعوضاً على الدماء عيالا

تتهزى من ماجن لَعَابِ
يتلهى بكأسه والشُّرابِ
ساقطٍ فوق غيره كالذبابِ
ذاهلٍ عن دنو يوم الحسابِ
عَصَفَتْ بِالرُّؤوسِ والأذُنَابِ
من عبيدٍ وسادة أربابِ
ثمَّ قالت وأنفذت كالشهابِ
قال - بالرجم - وهو فصل الخطابِ
أثراني مطرودةً من إهابي
واللطافِ الخُلصانِ من أحبابي

ومَقَرِّي في وارفَاتِ الظَّلَالِ
خافَقَاتِ: بَرَقَّةٍ ودَلَالِ
والنميرِ المَرَقَرِقِ السَّلْسَالِ
والطيفِ المَعْرَسَاتِ حِيَالِي
والأحاديثِ ذوبَ سِحْرِ حَلَالِ

والأمانِي مثَلِ زَهْرِ الرَّوَابِي
بالصَّبَا تَسْتَجِمُّ لا بالتَّصَابِي
أثْرَانِي اطَّرَحْتُ مَالِي ومَابِي
ضَلَّةً في مَسَالِكِي كالسَّرَابِ

ومهاوي تشرُّدٍ واغترابِ
أثْرَانِي أصبحت مَحْضَ خَيَالِ

ويبانِ عَن فِكْرَةٍ ومِثَالِ
لأنمِي هذِي الوجوهَ القَباحَا
تُنذِرُ الكونَ كالوباءِ اجتياحَا
وأصوونَ الإقطَاعِ والأرباحَا
ولأسقي هَذَا الزنيمَ الوَقاحَا

من دم العامل المليء جراحا
ولأبقي الأجير والفلاحا
والنفوس التي تفيض صلاحا
والذكاء المنور الوضاحا

رهن ذل وخيفة وارتياب
وأسارى مقامير ومُرابي
وصريح في لؤمه ومُحابي
وقوانين لم تجيء بكتاب
من سماء الأخلاق والآداب

غير ماسن مجرمون وقاح
شرعوا الظلم سُنة وارتاحوا
وجرت - وفق ما أرادوا - الرياح
فإذا العيش سُبة واجتراح
وجهود الأفراد تهبُّ مباح

وهنا مفتح الأبواب
للنفايات من وحوش الغاب

يلعقون الدماء مثل الكلاب

عندهم من مُشَرِّعٍ مفتاح

بين حَدِيثِهِ غِلْظَةٌ وَسَمَّاح

ومسَاءٌ فِي جَوْفِهِ وَصَبَّاح

وانقيادٌ لثُلَّةٍ وَجَمَّاح

عن ملايين مُدَقِّعِينَ عُرَاةٍ

وجياعٍ غرثى مِراضٍ حُفَاةٍ

وَحَيَارَى مَشْرَدِينَ غُوَاةٍ

نقلوا من دِمَائِهِم لِلسَّرَاةِ

وتخلَّوا عن حَقِّهِم فِي الحَيَاةِ

لبقاءِ العنصرِ المُنتَقَاةِ

تتهاداهم أَكْفُ الجُبَاةِ

كُلُّ مُسْتَنْزَفِ الدِّمَا كَالنَّوَاةِ

مُزْدَرَاةٍ عَلَى الثَّرَى مُلْقَاةِ

كُلُّ أَلْفٍ مِنْهُمْ بِعِلْجِ سَمِينِ

ناتىء الأُخْدَعَيْنِ ضُخْمِ الوَتِينِ^(١)
فتراهم من حُرْقَانَةٍ وشُجُونِ
وخنوعٍ بآدٍ، وحقيدٍ دفينِ

وتمادي أوامرٍ ونواهي
وتردِّدٍ في مُهْلِكَاتِ دواهي
تَرَكَ الذُّلُّ مِنْهُمْ فِي الجِبَاهِ
وأخاديذٍ أعينٍ وشِفاءِ

ومجاري الـدَّمُوعِ والبَسَامَاتِ
وخطوطِ الوجوهِ والقَسَامَاتِ
طابَعَاءَ فِي الخُلُودِ كالنِّيرَاتِ
هو فِي الأَرْضِ مَكْمَنُ الجَمَراتِ
ومشارِ العواطفِ الحَطِرَاتِ

قد علمنا بمنطقِ الحدَثَانِ
وبدرسٍ من "الحكيم" الزمانِ
بدمٍ خُطِّ في سُطُورِ كِتَابِ

(١) الأخدع: شعبة من الوريد. الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

لنظَامٍ مَهِيْمٍ غَلَابِ
مُسْتَمِّمِ الْفُصُولِ وَالْأَبْوَابِ
مَنْ نِتَاجِ الْأَجْيَالِ وَالْأَحْقَابِ
وَضَحَايَا الْأَشْرَاطِ وَالْحُجَّابِ
لَمْ تُعَوِّقْ خُطَاهُ بِالْإِرْهَابِ
وَفُتُونِ الْإِجْرَامِ وَالْأَزْتِكَابِ
وَأَسَالِيْبِ مَغْرِيْبَاتِ كِذَابِ
مَنْ ثَوَابٍ مَسْتَهْجَنٍ وَعِقَابِ

وبما كان من قديم وكانا
من حديث، تسمُّعاً وعيانا
من جموعٍ هلكتُ تُثَلُّ كيانا
رَكَّزُوا فِي أُسَاسِهِ الطَّغْيَانَا
وَطَلَّوْا بِالْعَدَالَةِ الْجُدْرَانَا
رَافِعَاتٍ مِنْ فَوْقِهِ بِنْيَانَا
لِلَّذِي تَسْتَطِيعُهُ عُنوانَا
إِنَّ هَذَا النُّضْوَ الدَّلِيلَ الْمُهَانَا

الذي فاض نِقْمَةً واحتِقَانَا
وتغاضى عن الأذى أزمانَا
يَجْمِلُ القلبَ نابضاً والهوانَا
والشعورَ المُمِضَّ والحِرمانَا
والذي ظنَّه الجبانُ جبانَا

لم يكن مثل ما أرادوا وخالوا
بل هزبراً إذا استقام مجالاً

وعصوفاً مُدمراً مرنانَا
وخضماً إذا أنبرى طوفانَا
وجحيماً إذا طغى بركانَا
يقذف الغيظَ جوفه نيرانَا
لا عتاباً ورقيةً وحنانَا

لم نعوّد لِصق التراب العتابَا
غير ما كان زجرةً وسبابَا
وامتهاناً وإمرةً وعقابَا

وشحناً آدابنا واللغاتِ

باختلاف الحروفِ واللهجات
بُنُوعِ فيّاضةٍ وصفات
مُجحفاتٍ بحقّه مزريات
لائقاتٍ بهذه النكرات

من "سوادٍ" و"سُوقَةٍ" وطغَامِ
وَرُوعِ تُساقُ كالأنعامِ
ووضْعناه في أحطّ مقامِ
وحرمناهُ لئلاّ الاحترامِ
واجتنبناه كاجتنابِ الجُذامِ
وسلبناه ما له من حطامِ
وَرَكَّنْناه، بعددُ، بالأقدامِ

لم نغادرُ عليه حتى الثيابا
وشرّبناه دماءه أكوابا
طافحاتٍ تعاسّةً واكتئابا

وسرقناه رغيْفَهُ والطعاما
ومنعناه مَضْجَعاً ومَقاماً

ثم جنّاه مجرمين لثامنا
نترضاه محسنين كرامنا
رافعين الرؤوس والأعلامنا
مُشْهدين الأجيال والأيتامنا
والطروس الضخام والأقلامنا

ورجال الصحافة الأحرارا
وشيوخ المنابر الأخيارا

ودعاة التحرير والتفكير
من أديب وشاعرٍ نخريـر
وعلى كل موجة في الأثير

إننا موسرون نرعى ذمامنا
ونؤاسي الضعاف والأيتامنا
ونُعزّي أراملاً وأيتامى

مُؤثرين الجوع بالفَضَلاتِ
ونفايا موائدِ ضَجَلاتِ
غَرَقاتِ بأدمعِ هَطَلاتِ

من عيون نديّة خضلات

وبفيض من مُقذع التشهير

ومثير الإذلال والتحقيق

لفقير! وعائذ مستجير!

وفقير لمن؟ للصلّ خطير

مستجير بمن؟ بشرّ مجير

يا نظام الإحسان والصدقات

واقطع الأجراء والنفقات

من حساب الأسلاب والسرقات

واحتضان اللقيط في الطرقات

واحتيال القانون للطبقات

موبقات تُرمّم بالموبقات^(١)

يربأ الكون واثبأ مقداما

ماشياً - والأنوف رغم - أماما

غازياً نورهُ العقول اقتحاماً

^(١) رّم: أصلح.

تاركاً خلفه - الرياء - حطاما

أن ترى أنت للشعوب نظاما

أيها المستمن بالتلطف

مُسْتَرَقًّا بِكِسْرَةٍ مِنْ رَغِيفِ

لَا تَقِيهِ أَثَارَةٌ مِنْ جُوعِ

وَبُكُوحٍ فِي ظِلِّ قَصْرِ مُنِيفِ

يَتَمَنَّى انْعِكَاسَ ضَوْءِ الشُّمُوعِ

وَسَمِيلٍ مِنَ الثِّيَابِ شَفِيفِ

يَسْتُرُّ الْعَبُورَتَيْنِ بِالترْقِيعِ

وَحَوَالِيهِ مِنْ نِتَاجِ الصَّرُوفِ!

مِنْ ذَوِيهِ "الأوباش" أَيِّ قَطِيعِ

عجبا! هل علمت؟ من ذا تكون؟

أنت يا من تركت التكوين

فوق متنيك، والوجود الثمين

آه لو زايلتك هذي الظنون

شاءها الخوف والنظام المهين

وتجلى لك العيانُ اليقين
والمكانُ الذي تحلُّ المكين
وبأيِّ الهباتِ أنتِ قمين
آه لو كنتِ عالماً ما يحين

لو تأيبت أن تجوبَ القفاراً
وترودَ البحورَ والأنهاراً
وتدكِّ الصخورَ والأحجاراً
وتشيدَ القلاعَ والأسواراً
باعثاً ميثَ الترابِ نُصاراً
وزروعاً قينانةً وثماراً
وسلاحاً وزينةً ودثاراً
لو تحاشيت أن تقيمَ مطاراً
أو تهيبِّيء دبابنةً وقطاراً

أو ترفعت أن تُذيبَ الحديداً
وتزججِي فيالِقاً وجنوداً
وتُعَلِّي معابراً وسدوداً

وَتُصَفِّي سَبَائِكًا وَنَقُودًا
وَتَسْوِي جِوَاهِرًا وَعُقُودًا
وَكُبُولًا بِجَنِبِهَا وَقِيُودًا

كُفَّ يَوْمًا عَنْ أَنْ تَكُونَ أَسِيرًا
لِلَّذِي أَنْتَ "رُبُّهُ" مَا جُورًا
لَتَرَى هَلْ تَكُونُ إِلَّا أَمِيرًا
وَبَشِيرًا إِلَى الْوَرَى وَنَذِيرًا؟
ذُقْ كَمَا شِئْتَ يَوْمَ ذَاكَ الْخُمُورًا
وَتَخَيَّرْ كَمَا تَرِيدُ الْقِصُورًا
ثُمَّ جَاوِزْ "مُخَلِّدِينَ" وَ"حُورًا"
وَاسْحَبِ الْحَرَّ نَاعِمًا وَالْحَرِيرًا
وَاسْقِ أَطْفَالَكَ الظِّمَاءَ الْعَصِيرًا

مِنْ مِزَاجِ التَّفَاحِ وَالْأَعْنَابِ
لَا خَلِيطَ الْأَوْشَالِ وَالْأَوْشَابِ
وَتَرْضُ الصِّغَارَ بِالْأَلْعَابِ
مِنْ تِصَاوِيرِ غَابِرِينَ عَجَابِ

نزلوا نُظْفَةً مِنَ الْأَصْلَابِ
أَرْجُ الْمِسْكِ فَوْقَهَا وَالْمَلَابِ^(١)
وَالْبِرَايَا مِنْ طِينَةٍ وَتُرَابِ
قَذِرٍ طَافِحٍ بَعَارٍ وَعَابِ
كُلُّ "رَأْسٍ" مُحَطَّمُ الْأَعْصَابِ
خَلْفَهُ كُومَةٌ مِنْ "الْأَذْنَابِ"

كُلُّ مِسْخٍ بِالْأَمْسِ كَانَ مَخِيفًا
مُشْمَخِرًا عَلَى الرَّؤُوسِ مُنِيفًا
حَبَسَ الْفِكْرَ حَوْلَهُ أَنْ يَطُوفَا
وَهَبَوْبَ الرِّيَاحِ إِلَّا رَفِيفَا
وَطَيُورَ السَّمَاءِ إِلَّا زَفِيفَا^(٢)
حَذِرًا أَنْ تَمَسَّهُ تَجْدِيفَا
لَا يَرَاهُ الْعِبَادُ إِلَّا وَقُوفَا
وَسُجُودًا وَرُكْعًا وَعُكُوفًا

(١) الملاب: الطيب.

(٢) الزفيف: زف الطائر زفاً وزفيفاً إذ بسط جناحيه.

إنه "كُتْلَةٌ" من التَّقْدِيسِ

مستطير الألوَانِ كالطَّاووسِ

كلَّ يومٍ له زفافُ العَروسِ

أرهم! من "مقوماتِ" الغباءِ

وافترض الحُمُولِ في السَّيِّئِ

وجودِ الملامحِ البُلْهَاءِ

فوق هذي "اللُّعِيَّة" الرِّعْنَاءِ

ما يُرِيهِمْ حَقِيقَةَ النُّبْلَاءِ؟

أرهم: رأس "بومة" نكراءِ

صاعداً باستقامةٍ واستواءِ

فوق جسم "البغالِ" في الامتلاءِ

لوحدةٍ ذاتِ بهجةٍ ورُواءِ

رَسَمَتْهَا كَفُّ "النَّظَامِ" المُرَائِي

لترينا نمودَج "الكُبراءِ"؟

أرهم: صورةٌ لوجهِ خَلاءِ

من سِمَاتِ الإيحاءِ والإغراءِ

جامدٍ مثل صخرة صماء
ومن الصخر ما يفيض بهاء
ويُقوي دعائمًا للبناء
وتماثيل نُطِّقِ خرساء
من نتاج النوابع العظماء
بجبينِ صنكٍ كطي الحذاء
أوسعته صقلاً أكفُّ "الهناء"
لا ترى فوقه غضونَ عناء
هي رمزُ الرجولة الشماء
وعيونٌ "كفحمة الطرفاء"
خافقاتٌ بنظرة جوفاء
أذنتُ من مُودها بانطفاء
هي عنوانُ ميّت الأحياء
أرهم: في العروق مجرى الدماء
أسناتٍ في ظلّ عيش رخاء
لم تخضخض بهمة وفتاء

ومهبِّ العواصفِ النكباءِ
واختلاطِ السراءِ بالضراءِ
ومثارِ العواطفِ الشَّعْواءِ
وتجاريبِ خيبةِ ورجاءِ
من أبٍ عاش عيشةَ السفهاءِ
يقضِمُ المالَ قِضْمَةَ العَجْواءِ
حازه من تسفُّلٍ وارتشاءِ
واقطعاعِ وسرقعةِ واذنءاءِ
لم يُكَلِّفْ حتى بمعنى الثراءِ
ولأمِّ مشغولةٍ بالنساءِ
وفنونِ الأصباغِ والأزياءِ
ومجالي تبدُّلٍ وارتشاءِ
وانزلاقٍ في هوةِ عمياءِ
من مهاوي الفُجورِ والإغواءِ
تتهزأُ منها عيونُ الإمامِ

قل لهم: أمسِ كان مسخُّ كهذا

يملاً الأرض قوّة ونفاذا
وارتقاءً بمعشرٍ وانتبهاذا
لم يكن أمسٍ من يقول: لماذا؟
كان هذا المسخّ الغبيّ! معاذاً
لنفوسٍ تمجّجُهُ وملاذا
أمسٍ كنّا وكنتمُّ شُذّاذاً
أمسٍ كنّا وكنتمُّ شُحاذاً

نجددي من دمائنا قطراتٍ
حبستُ عند هذه الحشرات
هي منّي في هذه الغمّرات
والوُجوه "المُصفّرة" الغبرات
والعيون "الحزينة" الحذرات!
هي منّي في هذه النّسّبات
في حنايا الصّدور "منكسرات"

والأغانيّ أفعمتُ بعويلٍ
ونُواحٍ مرجّعٍ وهديلٍ

بين زاهي الرُّبى وخُضِرِ الحقول
وعلى كَلِّ جَدُولٍ ومسيل
ولدى كَلِّ بُكْرَةٍ وأصيل
صارخاتٍ مِنِ احتدامِ الميول
وتقاليد "معشَرٍ" و"قبيل"
من فؤادِ دامٍ وحُبِّ قَتيل
و"ضمير" سامٍ و"جسم" ذليل

وهي ضوءُ الشموعِ في الحُجراتِ
عندهم و"الكواكبِ" النيرَاتِ
ودَلالِ الأوانسِ الحَفِرَاتِ
و"تحايا" أنفاسِها العَطِرَاتِ
واصطخابِ "الأهواءِ" في السّهَرَاتِ
وأريجِ "العرائشِ" المزهَرَاتِ
وهي ذَوْبُ الخُمورِ مُعْتَصِرَاتِ

أمسِ هذا "النعيمُ"؟ كان زروعاً
والزروعُ الوَرَفَاءُ كانتْ بَقيعاً

كم سَقِينَا تَلِك "الكَرُومَ" دَمُوعَا
وَاحْتَضَضْنَا أُصُولَهَا وَالْفُرُوعَا
كَمْ عَصَرْنَا - وَنَحْنُ نُعْصِرُ جُوعَا -
الثَّمَارَ الَّتِي تُسِيلُ اللُّعَابَا

لُنُسَاقِي هَذَا "المَسُوحَ" الشَّرَابَا
كَمْ دَفَنَّا تَحْتَ التُّرَابِ شَبَابَا
وَأَضَعْنَا الجُّهُودَ وَالْأَتْعَابَا
لِنُنَجِّي هَذَا اللُّعُوبَ الكَّعَابَا
تَسْحَبُ الخَزْنَاعِمَا جِلْبَابَا
مِنْ "إِهَابَاتِنَا" خَلَعْنَا إِهَابَا
فَوْقَهَا سَاحَرَ الرُّؤْيِ جَدَّابَا
وَ"عَصَرْنَا" دَمَاءَنَا أَحْقَابَا
لِنُصَفِّي مِنْهَا اللَّمَى وَالرُّضَابَا
نَتَرَضَّى بِذَلِكَ الأَرْبَابَا

وَسَأَلُوا مِنْ مِثَالِثٍ وَمِثَانِي
حَانِيَاتٍ عَلَى أَكْفِ الغَوَانِي

ناطقات برقّة وحنان
عن أماني هذي "العُلوج" "السّمان"
وتشهيّ "فلانة" و"فُلان"
كَم وَكَم - مثلها - ظهورٌ حواني
وعيونٌ مقروحةُ الأجنان
عاجلتُ شدَّ هذه العيdan

باعثاتٍ في ميّتٍ "الأحطاب"
أيّ روحٍ ملطّفٍ مُنساب
هي لو عاودت إلى "الأنساب"
وتُراثِ المُناخ و"الأعصاب"
وافتقادِ اللّداداتِ والأتراب
وهي في العِرقِ أُختٌ وَحشِ الغاب
هي أمُّ الطيورِ، بنتُ السّحاب
ضارباتِ عروقها في الترابِ
قرأت في مقاصفِ الأقطاب
ومقاصيرِ "نُخبّة" أطياب

واقْتَعَادَ بِهَا وِرَاءَ حِجَابٍ
وَمِرَاسِيمَ مُثْقَلَاتِ الوَطَابِ
بِاصْطِنَاعِ الوَقَارِ وَالْآدَابِ
مُحَضَّ إِيجَاشَةٍ وَفِرْطَ اغْتِرَابِ
وَمِشَارِ الشُّكُوكِ وَالْأَزْتِيَابِ

لَتَخَلَّتْ عَنْ "فَاتِنَاتِ" الْقِيَانِ
وَصُدُورِ "المَغَامِرَاتِ" الْحِسَانِ
عَبَقَاتِ الْأَحْضَانِ؟ وَالْأُرْدَانِ
لِصُدُورِ مَكْتَنِّظَةِ الْأَشْجَانِ
زَاخِرَاتِ الْأَنْعَامِ وَالْأَلْحَانِ
مِثْلَهَا فِي مَكَانَةٍ وَكِيَانِ
مَنْ بَنَاتِ الوُحُولِ وَالْأَطْيَانِ
لَا صُدُورِ الْأَكْبَابِ الْأَعْيَانِ

عَالَمَ "اليَوْمِ" أَنْتِ ضُحْكَةٌ رَائِي
أَنْتِ - لَوْلَا الْعِيَانُ - مُحَضُّ هُرَاءِ

من أقاصيصِ صبيّةِ أبرياءِ
ونكاتِ الخُلالنِ والخُلطاءِ
أنتَ للسامرينِ حولَ "الصلاءِ"
سَمَرٌ قاتلٌ ليالي الشتاءِ

"عالمُ الغدِ": أمسِ أبصرتُ "قنّا"
مُجَهِّداً عندَ "ناعمِ" يتكَنّى
"سيداً"! عبدَ "سيدِ" يتغنى
بُنُوتِ "السَيِّدِ" يتهنّى

بنعيمٍ من "سيِّدِ" راح عبدا
"لسواهُ"؟؟ بفضلهِ يتردى

وغريبٍ في أمرِ هذي الجُمُوعِ
مسترقّينَ للنظامِ الرّقيعِ
إن هذا "السّوي" مطاعُ الجميعِ
وأولاءِ السّاداتُ بالتشفيعِ
هم عبيدٌ لعبدِ ذاكِ "المطيعِ"

يا هِوَاةَ التَّنْفِيذِ وَالتَّشْرِيعِ
وَ"غِوَاةَ" التَّمْوِيهِ وَ"التَّرْقِيَعِ"
هَلْ عَرَفْتُمْ "جَوْعَانَ" رَبِّ "مَجْمَعِ"
وَمُجْمِعاً يَخَافُ وَطَاةَ جُوعِ

هكذا، هكذا، دنا فتدلى
هرم من على لتحت تعلّى
رافعات عنه الجماهير ثقلاً
ملقيات على البسيطة ظلاً
ينعم "الفرْدُ" تحتَه مستغلاً
بالأطاييب - دوتهم - مُستقلاً
فماذا؟ وكيف؟ "عزّ" و"جلاً"
وتخطّى على "العبادِ"؟ مُدلاً
من عليهم غدا عيالاً وكتلاً
ولماذا؟ وكيف؟ عاد أشلاً
ولماذا؟ عن كل حقّ تخلى
ولماذا؟ أضحي الأغم الأذلاً

ذلك الأكثر المعيل "الأقلاً"

لُغزُّم يجذله العقلُ حلاً

أنت يا رافعاً من الأثقالِ
هرماً، كان من ضروبِ المحالِ
أنت يا مَنْ لا يستقرُّ ببالِ
غيرِ الإمامةِ كطيفِ خيالِ
كن جواباً على أدقِّ سؤالِ
كان مُذ كانتِ العصورُ الخواليِ
عن "قيام" مهذَّبِ الزوالِ
وتهاوي كواكبِ وجمالِ
وتجلى بغيثٍ، وعُقبى نُشورِ
واطَّراحِ القبورِ أهلِ القبورِ
ويسير من أمرهم وعسيرِ
وتهاويلِ نافخِ في الصورِ
وامتحاناتِ مُنكِّرِ ونكيرِ
وجزاءٍ من جنّةٍ وسعيرِ

ذاك رمزُ انتصارِ عهدِ النُّضالِ
و "ربايا" تجوّلِ وانتقالِ
و تصاميمُ دولةِ العُمّالِ

عالمُ الغدِ إنَّ "سوقَ" العبيدِ
نزلوا عند حُكْمِ "لَوْنِ الجلودِ"
وابتداعاتِ "سيّدِ ومسودِ"
ومآسي حواجزِ وحُدودِ
وصياحِ "النَّخاسِ" هلْ مِنْ مَزِيدِ؟
في "تمائيلَ" أوثقتُ بالقيودِ
غارقاتِ آذائِها في الصَّديدِ
مُنِيَّتْ في قيامِها والقُعودِ
بعثُلاً فَظُّ عنيدي مَرِيدِ
صارخاتِ بلونها المكمودِ
وبها في عيونِها من سُرودِ

للسَّما تبغني اختراقِ النُّجومِ

تحرى مقرّ ذاك "الحكيم"

الذي شاء ما بهما من هُموم؟؟

لم تعطّل إلا لأن رقيقاً

أبيضاً يملأ العيون أنيقاً

لا يرى مثل خلقه مخلوقاً

في خضمّ من الغرور غريقاً

يسترقّ الغريقُ منه الغريقاً

حلّ في "رقّه" محلّ السّود

في هبوطٍ "أسواقه" وصعود

ونحوسٍ "نجومه" وسعود

تلك سوقٌ فيها "غنى" ومتاعٌ

وعليها تسابُّقٌ وصراعٌ

كلّ يومٍ بين "الرقيق" نزاعٌ

أيهم قبل غيره ينصاعٌ

سَيطرت في سمائها الأطماعُ

واستوى فوق عرشها الإقطاع
وتبارى الإثراء والإدقاع
والطيعون يمتطيهم مطاع
كم، وكم تُشترى بها وتباع
حُرُمات، وأنفُس، وطباع
عَرِيَتْ من "ضماير" فهي "قاع"

صفصف، موحش الثرى إمحالا
ليس فيها "للصالحات" انتجاع
فهي "جرداء" لا تفيء ظلالا
وهي "ظلماء" لم "ينزها" شعاع
من "أحاسيس" تُرشد الضلالا

عَرَضَ "البائعون" فيها الرجالا
بعضهم فوق بعضهم أنقالا
كلُّ مستكبر يتيهُ اختيالا
ساحبٍ من "تَجْبِرُ" أذيالا

حَمَلْتُ مِنْ "فَضَائِحِ" أَوْحَالًا

وَصِيَاخِ "النَّخَاسِ" عَادَ قَرْنَا

مِنْ جَدِيدِ "بَسُوقِهِ" يَتَغَنَّى

أَيْهَا الْخَائِفُ احْتِقَارًا وَ"طَعْنَا"

يَتَجَنَّى وَيَتَّقِي مَا تُجَنَّى

كَمْ "مَجْنٌ" هُنَا لِبَاغِ "مَجْنًا"

دُونَ مَا شَقَّ مِنْ خُرُوقِ وَ"سَنَا"

هَا هُنَا لَوْ أُعْرِثُ "السُّوقَ" "وَزْنَا"

سَلَعِ تَحْمِيلُ "الْجَرَائِرَ" عَنَا

هُنَّ لَفْظٌ وَ"مُشْتَرِيَهُنَّ" مَعْنَى

هُنَّ مَرَأَى وَ"مَجْتَنِيَهُنَّ" مَبْنَى

مِنْ هُنَا لَفَقْتُ لَفِيئًا وَهَنَا

كَمْ نَصَبْنَا بِخَلْقِهَا وَتَعَبْنَا

كَمْ سَمِعْنَا بِهَمَّةِ الْجَبَّارِ

بِأَسَالِيْبِ جَمَّةِ الْأَوْطَارِ

كَمْ بَشْنَا الْأَرْضَادَ لَيْلَ نَهَارِ

في سوادِ الأقطارِ والأمصـارِ
لشراءِ "البضائعِ" ؟ الأشرارِ
تتردّى مظاهـر الأخيـار
أيُّها المبتغونَ نَشَرَ دَمـارِ
وارتجاعاً على يدي "سُمسارِ"
يا بُغاةَ الإدقاعِ والإفقارِ
واحتجازِ الشعوبِ رهـن الإسارِ
أيُّها الوالغونِ في كلِّ عـارِ
وشنارِ لـكن وراءَ سـتارِ

كم سِتارِ لكم هنا وحجابِ
نحن حُكنا خيوطَهُ باقتضابِ
وأقمنا نسيجَهُ باغتصابِ
من نثارِ الأَسقاطِ و"الأسلابِ"
من مُراءِ ومُرتشِ ومُحـابِ
وخبـونِ ومُزجـفِ كذابِ
عندنا، هاهنا، على الأبوابِ

ألف قُطْبٍ "رَخْوٍ" من الأقطابِ
من "دُهَاءِ" القُطَّاعِ والنَّهَابِ
باختلافِ الحجومِ والأضرابِ
وبشتى النعوتِ "و" .. الألقابِ
وافتراقِ "الألوانِ" و"الأثوابِ"
نحن أدري بهذه "الأنصابِ"
و"بأحسابِهنَّ" و"الأنسابِ"
ومحلُّهنَّ في "الإعرابِ"

إنها حين تترك الأبوابا
عندما تدفعون عنها الحسابا
ترتدي غير ثوبها أثوابا
ثم تلقيني على "الضمير" حجابا
وعلى أوجهِ "خزين" خضابا
فالمحبابي غداً يروح محبابي
والمرائسي مُبَجَّلًا مُسْتَطَابا
والخوونُ "الشهم" الرفيع جنابا

والغبارُ الذي صببناه صبًّا
من "وُحول" فكان شخصاً مذبذبًا
سُيُصَلَّى لَهُ وَيُعْبَدُ رَبًّا

عندنا ألفُ هيكلٍ جبَّارٍ
حولَه شائكٌ من الأشوارِ
من بناءِ "المُشرِّع" القهَّارِ
يتراءى لأَغْيُنِ النَّظَّارِ
فارغاً شاخحاً على الأبصارِ
يتحلَّى "بهيبة" و"وقارِ"
و"احتفاظٍ" وإمرة واقتدارِ
وبسرٍّ "فدِّ" من الأشرارِ
وبإحكامٍ "صانعٍ" مختارِ
نحن صُغْنَاهُ من مزيجِ غُبارِ
من مُثَارِ "النَّكْبَاءِ" و"الإعصارِ"
ومداسِ "الوحوشِ" بينَ القِفَارِ
و"وحولٍ" الأكدارِ والأقذارِ
فهو كاسٍ - كما أردتُمْ - وعاري
وهو "عالٍ" على أساسِ هاري

عالم الغد: "أمس" أبصرت فردا
من أولاء البيض "العبيد" استبدًا
دخل "السوق" فاشتروا منه عبدا
ليس يقوى لما أرادوا مردًا
ثم ألقوا على خفافيه بُردًا
زعموا أنه تضمخ مجدا
فانبرى وهو يحسب الهزل جدًا

والأناسي أولياء و "جُنُدا"
وخضوعاً لم يملكوا عنه بُدًا
فَرَطَ عَجَبٍ "بمقلتيه" وَوَجَدَا
بالعبودية التي يتردى

كذبوا أي "سؤدد"؟ أي مجد؟
مستعار متى اشتها، مسترد
من غرور وباطل مُسْتَمَدَّ
أي "بُرد" من كف أي "مُسَدِّي"
مُلحِم، مالك حلّ وعقد
قد ترده ألف جُبسٍ وَوَعْدِ

أمرُوا، وانتهوا بعزلي وطرد

فإذا "مجدُّهم" هباءٌ نثيرُ
وإذا ماؤُهُم سرابٌ يَغورُ
وإذا هُم قفَرٌ صحاصحُ بورُ
وإذا ما انطوتُ عليه الصدورُ
جِيفٌ تُسْتَفَرُّ منها القبورُ
وتخافُ الدنوءَ منها العُطورُ
قُبْحُ المستعارُ والمستعيرُ
في مصيرَيهما.. وبئسَ المصيرُ
وإذا فوقَ كلِّ ذلك، الضميرُ
لم يساومَ ليشتره الحريِرُ

"عالم الغد": أمسٍ مرَّت جِالي
كُتِلَ من "مؤمِّرين" موالِي؟
أخرجتهم مصانعُ "الرجالِ"؟
هم برغمِ الألوان والأشكالِ
نُسجوا كلُّهم على "منوالِ"
من "دمى" إمرة؟ و"لعبة" مالِ

و"مرايا" سياسة واحتيال
و"سعالى" ذوى شعور طوال
تستسىغُ "الحرام" باسمِ الحلالِ
ثم مرّت مواكبٌ من "جمال"
بحرابٍ محمّيةٍ وعوالي
تشكّى فى الوخذِ والإرقال
وطء ما حمّلت من الأثقالِ

من خِدادِ "التشريع" و"التقنين"
من شروحِ فياضةٍ ومُتوونِ
دبّرتُها فطاحلُ "التّدوين"
ودعاءُ التّخديرِ والتّسكينِ
ورقاةُ لعالمِ مجنونِ

ثم لاحت "أصابعُ" كالظلالِ
وكما طافَ طائفٌ من خيالِ
ثم جرّت هذى الدّمي بحبالِ
من "نضارٍ" مُزيّفٍ مُتلايِ
و"بجاءه" ممزقِ أسمالِ
وبمجدٍ عارٍ من "المجد"، حالي

بِطِلاءٍ مِنَ الْقُرُونِ الْخَوَالِي
وَالْخَوَالِي مِنَ الْقُرُونِ سَرَابُ
شُبَّةٍ كُلُّ أَمْرِهَا وَارْتِيَابُ
بغداد، عام ١٩٤٣

تونس

٥٩

ديوان الجواهري

نظمت بمناسبة الإنزال الذي قام به الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، في شمال أفريقيا، خلف خطوط جيوش المحور.

رِدِّي يَا خِيُولَ اللَّهِ مَنَهَلِكِ الْعَذْبَا
 وَيَا شَرْقُ هَلْ سَرَّ الطَّوَاغِيَتِ أَنَّهَا
 يَدٌ جَدَّ يَوْمَ "الْقَيْرَوَانِ" عُرُوقَهَا
 وَيَا طَارِقَ الْجَيْلِ الْجَدِيدِ تَلَفْتَا
 أَثَرَتَ لَنَا فِي غَمْرَةِ النَّصْرِ خَطْرَةَ
 هُزْزْنَا بِهَا ذِكْرِي، وَتَهْنَا بِزَهْوِهَا
 لِمَثَلِ الَّذِي تَبَغِي مِنَ الْحَقِّ قَادَهَا
 حَدَا مِنْ جِيُوشِ الْوَحْيِ وَالنَّصْرِ مَا حَدَا
 كِنَارِ "ابنِ عِمْرَانَ" الَّتِي جَاءَ قَابَسًا
 وَأَلْوَاخُهَا "الْأَلْوَاخُ" لَوْلَا "رِسَالَةُ"

تَخَطَّتْ إِلَى مَحْمِيَّةِ الْغَرْبِ أُمَّةٌ
 تَحَدَّتْ عُبابَ الْبَحْرِ تُزْعِجُ حُوتَهُ
 حَمَتْ فَأَجَادَتْ قَبْلَهَا عَنْ حِمَى ذَبَا
 وَمَنْ قَبْلَهُ فِي الْبِرِّ أَرْعَجَتِ الضُّبَابَا

(١) يريد أن ألواح هذه السفن في قدسيته كألواح موسى التي كتب فيها وصاياها العشر بفارق واحد هو رسالة الإسلام.

أولاء "البداة" الغامطُ الناسِ حقهم
لتلك قلوبٌ تنشُدُ اليومَ مثلها
وتلك التي منها نرى العربَ العرّبا
سرتُ كشُعاعِ النورِ في فحمةِ الدُّجى
أبى دينها أن تجمعَ اللهَ والرُّعبا
وفي ذلّةِ عزّا، وفي ضلّةِ هُدَى
ومثلُ النسيمِ الرّخوِ في يَبَسِ هبّا
وفي جنفِ عدلاً، وفي جذبِ خُصبا
وفي مُلتوِ مِن نهجها منهجاً حبّا
وسارتُ إلى "باريسَ" تسمعُ من لَبى
وأطلتُ على "مديداً" تُسمعُ دعوةً
وشدّتُ لجسمِ خائرٍ مُتعبٍ صُلبا
ودبّتُ مدبَّ الروحِ في الكونِ رحمةً
جراحِ بني الدُّنيا فآستُ لهم نُدبا
ومن الخطراتِ النيرِاتِ بها شُهبا
ومدّتُ برفقِ كَفِّها فتلمّستُ
وأوتُ من الأديانِ شتى وأطلعتُ
وصانتُ - عليها أو لها - مقولاً ذرّبا
وحامتُ يراعاً جالاً في جنّباتِها
ولا حجزتُ رأياً، ولا أحرقتُ كُتُبا
وما سمّلتُ عيناً، ولا قطعتُ يداً
عليها، وما يأتي الشقاقُ إذا دبّا
ونظرتُ إلى ما كانَ منها وما جرى
وكيفَ أفاءتُ ما أَرادتُ ظلالها
وكيفَ اغتدّتُ مُستثقالاً ظلّها، نُهبى
فقلتُ: وبعضُ القولِ عُتْبى وبعضُهُ
عِتَابٌ، وشرُّ القولِ عَتْبٌ بلا عُتْبى
أساءتُ صنيعاً أُمَّةً مُستكينّةً
صبورٌ على البلوى إلى أمةٍ غَضْبى

بخُضِرَتِهَا تُكْفِي الَّذِي يَدْفَعُ الْجُدْبَا
 رَقِيقُ الْحَوَاشِي يَمْسُحُ الْمَاءَ وَالْعُشْبَا
 كَأَنْوَارِ أَسْحَارٍ تُرْقِرُهَا سَكْبَا
 كَمَا شَكَّتِ الْعَيْنُ الَّتِي افْتَقَدَتْ هُدْبَا
 سَقَّتَكَ الْقَوَافِي صَفْوَهَا السَّلْسَلُ الْعُدْبَا
 نَثَرْنَا لَكَ الْإِعْجَابَ وَالشُّكْرَ وَالْحُبَّ
 أَعَدَّتْ لِلْقِيَا كُلَّ مُسْتَكْرِ عَضْبَا
 أَحَلَّ بِأَدْمَى مِنْهُ "وَلِنَكْتِنَ" كَرْبَا
 عَلَيْهِ، وَلَمْ تَرْحَمْ مُعْنَى بِهِ صَبَّ
 بِأَحْلَامِهِ، يُحْصِي الْخِرَاجَ الَّذِي يُجْبَى
 فَكَيْفَ رَأَاهَا وَهِيَ مُعْرِضَةٌ نَكْبَا
 وَلُحَّتْ لَهُ مَوْتًا عَلَى الْمَوْتِ مُنْصَبًّا
 وَمَنْ كَانَ يَشْكُو بَطْنَةً يَشْتَكِي السَّغْبَا
 بِأَنَّكَ أَعْلَى مِنْ أَخَادِعِهِ كَعْبَا^(١)
 وَعَادَتْ "نَوَازِي" شَرَّهُ أَفْرُخًا زُعْبَا^(٢)
 فَكُنْتُ - وَلَوْلَا خُدْعَةٌ لَمْ تَكُنْ - خِبَا

سَقَى "تُونَسًا" مَا يَدْفَعُ الْحَطْبَ، إِنَّهَا
 وَحْيَا الْقِبَابِ الْبَيْضِ رَوْحُ كَأَهْلِهَا
 وَرَافِقُهَا نَوْرٌ مِنَ الْوَعْيِ مُسْفِرٌ
 نَجِنٌ لِذِكْرَاهَا، وَنَشْكُو افْتِقَادَهَا
 وَيَا "مَوْنَتُكُمْرِي" لَوْ سَقَى الْقَوْلُ فَاتِحًا
 وَلَوْ كَانَ ذَوْبُ الْعَاطِفَاتِ نِشَارَةً
 نَضَّتْكَ لِدَرْءِ الشَّرِّ عَضْبًا "صِيَاقِلُ"
 حَلَلَتْ عَلَى "رَوْمِيلَ" كَرِبًا، وَقَبَلَهَا
 وَأَنْتَ انْتَزَعْتَ النُّصْرَ مِنْ يَدِ قَادِرٍ
 وَدَحْرَجْتَهُ عَنْ "مِصْرَ" وَهُوَ مُعْرَسٌ
 وَغَرَّتُهُ مِنْ رِيحِ الصَّحَارِيِّ قَبُولَهَا
 دَحَا أَرْضَهَا، وَانْصَبَّ كَالْمَوْتِ فَوْقَهَا
 تَرَكْتَ الَّذِي رَامَ السَّمَاءَ يَلْمِسُ الثَّرَى
 وَبَصَّرْتَهُ لَمَّا تَصَعَّرَ خُدُّهُ
 قَصَبْتَ جَنَاحِيهِ فَفَقَرَّتْ شَذَائُهُ
 كَشَفْتَ لَهُ ضَعْفًا وَغَطَّيْتَ قُوَّةً

(١) تصعر: تكبر. والأخادع: العروق المخفية في صفحتي العنق.

(٢) الشذاة: القوة والنشاط. النوازي: المتوثبات من فراخ الطيور وفيها تورية عن "النازية"

و"النازين".

أراد التي من دونها أنت والوغى،
سددت عليه الرأي حتى تركته
وحتى رأى ذلّ الفرار غنيمَةً
وضاقت عليه الأرض فهو مهوومٌ
وعدل القضاء، تَبَّأ لما رامه تَبَّأ
يرى من سدادِ الرأي ما عدّه سبَّأ
وحتى رأى الداء الذي يشتكي طبَّأ
عليها نهته أن يُريح بها جنباً

تمنى عليه "رُبُّهُ" مِصْرَ مَنْحَةٍ
وكاد على "القَطَارِ" أن يُرضي الرِّبَا
على "الشرقِ" لولا أن قذفت به حَصْبَا
تراءت له الأحلامُ صِيحَ بها نَهْبَا
إلى أن غَدَت كَلًّا على نفسه حَرْبَا
وخادَع منه "النيلُ" في طميه اللُّبَا
تُزَيِّفُ منه النفسُ "أسكندراً" كِذْبَا
وعَلَّلَ "بالزَّابِئِ" عسكِرَهُ اللُّجْبَا
وشرَّدَ عن أجفانه حُلْمًا رَطْبَا
وكان يُناغي حالمًا عالمًا رَحْبَا
ومنى بينبوعِ الفراتِ حصانهُ
فيالك زوراً ذاد عن عينه الكرى
فلم يرَ إلا مَغْرَزَ الرَّجْلِ يَقْظَةً

(١) رُبُّهُ: هتلر. القطار: منخفضات على الحدود المصرية.

وفي "ثونس" أدركته رازحاً لغباً
كما نثر الصياد للطائر الحباً
إليك رأى منك الذي بغض القربا
من الكبر، لولا أن تطارده وثبا

من "العلمين" استقتة مُحكم القوى
نثرت له شمم المتالع والقوى
وأغريته بالقرب حتى إذا دنا
عنود، تأتي الوثب في نكساته

سقاء الردى عاطت بأكؤسها شربا
ألح وعاطى من ينادمه عباً
خبير بما أبدى، بصير بما خبأ
دهت مثلها شوساً مدججة غلبا
كلا المعدنين استنجدا معدناً صلبا
ويغمر بالريحان أوفاهما كسبا

ولو غير "روميل" لقلنا كغيرها
ولكنه نذمان موت إذا سقى
وقد خبأ السم الزعاف فبزه
ولما التقى الجمعان غلب أشاوس
وحم الحديد الضخم والصبر والحجى
مشى الحق في الصفين يدمغ باطلاً

وأبقى لك الأهل الأعزة والصحبا
بهم يستميح العفو مما جنى ذنباً
خضم وراح الجو يمطرهم عطبا
تصحح أغلاطاً فتوسعها شطبا
يخلها من الأجداث مجنونة رعبا
يجد حادياً يحدو إلى سقر ركبا

تفادى بـ "أرنيم" وفر بنفسه
وأهداهم أسرى وقتلى كأنه
تلظى بهم بالنار بر، وقاءهم
كأنك إذ تحصي ركاماً حطامه
فمن ير في الصحراء نثراً قبورهم
ومن يصير الأسرى يقادون هطعاً

وَخَلَى لَكَ "الطليان" يَحْتَكُ بَعْضُهَا
 أَتَى بِهِمْ إِبَاءَ عَلَيْكَ سَفَاهَةً
 أَرَادَ لِحَوْضِ الْمَوْتِ أَغْرَاسَ نِعْمَةٍ
 حَسِبْنَ لِإِزْعَاجِ ابْنِ آوَى بِنَادِقًا
 وَضَاعَفْنَ نَسْجًا مِنْ حَرِيرٍ وَلَأَمَةً
 وَرُحْنَ كَأَسْرَابِ الْقَطَا نُعَمَ الْخَطَى
 وَجَازَى بَشْرًا مَنْ أَرَادَ بِجَوْرِهِ
 وَأَنْ تَهَيَّبَ الْوُدْيَانَ لَيْلًا لِرَيْبَةٍ
 وَأَنْ تَشْهَدَ الْأَشْلَاءَ تَنْقُضُ حَوْلَهَا
 وَلَمْ تَرْتَكِبْ إِثْمًا سِوَى أَثْمَا دُمَى
 فَلَوْ كُنْتَ يَوْمَ النَّقْعِ شَاهِدًا أَمْرَهَا
 وَسَدَّتْ ثُقُوبَ الْأَرْضِ مُجْحَرَةً بِهَا
 دَعَوْتَ عَلَى مَنْ شَقَّ عَنْهَا حِجَاتَهَا
 إِذْ لَسَأَلْتَ اللَّهَ فَلَا لَغْرِبَهُ
 فَرَفُقًا بِأَشْبَاهِ الْقَوَارِيرِ صُدِّعَتْ

بَعْضٍ كَمَا تَحْتَكُ مِنْ جَرَبٍ جَرَبًا
 فَكَانُوا عَلَيْهِ فِي تَغْنُجِهِمْ إِبَاءًا
 غَذَاهَا وَلِيَّ الْأَمْرِ فَاكِهَةً أَبَاءًا
 وَخَلْنَ لِضَمَارِ الْهَوَى شُرْبًا قُبَاً
 وَجَزَزْنَ بِيضَ الْهِنْدِ وَالْوَشِيِّ وَالْعَضْبَا
 وَقَى اللَّهُ - مِنْ شَرِّ يُرَادُ بِهِ - السَّرْبَا
 وَجُوهَ الْحَسَانِ الْغَيْدِ أَنْ تَلْمَسَ التُّرْبَا
 وَأَنْ تَرْتَقِيَ صُبْحًا عَلَى عَجَلٍ هُضْبَا
 وَفِي دَمِهَا الْفَرَسَانَ مَخْضُوبَةً حَضْبَا
 وَلَمْ تَأْتِ - إِلَّا أَتْمَاعُورَةً - ذَنْبَا
 وَقَدْ خَبَّاتِ تَرْبٌ بِأَثْوَابِهَا تَرْبَا
 فَمَا غَادَرَتْ مَأْوَى لَضَبٍّ وَلَا ثَقْبَا
 وَأَقْحَمَهَا مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا غَضْبَا
 جِزَاءً عَلَى مَا فَلَ مِنْ سَتْرِهَا غَرْبَا
 وَمَا اسْطَعْتُمْ فَاسْتَدْرَكُوا صَدْعَهَا رَابَا

(^١) إلاب: القوم تجمع بينهم الحزازات والأحقاد.

(^٢) فاكهة أبا: أي طرية.

أغاثت نفوساً ما أحنَّ وما أصبى
لكم - ما أردتكم - في مودتنا قُربى
وكونوا لنا حزباً، نكن لكم حزبا
من الخير إن تُبعث تزدكم بنا عجباً
من الودِّ زدنا فيه ما يرفع العتبا
لنا وكلانا مُعتبٌ بعد من أربى
إلينا وحقاً لا نريد به شغبا
إذا كنت تلقى عندها الفرد لا الشعبا

بغداد، عام ١٩٤٣

فيا لك بُشرى ما أرقَّ وما أصفى
ويا حلفاء اليوم والأمسِ إننا
أريدوا بنا خيراً نعدكم بمثله
وظنُّوا بنا خيراً ففينا كما مِن
ولا تذكروا عتباً فإنَّ موطداً
ولا فكيلاً وه عتاباً بمثله
ولا تخلطوا شغباً عليكم مُبغضاً
وأخوا بنا شعباً وهانت أحوه



٦٨

ديوان الجواهري

أمم تَجِدُّ ونلعب

٦٩

ديوان الجواهري

بدأ بنظمتها عام ١٩٤٢.

٧٠

ديوان الجواهري

أُمٌّ مَجْدٌ وَنَلْعَبُ وَيُعَذَّبُونَ وَنَطْرَبُ
المشرق الواعي يَحْطُّ مَصِيرُهُ وَالْمَغْرِبُ
فَهُنَا دَمٌ يَتَعَهَّدُ الْجِيْلَ الْجَدِيدَ فَيَسْكَبُ
وهنا كِفَاحٌ - في سَبِيلِ تَحْرِيرٍ - وَتَوَثُّبُ
وهنا جَاهِرٌ يُحِبُّ بِهَا زَعِيمٌ أَغْلَبُ

وَنَعِيشُ نَحْنُ كَمَا يَعِيشُ عَلَى الضَّفَافِ الطُّحْلُبُ
مُتَطَفِّلِينَ عَلَى الْوَجُودِ نَعُومٌ فِيهِ وَنَرْسَبُ
مُتَذَبذِبِينَ وَشَرُّ مَا قَتَلَ الطَّمُوحَ تَذَبذَبُ
نُوحِي التَطْيِيرَ كَالْغُرَابِ إِلَى النَفُوسِ وَنَنْعَبُ
وَنُبْتُ رُعباً فِي الصَّفُوفِ بِمَا نُدَسُّ وَنَكْذِبُ
نَدْعُو إِلَى الْمُسْتَعْمَرِينَ لِسُوطِهِمْ نَتَّحِبُّ
نَهْوِي نَقْرَهُمْ وَفِيهِ حَتْفُنَا يَتَقَرَّبُ
مَتَخَاذِلِينَ كَمَا يَشَاءُ تَعْنُتُ وَتَعْصَبُ
إِنَّ الْعِرَاقَ بِمَا نُحَشِّدُ ضِدَّهُ وَنُؤَلِّبُ

بَيْتٌ عَلَى يَدِ أَهْلِهِ مِمَّا جَنَوا يَتَخَرَّبُ

إِنَّ الْحَيَاةَ طَرِيقُهَا وَعَرٌّ بَعِيدٌ مُجْدِبٌ
عَرَقُ الْجَبِينِ عَلَى الدَّمَاءِ فُوقِهَا يَتَصَبَّبُ
وَمِنَ الْجَمَاجِمِ مَا يَعِيقُ الْوَاهِنِينَ وَيُرْهِبُ
يَمْشِي عَلَيْهَا الْإِبْنُ يُنَجِّزُ مَا تَرَسَّمَهُ الْأَبُ
وَلَكُمْ تَخَلَّفَ مَعْشَرٌ عَنْهَا وَشُرَّدَ مَوْكِبُ
ووراءها الواحاتُ طابَ مَراحُها والمَشْرَبُ
وَنُرِيدُ نَحْنُ لَهَا طَرِيقاً مَنهْجاً لَا يُنْصَبُ^(١)
الْجَاهُ يَنْعَمُ تَحْتَ ظِلِّ جِهَادِنَا وَالْمَنْصَبُ

قُلْ لِلشَّبَابِ تَحَفَّزُوا وَتَيَقَّظُوا وَتَأَلَّبُوا
وَتَأَهَّبُوا لِلطَّارِئَاتِ فَإِنَّهَا تَتَأَهَّبُ
سَيَجِدُ مَا سَيَطُولُ إِعْجَابٌ بِهِ وَتَعْجَبُ
سَيَزُولُ مَا كُنَّا نَقُولُ مَشْرُقٌ وَمُغْرَبٌ

(١) ينصب: يتعب.

ستكون رابطة الشعوب مَبْغُضٌ و مَحْبَبٌ

سِيروا ولا تَسْتَوْحِشُوا وِرْدُوا ولا تَتَهَيَّبُوا
لا تَظْمَأُوا إن الحياة مَعِينُهَا لا يَنْضَبُ
سِيروا خِفاقاً، نَفْسُكُمْ و صَفَاؤُهَا، والمذهب
لا تُثْقِلُوهَا بالعويصِ وبالغريبِ فَتَتَعَبُوا
وَتَلْمَسُوا أَفْقاً تَلَبَّدَ غَيْمُهُ، و تَرَقَّبُوا
يَنْهَضُ لَكُمْ شَبْحٌ بِمَسْفُوحِ الدماءِ مُحَضَّبِ
غَضِبِ الصِّبَا وَكَأَنَّهُ مِمَّا تَغَيَّرَ أَشْيَبِ
ذو عارضينِ فمؤنسٌ جَذَلٌ، وآخرُ مُرْعَبِ
يَرنو إلى أمسٍ فيعيسُ عِنْدَهُ.. وَيُقْطَبُ
ويلوحُ فجرٌ غَدِ فيركُضُ نحوه و يُرْحَبُ
يأوي إليه مُعَمَّرٌ ويخافُ منه مُحَرَّبُ
مخَضُ الحياة فلم يفتنه مُصْرَحٌ ومُرَوَّبٌ^(١)
وانزاحَ عن عينيه ما يُطوى عليه مُغَيَّبِ

(١) المصريح: هو الخالص من اللبن. والمروب: الخاثر.

فاستلهموه فخير من رسم الطريق مجرب

لا تجمّدوا إنّ الطبيعة حُرّة تتقلّب
كونوا كرقراق بمدرجة الحصى يتسرّب
تأتي الصخور طريقه فيجوزهنّ ويذهب
وخذوا وجوه السانحات من الظروف فقلّبوا
فإذا استوت فتقحموا وإذا التوت فتكّبوا
وإذا وجدتم جذوة فضعوا الفتل وأهبوا
مدّوا بأيديكم إلى هذا الخليط فشدّوا
وتناولوا جمراتكم أنا وأنا فاحصبوا^(١)
لا تحذروا أن تغضبوا من سرّه أن تغضبوا
كونوا كعاصفة تُطوّح بالرمال وتلعب
وتطلبوا بالحتف من الحُوفكم يتلّب
لا يؤيسنكم مقلّ عديديكم أن تغلبوا
إن لم يكن سبب يمدّ خطاكم فتسببوا
لا تنفروا إنّ الحياة إليكم تتقرب
لكم الغد الداني القطوف وصفوه المستعذب

^(١) الجمرات: الحصى. حصب: ضرب بالحصباء.

إِنَّ النُّضَالَ مُهِمَّةٌ يَعِيبُهَا الْمُتْرَهَّبُ

سِيرَى الَّذِينَ تَدَثَّرُوا وَتَزَمَّلُوا وَتَجَلَّبَبُوا^(١)
وَتَحَدَّثُوا نَزْرًا كَمِعْزَاةٍ بِجَدْبٍ مُخْلَبٍ
وَتَنَادَرُوا هَمْسًا كَمَا نَاغَى "جَنِيدَبَ" جُنْدُبَ^(٢)
خُطُوا أُنْهُمُ وَشَفَاهُهُمْ وَرُؤُوسُهُمْ تَتَرْتَّبُ
نَسَقًا كَمَا الْأَجْرُ صَفْفَهُ صَنَاعٍ مُدْرَبِ^(٣)
إِنَّ الْحَيَاةَ سَرِيعَةً وَجَرِيئَةً لَا تُغْلَبُ
تَرْمِي بِأَثْقَالِ السِّنِينَ وَرَاءَهَا وَتُعَقِّبُ
وَتَدُوسُ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لِحَاقَهَا وَتَوُدُّ

بغداد، عام ١٩٤٤

(١) تَزَمَّلُ: تَدَثَّرُ.

(٢) الْجُنْدُبُ: نَوْعٌ مِنَ الْجُرَادِ.

(٣) الصَّنَاعُ: الْمَاهِرُ فِي صِنْعَتِهِ.

نشيد العودة

(استرداد سواستبول)

لله دُرُكٌ من وليدٍ في عيد مولده السعيد
حَيْثُ مَطْرَةُ الدَّمَارِ بِمِثْلِ قَاصِفَةِ الرُّعُودِ
وأظْلَمَ من كل قاذفةٍ غرابٌ من حديد
ومشى بهذا المَهْدِ ما يحدو المهودَ إلى اللُّحودِ

يا أختِ أمِّسِ المالىءِ الدنيا بجبارٍ عنيد
أسدى وقد جَحَدَ الخلودَ يدَا تَرْفُ على الخُلُودِ
أومى إلى زُميرِ المناقبِ من طريفٍ أو تليد
من كلِّ شاكٍ ما استباح له المؤرِّخُ من حدُودِ
فاتته رازحةُ الخطى تشكو من الجهدِ الجهيدي
يبدو على شَمَمٍ وإيثارٍ وإقدامٍ وجُودِ
جُرحٍ بليغٍ في الفؤادِ ولطممةٌ فوق الخدودِ
فأقرهم في أي أنصبةٍ ومُصطَلحٍ وطبيدِ
من هذه الأرواحِ ثائرةٌ على صَنكِ الجلودِ
مما يُجسِّده نضالُك للفضيلة من جنودِ

مِن هَذِهِ الْأَشْلَاءِ نَافِحَةٌ الْأَرِيحُ عَلَى الصَّعِيدِ
بِالْأُمَّ هَاوِيَّةً عَلَى الْبَعْلِ الْكَرِيمِ، عَلَى الْوَلِيدِ
إِنَّا قَرَأْنَا فِيكَ مَعْنَى لَفْظِ تَارِيخٍ مَجِيدٍ
فَضَّلْتَ "أَمْسٍ" عَلَى "غَدٍ" وَطَغَى "الْقَدِيمِ" عَلَى "الْجَدِيدِ"

يَا أُخْتَ مُحْتَرَشِ الْحَمَامِ وَأُمَّ مُقْتَنِصِ الْأَسْوَدِ^(١)
فُوزِي بِعُقْبَى مَا وُعِدْتَ فَقَدْ صَبَرْتَ عَلَى الْوَعِيدِ
وَلَقَدْ صَبَرْتَ عَلَى التِّي يَعِيَا بِهَا صَبْرُ الْجَلِيدِ
فَلَقَدْ صَبَرْتَ عَلَى رِيَّاحِ الْمَوْتِ تَعَصِفُ بِالْحَصِيدِ
وَعَلَى جَحِيمٍ مِنْكَ عَبَّأ مَا تَخَيَّرَ مِنْ وَقُودِ
وَعَلَى أَمْرٍ مِنَ الْجَحِيمِ، شِمَاتَةَ النَّمْرِ الْحَقُودِ

صُغْتَ السُّدُودَ مِنَ الصَّدُورِ تَرْدُ عَادِيَةِ السُّدُودِ
وَمَشَيْتِ أَنْتِ إِلَى الرَّدَى فَأَخَذْتَ مِنْهُ بِالْوَرِيدِ
بَلِيَّ الْبَلِيَّ بِأَشَدِّ مِنْهُ شَكِيمَةً يَوْمَ الْوُرُودِ
عُودِي فَقَدْ حَنَّ الْعَرِينُ لِعُودَةِ الْأَسَدِ الطَّرِيدِ

(١) احترش: صاد.

عودي كواسطة الجثمان تعود للعقد الفريد
عودي نشيداً خالداً ولأنتِ ملهمة النشيد

بغداد، عام ١٩٤٤

إلى الرصافي

٨٣

ديوان الجواهري

نشرت في جريدة "الرأي العام"، وقدمها الشاعر: "في عزلة - لولا عرائس عبقر التي تحوم حولها لقلنا إنها موحشة - يقضي صاحب "العالم شعر" و"الدستور" و"السجن في بغداد" و"الفقر والسقام" و"الفسفور" ما تبقى من عمره، وهو يذلف إلى الثمانين موقرة بأثقال الإحساسات المرهفة.. ولواجب الخواطر المتراكمة.. وذكريات الأدوار العنيفة. في عزلة كهذه يقضي أيامه المتبقية الشاعر الذي غنى الأقطار العربية في أعراسها وناح عليها في مآتمها. وراقها في أيام محتتها ورخائها. وبؤسها ونعيمها. والذي صدع بحرية "الرأي" و"قدسية" العقيدة.. إذ لا سائل عنهما، ولا متحدث بهما، في غمرة "النسيان" و"التجاهل" و"العقوق" يقضي الرصافي ساعاته وأيامه، في البلد الذي ناغاه وناجاه وأنار في جنباته شعاباً كثيرة مظلمة. فهل أقل من أن "نؤنسه" في وحشته هذه بأن نذكره فحسب. ولكن "قبل أن يموت"؟. هذا هو كل ما نعتز به في تذكركنا إياه بهذه القطعة التي هي في طريقها إلى القصيدة الكاملة".

وقد أجاب عنها الرصافي بقصيدة مطلعها:

بك اليوم لا بي أصبح الشعر زاهرا
وقد كنت قبل اليوم مثلك شاعرا

وأعدت الجريدة نشرها بعد فترة وجيزة بمقدمة جديدة للشاعر:

"أردنا عندما ناغينا الشاعر العربي العظيم الأستاذ "الرصافي" أن يكون لنا شرف تذكركه وهو في عزله الموحشة. فكان لنا إلى جانب ذلك أيضاً شرف انبعاث شاعريته الفذة التي حالت حوائل المرض والانعزال و"النقمة" دون تمتع المعجبين بها في شتى الأقطار العربية وبتتاجها.

والآن وقد هزنا الأسد الرابض الضائق ذرعاً بعربيه وبني غابته. المنطوي على نفسه ألباً وغضباً وكبرياء. فليكن لنا شرف الاستماع إلى زفيره.

والآن فليضم المتغنون بشعر الأستاذ "الرصافي" هذه الترنيمة الجديدة إلى مجموعاتهم، وهذه "الزفرة" الحارة إلى السلسلة "المقطوعة" من أخواتها.

وسلام على "عيش؟" الشاعر المتمرس "بالأولى" والمتفكر في "الأخرى"؟ هذا العيش "الحر الطليق" الذي خانتنا كلمة "وفضلت"؟ في التعبير عن مقدار إعجابنا بطبيعته واحترامنا له ولصاحبه.

وسلام على الشعر "الرصافي" المتفتق نوره في الدهن المشبوب والفكر الحائر والنفس الجياشة والمستعجشة بفيضها والقلب المرتج بالعواطف الزاخرة والزاج بصاحبه في شتى المهاوي.

ذلك الشعر "الرصافي" الذي أعجبنا لأنه لم يكن "حبلأ مرغماً" "وأائله أن تلتقي والأواخر". وذلك "العيش" "الرصافي" بماضيه، وحاضره المتراكم بعضه فوق بعض بدون "تنسيق" ولا "اختيار؟" بل يوحى من "الفكر الحر" و"الصراحة" و"الجرأة" و"محض الطبيعة" وفي بعض الفترات منه يوحى "الضرورة". وهذه هي عناصر عظمته عندنا. وفي هذا جواب "الاستحباب"؟ الرقيق.

تمرّست "بالأولى" فكنت المغامرا
وفضلت عيشاً بين تلك وهذه
وما الشعرُ إلا ما تفتّق نورُه
عن النفس جاشت فاستجاشت بفيضها
وما زجّ في شتّى المهاوي برّبّه
وما هو بالجليل الذي رُحِتْ مُرغماً
وفكرت "بالأخرى" فكنت المجاهرا
به كنت - بل لولاهُ - ما كنت شاعرا
عن الذهن مشبوباً، عن الفكر حائرا
عن القلب مرتجّ العواطفِ زاخرا
وقحّمه "النهجين" قصداً وجائراً
"أوائله" أن تلتقي و"الأواخرا"

وكنت جريئاً حين يدعوك خاطرٌ
على ثقة أن لست في الناسِ واجداً
وكنت صريحاً في حياتك كلّها
فإن شأبها ما لم تجذ عنه ندحةً
فقد كنت عن وحي الضرورة ناطقاً
وقد كنت في تلك "الأماديح" شاتماً
وإلا فأنت المانع الصُغر "عن يدٍ
من الفكر أن تدعو إليك المخاطرا
على مثله - إلا القليل - مُناصر
وكان - وما زال - المصارح نادرا
شفعت به حكم الظروف مُسايرا
وقد كنت عن محض الطبيعة صادرا
مُحيطاً "بأرباب" القرائح كافرا
أبت أن تُحلى في الجنان أساوراً"

(١) إشارة الى بيت ورد للرصافي في قصيدة له ينتصر بها لحرية الفكر والرأي وهو:

ومن أجل مقتني "للمخانيث" أنكرت يدي أن تحلى في "الجنان" أساورا

وإنك أنقى من نفوس خبيثة
تعيبُ على الشعرِ التَّحَايَا رقيقةً
تريدُ القوافي المُنْسَاتِ عفيفةً
وتُنكر أن يُستنشَقَ الشعرُ "نفحةً"
وتطوي على "أمِّ الدُّنَايا" مَبَاطِنًا
كما أسدلتُ ليلاً "هَلُوكُ" مُلحَّةً
من العارِ أن نرضى التذبذبَ صامتاً
على حينِ نأبى أن تحركَ شاعراً
وإني إذ أهدي إليك تحيَّتي
أهزُّ بك الجيلَ الذي لا تهزُّه

تُراوِدُ بالصَّمتِ المُريبِ المَنَاكِرَا
وتلثِمُ من "بغلِ هجينِ" حوافِرا
وقد أشغرتُ - للفاحشاتِ - الضمائرَا^(١)
وقد فغرتُ أشداقَها والمناخِرا
وتُلقي عليها من إباءِ مَظَاهِرا
على مخدعِ العَهرِ الحَريِرِ ستائِرا
دنيئاً، خبيثاً، والغأ، متصاغِرا
ضرورةً حالٍ بدلتُ منه خاطِرا
أهزُّ بك الجيلَ العَقُوقِ المُعاصِرا
نوابِغُه، حتى تزورَ المقابِرا

بغداد، عام ١٩٤٤

(١) أشغرت: أخلت.

الأصيل في لبنان

٨٧

ديوان الجواهري

نشرت في جريدة "الرأي العام" ومقدّماتها:

"يزور - الآن - الأستاذ الشاعر محمد مهدي الجواهري سوريا ولبنان بين غياط دمشق ورياض حمانا، حيث يتمتع بجمال تلك المغاني الساحرة، ويتلقى عنها وحي الهوى والشعر. وقد استفز مشاعره منظر الأصيل على الساحل الأبيض في بيروت فصوره في هذه اللوحة الرائعة بألوان زاهية لا تجيد رقصها غير ريشته".

أَنْتَ رَأَيْتَ الشَّمْسَ إِذْ حُمَّ يَوْمُهَا
تَحَدَّرُ فِي مَهْوَى تَلَقَّفَ قُرْصَهَا
وَمَا خَلَفَتْ فِي الْجَوِّ مِنْ خَطَرَاتِهَا
وَمَا بَدَّلَتْ مِنْ زُرْقَةِ الْبَحْرِ أَلْبَتُّ
تَغْيِّرَ حَتَّى حَوَّمِ الطَّيْرِ فَوْقَهُ
وَقَدْ صَمَّتِ الْكُونُ الرَّهَيْبُ ضَجِيجُهُ
وَهَيَمَنَ رَوْحٌ مِنْ جِمَامٍ وَرَقَّةٍ
تَحَدَّرُ فِي مَهْوَى سَحِيقٍ لَتَغْرُبَا؟
تَلَقَّفَ تَنْوِيرٍ رَغِيفاً مُحْصَبَا
وَمَا خَلَعْتَ مِنْ مُرْقِصَاتٍ عَلَى الرَّبِي
بِجَمْرَتِهَا آذِيئُهُ فَتَلْهَبَا
يُحَاذِرُ أَنْ يَدْنُو إِلَيْهِ لِيُشْرَبَا
عَلَى أَنَّهُ فِي صَمْتِهِ كَانَ أَرْهَبَا
عَلَى الشَّاطِئِينَ اسْتَيْقِظَا فَنَوَّثَا

أَنْتَ رَأَيْتَ الْغَيْمَ يَلْتَمُّ فَوْقَهَا
يَغَاظِلُهَا مَا غَاظَلْتَهُ، أَخُو هَوَى
تَجَمَّعَ مِنْ أَطْرَافِهَا ثَمَّ مَسَّهُ
أَنْتَ سَأَلْتَ الْكُونُ عَنْ أَيِّ بَاعِثٍ
وَأَيِّ يَدٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ كَرِيمَةٍ
وَمَا هَذِهِ الْأَشْبَاحُ تَتْرَى؟ أَغَيْمَةٌ
غَرَابٌ تَصْبَاهُ غَرَابٌ، وَثَعْلَبٌ
يَجَاذِبُ مَتْنِيَّهَا رَدَاءً مَذْهَبَا؟
يَلَاعِبُهَا مَا اسْتَمْتَعَتْ مِنْهُ مَلْعَبَا
بِرُوعَتِهِ لِأَلَاؤِهَا فَتَشْعَبَا
بَدَا فِي غُرُوبِ الشَّمْسِ جَذْلَانٌ مُعْجَبَا؟
صَنَاعٍ، فَرَدَّتْهُ أَدِيمَا غَخْضَبَا؟
تَوَلَّدَ أَظْلَافَا وَنَابَا وَمُخْلَبَا؟
يُطَارِدُ فِي جَوْزِ السَّمَاوَاتِ تُغْلَبَا

وَتَمَّ سَنَامٌ مُسْتَجِدٌّ وَغَارِبٌ
وَتَمَّ سَفِينٌ مِنْ دُخَانِ قُلُوعِهِ
وَأَوْلَاءِ رَهْطِ الْجَنِّ بَيْنَ نَدِيهِمْ
كَأَنِّي أَرَى الْمَزْمَارَ فِي فَمِ عَازِفٍ
وَتَلَكُمُ عَلَى النَّادِي تَطُوفُ عِرَائِسُ
وَهَاتِيكَ أَقْزَاعٌ لَطَافٌ كَوْسُهَا
يُنَادِي أَنْ تَسْعَى إِلَيْهِ فَتَرْكَبَا
وَنُوتِيَّهُ رُوحَ رُخِيٍّ مِنَ الصَّبَا
يُقِيمُونَ مِنْ سِحْرِ رُوقَا مَطْنَبَا
وَأَسْمَعُ - لَوْ أَقْوَى - الْغِنَاءَ الْمُسَبِّحَا
بَدَا سَافِرًا رَهْطًا، وَرَهْطٌ تَنْقَبَا
وَحَمْرَتُهَا جَوْنُ السَّحَابِ تَذُوبَا^(١)

بغداد، عام ١٩٤٤

(١) أقزاع: جمع قزعة بفتحتيين قطعة من السحاب. والجون: الأسود.

أبو العلاء المعري

٩١

ديوان الجواهري

ألقىت في مهرجان ذكرى أبي العلاء المعري، الذي أقامه المجمع العلمي العربي بدمشق، وكان الشاعر مثلاً

للعراق.

قِفْ بِالْمَعْرَةِ وَاْمَسِّحْ خَدَّهَا التَّرْبَا
وَاسْتَوْحِ مَنْ طَبَّبَ الدُّنْيَا بِحُكْمَتِهِ
وَسَائِلِ الحُفْرَةِ المرموقِ جَانِبِهَا
يَا بُرْجَ مَفْخَرَةِ الأَجْدَاثِ لَا تَهْنِي
فَكُلُّ نَجْمٍ تَمْنَى فِي قَرَارَتِهِ
وَالْمَلْهَمِ الحَائِرِ الجَبَّارِ، هَلْ وَصَلْتَ
وَهَلْ تَبَدَّلْتَ رُوحاً غَيْرَ لَاجِبَةٍ
وَهَلْ تَخَبَّرْتَ أَنْ لَمْ يَأَلْ مُنْطَلِقُ
أَمْ أَنْتَ لَا حِقْبَا تَدْرِي، وَلَا مِقَّةَ
وَهَلْ تَصَحَّحَ فِي عُقْبَاكَ مُقْتَرِحُ

وَاسْتَوْحِ مَنْ طَوَّقَ الدُّنْيَا بِمَا وَهَبَا^(١)
وَمَنْ عَلَى جُرْحِهَا مِنْ زَوْحِهِ سَكَبَا
هَلْ تَبْتَغِي مَطْمَعاً أَوْ تَرْجِي طَلْبَا؟
إِنْ لَمْ تَكُونِي لِأَبْرَاجِ السَّمَاءِ قُطْبَا
لَوْ أَنَّه بِشُعَاعِ مَنْكَ قَدْ جُذِبَا
كَفُّ الرَّدَى بِحَيَاةِ بَعْدِهِ سَيِّبَا^(٢)؟
أَمْ مَا تَزَالُ كَأَمْسِ تَشْتَكِي اللُّغْبَا^(٣)؟
مَنْ حُرَّ رَأْيِكَ يَطْوِي بِعَدِكَ الحِقْبَا^(٤)؟
وَلَا اجْتَوَاءَ، وَلَا بُرْءَا، وَلَا وَصْبَا^(٥)؟
مِمَّا تَفَكَّرْتَ، أَوْ حَدَّثْتَ، أَوْ كُتِبَا^(٦)؟

(١) التراب (بكسر الراء): الذي يكسوه التراب.

(٢) الملهم منصوبة ((بسائل)) مضمرة.

(٣) اللاعبة: المتعبة.

(٤) لم يأل: أي لم ينفك ولم يبرح.

(٥) المقة: الحب. والاجتواء: البغض.

(٦) تفكرت: بمعنى فكرت.

نَوَّزْنَا، إِنْنَا فِي أَيِّ مُدَلِّجٍ
 ((أبا العلاء))، وَحَتَّى الْيَوْمِ مَا بَرِحْتُ
 يَسْتَنْزِلُ الْفِكْرَ مِنْ عَلِيَا مَنَازِلِهِ
 وَزُمْرَةُ الْأَدَبِ الْكَابِي بِزُمْرَتِهِ
 تَصَيِّدُ الْجَاهَ وَالْأَلْقَابَ نَاسِيَةً
 وَأَنَّ لِلْعَبْقَرِيِّ الْفِئْدُ وَاحِدَةٌ
 مِنْ قَبْلِ أَلْفٍ لَوْ أَنَا نَبْتَغِي عِظَّةً
 مَّا تَشَكَّكْتُ، إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا
 صَنَاجَةُ الشَّعْرِ تُهْدِي الْمَتْرَفَ الطَّرْبَا^(١)
 رَأْسٌ لِيَمْسَحَ مِنْ ذِي نَعْمَةٍ ذَنْبًا
 تَفَرَّقْتُ فِي ضَلَالَاتِ الْهَوَى عَصَبًا
 بِأَنَّ فِي فِكْرَةٍ قُدْسِيَّةٍ لِقَبَا
 إِمَّا الْخُلُودَ وَإِمَّا الْمَالَ وَالنَّشْبَا
 وَعَظَّمْنَا أَنْ نَصُونَ الْعِلْمَ وَالْأَدْبَا

عَلَى الْحَصِيرِ.. وَكَوَزُ الْمَاءِ يَرْفُدُهُ
 أَقَامَ بِالضَّجَّةِ الدُّنْيَا وَأَقْعَدَهَا
 بَكَى لِأَوْجَاعِ مَاضِيهَا وَحَاضِرِهَا
 وَلِلْكَابَةِ أَلْوَانٌ، وَأَفْجَعُهَا
 تَنَاوَلَ الرَّثَّ مِنْ طَبَعٍ وَمُصْطَلِحٍ
 وَأَهْلَمَ النَّاسَ كِي يَرْضَوْا مَغْبَتَهُمْ
 وَأَنْ يَمْدُوا بِهِ فِي كُلِّ مُطَّرِحٍ
 وَذَهْنُهُ.. وَرَفُوفٌ تَحْمِلُ الْكُتْبَا
 شَيْخٌ أَطَّلَ عَلَيْهَا مُشْفَقًا حَدِيبَا
 وَشَامٌ مُسْتَقْبَلًا مِنْهَا وَمَرْتَقِبَا
 أَنْ تُبْصَرَ الْفَيْلَسُوفَ الْحُرَّ مَكْتَبِيَا
 بِالنَّقْدِ لَا يَتَأَبَّى أَيَّةَ شَجْبَا
 أَنْ يُوسِعُوا الْعَقْلَ مِيدَانًا وَمُضْطَرَبَا^(٢)
 وَإِنْ سُقُوا مِنْ جَنَاهِ الْوَيْلِ وَالْحَرْبَا

^(١) المدلج: السائر في آخر الليل خاصة.

^(٢) الصنح: من آلات الطرب وصناعات الشعر المغنون به والمرقون إياه.

^(٣) المغبة: العاقبة.

بأنَّ أَلْفَ مَسِيحٍ دُونَهَا صُلْبًا
وَالدَّهْرَ.. لَا رَغْبًا يَرْجُو وَلَا رَهْبًا..
وَلَا الطُّيُورَ.. وَلَا أَفْرَاحَهَا الرُّغْبَا
وَشَجَّ مَنْ كَانَ، أَيًّا كَانَ، مُغْتَصِبَا
أَمْ أَنْتِ خَجَلِي لِمَا أَرَهَقْتَهُ نَصْبَا؟
هَذَا الَّذِي مِنْ عَظِيمٍ مِثْلِهِ سُلبَا
لِصًّا وَيُرْشِدُ أَفْعَى تَنْفُثُ العَطْبَا
فَقَدْ جَنَيْتِ بِمَا حَمَلْتَهُ العَصْبَا

لثورة الفكرِ تأريخٌ يحدُّثنا
إنَّ الذي ألهبَ الأفلاكَ مقولُه
لم ينسَ أنْ تشمَلَ الأنعامَ رحمتُه
حناءَ على كلِّ مغصوبٍ فضمَّده
سَلِ المقاديرَ، هل لازلتي سادرةً
وهل تعمَّدتِ أنْ أعطيتِ سائبةً
هذا الضياءَ الذي يَهدي لِكَمَنِيه
فإنْ فخرتِ بما عوّضتِ من هبةً

وَلَا امْتَرِي دَرَّةً مِنْهَا وَلَا حَلْبًا^(١)
يَصُدُّ مَبْتَعِدٌ مِنْهُنَّ مُقْتَرِبَا
رَحْبًا، وَأَرْهَفَ مِنْهَا جَانِبًا وَشَبَا
خَفَافًا وَيُزَكِّيهِ إِذَا انْتَسَبَا^(٢)
شِعَافَهُ وَحَبَاهَا مَعْقِلًا أَشْبَا
مِنَ العِظَامِ، إِلَى مَهزُولَةٍ عُصْبَا

تَلَمَّسَ الحُسْنَ لَمْ يَمُدُّ بِمُبْصَرَةٍ
وَلَا تَنَاوَلَ مِنْ أَلْوَانِهَا صُورًا
لَكِنْ بِأَوْسَعِ مِنْ آفَاقِهَا أَمْدًا
بِعَاطِفٍ يَتَبَنَّى كُلٌّ مَعْتَلِجٍ
وَحَاضِنٍ فُزَّعَ الأَطْيَافِ أَنْزَلَهَا
رَأْسٌ مِنَ العَصَبِ السَّامِي عَلَى قَفْصِي

(١) امتري: احتلب.

(٢) المقصود بـ ((عاطف)) هنا القلب و بـ ((معتلج)) ما يخالجه من العواطف.

أهوى على كُوءة في وجهه قدَر
وقال للعاطفات العاصفات به
ألآن يشرب ما عتقت لا طفحاً
ألآن قولي إذا استوحشت خافقه
هذا ((البصير)) يُرينا بين مُندرسٍ
رث العالم، هذا المرتع الخصباً^(١)
فسد بالظلمة الثقبين فاحتجبا^(٢)
ألآن فالتسي من حكمه هربا
يخشى على خاطر منه ولا حيبا
هذا ((البصير)) يُرينا آية عجا
رث العالم، هذا المرتع الخصباً^(٣)

((زنجية الليل)) تروي كيف قلدها
لعل بين العمى في ليل غربته
و (ساهر البرق) والسماز يوقظهم
و ((الفجر)) لو لم يلذ بالصبح يشربه
والصبح ما زال مُصفرًا لمقرنه
في عرسها غرر الأشعار.. لا الشهباً^(٤)
وبين فحمتها من ألفة نسبا
بالجزع يخفق من ذكراه مضطرباً^(٥)
من المطايا ظمأ شراً شرباً^(٦)
في الحُسن بالليل يزجي نحوه العتبا^(٧)

^(١) الكوة إشارة إلى دائرة العين ومركزها، والثقبان هما فتحتا العينين.
^(٢) مندرس رث العالم: يراد به أديم الوجه المتأثر بانطماش العينين. والمرتع الخصب: يراد به عقل أبي العلاء وروحه.

^(٣) البيت إشارة إلى بيت أبي العلاء المشهور:
ليلتي هذه عروس من "الزنج"
عليها قلائد من جمان
^(٤) إشارة إلى مطلع قصيدته الرائية المشهورة أيضاً:
يا ((ساهر البرق)) أيقظ راقد السمر لعل بالجزع أعواناً على السهر
إشارة إلى بيته وهو أجمل وأرق ما سمع في وصف تبلج الصباح:
يكاد الفجر تشربه المطايا وتملا منه أوعية شنان
^(٥) إشارة إلى بيت له من قصيدته التي مر ذكر البيت السابق منها وهو:

يا عارياً من نتاجِ الحُبِّ تَكْرِمَةً
نعوا عليك - وأنت النورُ - فلسفةً
وحملوك - وأنت النارُ لاهبةً -
لا موجةُ الصَّدرِ بالنهدينِ تدفعه
ولا تُدغِدُغُ منه لَذَّةُ حُلْمًا
حاشاك، إنَّكَ أذكى في الهوى نَفْسًا
لا أكذبُكَ إنَّ الحُبَّ مَتَّهَمٌ
كم شَيَّعَ الأدبُ المفجوعُ مُحْتَضِرًا
صَرَعى نَشَاوى بأنَّ الحَوْدَ لُعبَتُهُم
أرْتَهُمُ خَيْرَ ما في السَّحْرِ من بُدْءِ

وناسجاً عَفَّةً أبرادهُ القُشْبَا
سوداء لا لَذَّةً تبغي ولا طَرْبَا
وِرَرَ الذي لا يُحْسُ الحُبَّ ملتَهَبَا
ولا يَشقُّ طريقاً في الهوى سَرْبَا
بل لا يُطيقُ حديثَ اللذَّةِ العذبا
سَمْحاً، وأسلسُ منهم جانباً رَطبَا
بالجور يأخذُ منَ فوقَ ما وَهَبَا
لدى العيونِ وعندَ الصدرِ مُحْتَسِبَا^(١)
حتى إذا استيقظوا كانوا هُمُ اللَّعْبَا
وأضمرتُ شرَّ ما قد أضمرتُ عُقبَا

عانى لظى الحُبِّ ((بشائر)) وُعصبته
وهل سوى أنهم راحوا وقد نذروا
فهل سوى أنهم كانوا له حطبا
للحُبِّ ما لم يجبُ منهم وما وَجبا

= رب ليل كأنه الصبح في الحسن وإن كان أسود الطيلسان

والبيتان من قصيدته الشهيرة التي يقول في مطلعها:

عللاني فإن بيض الأمانى فنيته والزمان ليس بفان

^(١) المحتضر: من أدركه الموت فاشرف عليه. والمحتسب: المقصود بالموت ويقال ذلك للكبير. فان

كان المفقود صغيراً قيل فيه ((مفترط)) بفتح الراء.

هل كنت تخلد إذ ذابوا وإذ غبروا
تأبى انحلالاً رسالاتٍ مقدّسةً
لو لم ترُض من جِراحِ النفس ما صعباً
جاءت تقوّم هذا العالم الحرباً

يا حاقِرَ النبع مزهُواً بقوَّتِهِ
وشاجِبَ الموت من هذا بأسهمِهِ
ومُسْتَمَنّاً لهذا ظلُّهُ الرَّجَبِ
أن يُشْرِكَ المُعْسِرِ الخاوي بما نهبا
والتَّاجُ إذ تتحدّى رأسَ حامِلِهِ
بأيِّ حقٍّ وإجماعٍ به اعتصبا

وهؤلاء الدُّعَاةُ العاكفونَ على
الحابِطونَ حياةَ الناسِ قد مَسَخُوا
والفاتلونَ عثانيناً مُهَرَّاةً
والمُصِقونَ بعرشِ الله ما نسجت
والحاكمونَ بما تُوحى مطامعُهُم
أوهامهم، صنماً يُهدونه القُرْبَا^(١)
ما سنَّ شَرْعٌ وما بالفطرة اكتسبا
سَاءتْ لمحتطبٍ مَرعى ومُحتطباً^(٢)
أطماعُهُم: بدَعَ الأهواءِ والرِّيا
مؤوِّلينَ عليها الجِدَّ واللُّعبا

(١) النبع: شجر يعرف بقوته وتتخذ منه السهام والقسي. والغرب: شجر معروف بسهولة انكساره.

ومعنى البيت الإشارة إلى شجب المعري القوة بكل مظاهرها. واحتضانه الضعفاء من كل جنس.

(٢) يريد بهم المشعوذين باسم الدين والذين يروجون للبدع وللخرافات ويضيقون آفاق الحياة على

الجاهلير.

(٣) العثانين: جمع عثون بالضم: اللحية.

على الجلودِ من التدليسِ مدرعةٌ
ما كان أيُّ ضلالٍ جالِباً أبداً
أوسَعَتْهم قارصاتِ النقدِ لاذعةٌ
((صاح الغرابُ وصاح الشيخُ فالتبستُ
وفي العيونِ بريقٌ يخطفُ الذهباً
هذا الشقاء الذي باسمِ الهدى جُلِباً!
وقلتَ فيهم مَقالاً صادقاً عَجِباً
مسالكُ الأمرِ: أيُّ منهما نعباً))

أجللتُ فيك من الميزاتِ خالدةٌ
مجموعةٌ قد وجدناهُنَّ مُفردةٌ
فربَّ ثاقبٍ رأيٍ حطَّ فكرتهُ
وأثقلتُ مُتَعُ الدُّنيا قوادِمَهُ
بَدالهُ الحقُّ عُرياناً فلم يَرَهُ
وإن صدقتُ فما في الناسِ مُرتكباً
هذا اليراعُ، شواظُ الحقِّ أرهفه
ورُبَّ راضٍ من الحرمانِ قسَمتهُ
أرضى، وإن لم يشأ، أطماحِ طاغيةِ
وعوَضَ الناسَ عن ذُلِّ ومَترِبةِ
جيشٍ من المُثلِ الدُّنيا يُمدُّ به

حُريةَ الفكرِ والحرمانِ والغضبا
لدى سواك فما أغنينا أربا
غُنمٌ فسفَّ.. وغطى نورها فخبأ
فما ارتقى صُعداً حتى ادنى صَبِبا
ولاحَ مقتلُ ذي بغِي فما ضربا
مثلُ الأديبِ أعانَ الجورَ فارتكبا
سيفاً وخانِعُ رأيٍ ردهُ خشبا
فبرَّرَ الصبرَ والحرمانِ والسَّغبأ
وحالٌ دونَ سوادِ الشعبِ أن يثبا
من القناعةِ كنزاً مائجاً ذهباً!!
ذوو المواهبِ جيشُ القوَّةِ اللَّجِبا

آمنتُ بالله والنورِ الذي رسمتُ
به الشرائعُ غُراً منهجاً لِحِبا

وَصُنْتُ كُلَّ دُعَاةِ الْحَقِّ عَنْ زَيْغِ
وَقَدْ هَمِدْتُ شَفِيعًا لِي عَلَى رَشْدِي
لَكِنَّ بِي جَنَفًا عَنِ وَعْيِ فِلْسَفَةِ
وَأَنَّ مِنْ حِكْمَةٍ أَنْ يَجْتَنِي الرُّطْبَا
وَالْمُصْلِحِينَ الْهَدَاةَ، الْعُجْمَ وَالْعَرَبَا
أُمًّا وَجَدْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ لِي وَأَبَا
تَقْضِي بِأَنَّ الْبِرَايَا صُنِّفَتْ رُتَبًا^(١)
فَرَدُّ بِجَهْدِ أَلُوفٍ تَعْلُكُ الْكَرْبَا^(٢)

بغداد، عام ١٩٤٤

^(١) الجنف: الميل والانحراف.

^(٢) الكرب: أصول سعف النخل.

أحييكَ طه

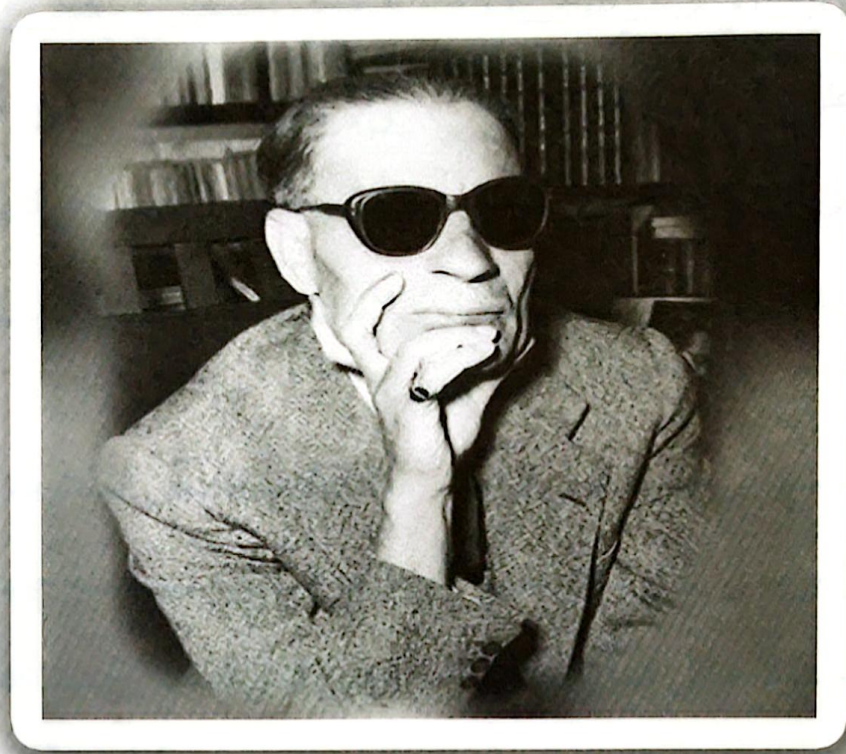
١٠١

ديوان الجواهري

نشرت في جريدة ((الراي العام)) وقدمتها:

كان عميد الأدب العربي طه حسين قد أقام مأدبة على شرف الوفود العربية المشاركة في مهرجان المعري في دمشق وباسم الحكومة المصرية، وقد حضرها أقطاب البيان والشعر والأدب من شتى الأقطار العربية. وفي هذه المأدبة أنشد صاحب هذه الجريدة القطعة التالية معبراً فيها عن مكانة الدكتور طه السامية في نفوس العراقيين وداعياً إياه لزيارة العراق الذي يكنّ أبناؤه المثقفون الإعجاب الشديد بأدبه الجم. وقد أجاب سعادته عليها بكلية مؤثرة استهلها:

((وصدق الرسول العظيم: إن من البيان لسحراً، وأن من الشعر لحكمة)) لقد أفحمني الأستاذ الجواهري بهذا البيان الساحر الذي هو البقية الباقية من التراث الأدبي العربي الصحيح. وبدعوته الكريمة إياي لزيارة العراق الذي أكنّ له في قلبي الحب والشوق. وإن كان قد قرّني بالمعري الذي لست بالغ شأوه. وإنه لمما يسرّني أن تتهيباً لي الأسباب في القريب العاجل لإجابة دعوة الأستاذ الجواهري)).



١٠٣

ديوان الجواهري

أُحْيَيْكَ ((طه)) لا أُطِيلُ بِكَ السَّجْعَا
أُحْيَيْكَ فَذًّا فِي ((دِمَشَقَ)) وَقَبْلَهَا
شَكَرْنَاكَ: أَنَا فِي ضِيَاةٍ نَابِغٍ
ذَرَفْتُ - عَلَى أَنْ لَا يَرَانَا بِطَرْفِهِ
وَكُنَّا عَلَى آدَابِكَ الْغُرِّ قَبْلَهَا
نَهَضْتَ بِنَا جِيلاً وَأَبْقَيْتَ بَعْدَنَا
كَفَى السَّجْعُ فَخْرًا مُحْضٌ إِسْمُكَ إِذْ تُدْعَى
((بِبَغْدَادَ)) قَدْ حَيَّيْتُ أَفْذَاذَكُمْ جَمْعَا
نُمَتِّعُ مِنْهُ الْعَيْنَ وَالْقَلْبَ وَالسَّمْعَا
وَإِنْ حَسْنَا بِالْقَلْبِ - مِنْ أَسْفَى دَمْعَا
ضُيُوفًا فَمَا أَبْقَيْتَ فِي كَرَمٍ وَشِعَا
لَأَبْنَائِنَا مَا يَحْمِدُونَ بِهِ الْمَسْعَى

أَبَا الْفِكْرِ تَسْتُوْحِي مِنَ الْعَقْلِ فَذَه
وَيَا سِحْرَ مُوسَى إِنَّ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ
لَكَ اللَّهُ مَحْمُولًا عَلَى كُلِّ خَاطِرٍ
أَنْبِيَّكَ أَنْ ((الرَّافِدِينَ)) تَطَلَّعْتُ
نَمَى خَبْرٌ أَنْ سَوْفَ تَسْعَى إِلَيْهِمَا
وَقَدْ نَذَرَ الصَّفْصَافُ وَارْفَ ظَلُّهُ
هَلُمَّ لِشَطَّانِ الْفُرَاتَيْنِ وَاسْتَمِعْ
وَطَارِحٌ بِهِ سَجَعَ الْحَمَامِ فَإِنَّهُ
وَإِذَا الْأَدَبُ الْغَضُّ اسْتَثَرَتْ بِهِ الطَّبْعَا
لَمَا تَجْتَلِي مِنْ آيَةٍ حَيَّةٍ تَسْعَى
وَمَنْ كَلَّ قَلْبٍ رُحْتَ تَحْتَلُّهُ تُرْعَى
ضِفَافُهَا وَاسْتَنْهَضَ الشَّجْرُ الزَّرْعَا
فَكَادَ إِلَيْكَ النَّخْلُ مِنْ طَرِبٍ يَسْعَى
عَلَيْكَ وَأَوْصَى - أَنْ يَسَاقِيكَ - النَّبْعَا
أَهَازِيهَا تَسْتَطْرِفُ الْمَعْجَزَ الْبَدْعَا^(١)
لُهَاثٌ عَلَى الْجَرْحَى، نُوَاخٌ عَلَى الصَّرْعَى

^(١) البدع: الطريف المعجب.

وواسٍ عليه الرازحين من الهوى
هناك تلمس ((ضائع الحب)) وافتقد
وجدد لنا عهد ((المعري)): إنه
وكنّا إذا ضاقت بلادُ برائدٍ
إلى الآن في بغداد تُستافُ مسكةٌ
ونمزجُ من ماء الفراتين جرعة
ونهوى السفين الحائرات كأمها
أجل، قد خطفناها مخافة فرقة
وضاق به ذرعاً وحسبي شاهداً

وطبّب هناك النازعات به نزعا^(١)
ضحاياه وارأب للقلوب به صدعا^(٢)
قضى، وهوى بغداد يلذعه لذعا^(٣)
أتانا فلا المرتاد ذم ولا المرعى
لناقتِه مما أثارت بها نقعا^(٤)
بذاكره مما عبّ من صفة جرعا
سفينته إذ تشتكي الأين والضلعا^(٥)
وخشية إزماع نضيق به ذرعا^(٦)
((نبي من الغربان لا يعرف الشرعا))^(٧)

^(١) الرازحون: المتعبون. والنازعات: من أدركهن الموت.

^(٢) ضائع الحب: إشارة إلى كتاب الدكتور ((طه)) (الحب الضائع).

^(٣) إشارة إلى بيت المعري في (وداع بغداد)

أودعكم يا أهل بغداد والحشا على جمرات ما ينين من اللذع

^(٤) المسكة: الطينة العطرة. الناقة: كناية عن السفينة التي أقلت أبا العلاء إلى بغداد بطريق الفرات،

وقد كنى بها المعري في موارد من شعره عن السفينة.

^(٥) الأين: التعب. الضلع: الميل والعوج.

^(٦) البيت وما بعده إشارة للرواية التي اختلف فيها المؤرخون وصدقها أكثرهم من أن سفينة أبي العلاء

قد سرت منه في مرساها في محلة الأنباريين ببغداد. الإزماع: قرار على السفر.

^(٧) إشارة إلى مطلع قصيدة أبي العلاء المعروفة في وداع بغداد والتي مر ذكر البيت السابق منها وهو:

هلمَّ إلى ((بغداد)) لا تخشَ خاطفاً
فإننا نسجنا من ((فريد)) لك الدرعا^(١)
سنحجزه نرتادُ ذكراك عنده
وينفحنا من طيب أنفاسك الردعا^(٢)

دمشق عام ١٩٤٤م

= نبي من الغربان ليس على شرع يذكرنا أن القلوب إلى صدع

^(١) هو ((فريد شحاتة)) سكرتير الدكتور طه.

^(٢) الردع: الزعفران وأثر الطيب في الجسد.

جمال الدين الأفغاني

١٠٩

ديوان الجواهري

ألقى في حفل الاحتفاء بمرور وفات جمال الدين الأفغاني من العراق في طريقه إلى أفغانستان الذي أقيم في

الحضرة الكيلانية صباح يوم ١٤ / ١٢ / ١٩٤٤.

هَوَيْتَ لِنَصْرَةِ الْحَقِّ الشُّهَادَا
 وَلَوْلَا الْمَوْتُ لَمْ تَتْرُكْ جِهَادَا
 وَلَوْلَا الْمَوْتُ لَمْ تُفْرِحْ فُرَادَى
 وَلَوْلَا الْمَوْتُ لَمْ يَذْهَبْ حَرِيقُ
 وَإِنْ كَانَ الْحَدَادُ يَرُدُّ مَيْتَا
 فَإِنَّ ((الشَّرْقُ)) بَيْنَ غَدٍ وَأَمْسٍ
 فَلَوْلَا الْمَوْتُ لَمْ تُطِيقِ الرَّقَادَا
 فَلَلَّتْ بِهِ الطَّغْيَاءَ وَلَا جِلَادَا
 صَعَقَتْهُمْ، وَلَمْ تُحْزِنْ سَوَادَا^(١)
 بِيَانَعَةٍ وَقَدْ بَلَغَتْ حَصَادَا
 وَتَبْلُغُ مِنْهُ ثَاكِلَةً مُرَادَا
 عَلَيْكَ بِذَلِكَ لَيْسَ الْحِدَادَا!

تَرْفَعُ أَيُّهَا النُّجْمُ الْمُسْجَى
 وَدُزُّ بِالْفِكْرِ فِي خَلْدِ اللَّيَالِي
 وَكُنْ بِالصَّمْتِ أْبْلَغَ مِنْكَ نَطْقَا
 فَإِنَّ الْمَوْتَ أَقْصَرَ قَيْدَ بَاعٍ
 وَزِدْ فِي دَارَةِ الشُّرْفِ اتِّقَادَا
 وَجُلْ فِي الْكَوْنِ رَأْيَا مُسْتَعَادَا^(٢)
 وَأُورِي فِي مُحَاجَجَةِ زِنَادَا^(٣)
 بِأَنْ يَغْتَالَ فِكْرًا وَاعْتِقَادَا^(٤)

جَمَالَ الدِّينِ، يَا رُوحًا عَلِيًّا
 تَنْزَلَ بِالرِّسَالَةِ ثَمَّ عَادَا

(١) فرادى: يعني الخاصة. السواد: يعني العامة.

(٢) الخلد: البال والقلب.

(٣) النطق (بفتح النون وكسر): الناطق.

(٤) القيد هنا بمعنى المقدار ويجيء بكسر القاف ويفتحها.

تَجَشَّمتَ المِهاالِكِ في عَسوفِ
 طَريقِ الخالِدينَ، فَمِنَ نَحامى
 كَثيرِ الرُّعْبِ بالأشلاءِ، غَطَّتْ
 جِماجِمُ رائِدي شَرفِ وحقِّ
 وأشباحُ الضحايا في طِواءِ
 وفوقَ طُروسه خُطَّتْ سُطورُ
 شَقَقَتْ فِجاجةُ لم تَخشَ تَيْهاً
 لأنكَ حامِلٌ ما لا يُوازى
 وتختلفُ الدُروبُ وسالكوها
 ويختلفُ البُناةُ ورُبَّ بانٍ
 وأنتَ ازدَدتَ من سُمِّ زُعافٍ
 نضالِ المُستبَدِّ، يَرى انكشافاً
 إذا استحلَّ غَوايتَه وأصغى
 خَشيتَ اللهُ عن عَليمٍ وحقِّ
 طَلَبتَ اللِّذَةَ الكُبرى فكانت
 وأعصاباً تُشُدُّ على الرِّزايا

تَجَشَّمتُ سِواكُ فِما اسْتَقاداً^(١)
 مِصايرَهُمُ نَحاماهِ وحادا
 مَغاورُهُ الجِماجِمُ والوهادا
 تهاووا في مجاهِلِهِ ارْتِبادا!
 على السارينَ تَحْتَشِدُ احتشادا!
 دُمُ الأحرارِ كان لها مِدادا
 ومَذئِبَةٌ ولسيلاً وانفِرادا
 بقوَّتِهِ: العقيدَةُ والفِؤادا!
 وغايبَتِها، دُنُوًّا وابتِعادا
 بَنى من فِكرةٍ صَرحاً وشادا
 تَدَوَّقَهُ سِواكُ فِما اسْتزادا!
 عِمايتُهُ، وعِشرَتُهُ سِدادا^(٢)
 إلى المِتلِزَلِّينَ لِهَ تَمادى
 إذا لم تَخشَ في الحِققِ العِبادا
 طَريفَ الفِكرِ والهِمَمِ التَّلادا
 إذا طاشَتْ وتَغَلِبُها اتِّنادا

(١) العسوف: الصعب الوعر. استفاد: انقاد.

(٢) نضال المستبد بدل من ((سم زعاف)) في البيت السابق.

وَمَا كُنْتَ كَالْفَجْرِ انبلاجاً
 مَشَيْتَ بِقَلْبِ ذِي لَبِذِ هَاصُورِ
 صَلِيبِ الْعُودِ، لَمْ يَغْمِزْكَ خَوْفٌ
 وَلَمْ تَنْزِلْ عَلَى أَهْوَاءِ طَاغِ
 وَلَمْ تَجِدِ الْأُمَانِيَّ وَالْمَنَائِيَا
 وَلَمْ أَرِ فِي الرَّجَالِ كُؤُوسَ تَمِيدٍ
 وَكَانَ مُعْكَرَانِ: الظُّلْمُ يَطْفِي
 وَلَمْ تَحْتَجَّ أَنْ الْبَغْيِيَّ جَيْشُ
 وَلَا أَنْ اللَّيَالِيَّ مُحْرِجَاتُ
 وَأَنَّ الْأَمْرَ مَرهُونٌ بِوَقْتِ
 مَعَاذِيرِهَا ادَّرَعَتْ نُفُوسُ
 تُرِيدُ الْمَجْدَ مُرْتَمِيَا عَلَيْهَا
 ((وَالْعَنْقَاءُ تَكْبُرُ أَنْ تُصَادَا))^(١)
 ((تَعَانِدُ)) مِنْ تُرِيدُ ((لَهُ الْعِنَادَا))
 وَلَمْ تَسْهُلْ عَلَى التَّرْفِ انْعِقَادَا^(٢)
 وَلَا عَمَّا تُرِيدُ لِمَا أَرَادَا
 مُسَوِّغَةً عَنِ الْحَقِّ ارْتِدَادَا
 مِنَ الْحَقِّ اعْتِزَازاً وَاعْتِدَادَا
 وَمُظْلُومٌ، فَلَمْ تَقِفِ الْحَيَادَا
 وَأَنَّ الزَّاحِفِينَ لَهُ فُرَادَى
 وَأَنَّ الدَّهْرَ خَصْمٌ لَا يُعَادَى
 يَنَادِي حِينَ يَأْزِفُ لَا يُنَادَى^(٣)
 ضِعَافٌ تَرَهَّبُ الْكُورِبُ الشَّدَادَا
 جَنَى غَضًّا تَلَقَّفُهُ اذْدِرَادَا!

^(١) في هذا البيت والبيت الذي يليه تضمين ومعارضة لبيت المعري المشهور:

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا

أي فعاند من تريد، وليس من تطيق عناده!

^(٢) انعقد الشيء وعليه: أي خلص له واستقام.

^(٣) يأزف: أي يمحين.

جمال الدين كنت وكان شرق
 وكانت جنة في ظل سيف
 وإيمان يقود الناس طوعاً
 وناس لا الحضارة دنسهم
 وكانت ((عروة وثقى)) تزجي
 ونية ساسة بسطت فبانت
 وحكم كالذجي عريان صاف
 ولم يدخل من الألوان ظلاً
 دجا قسراً وساد، وكان شهياً
 وجئت ورفقة لك كالدراري
 تصد عبابه وجهاً لوجه

جمال الدين كنت وكان عهد
 نماً واشتط واشتدت عراه
 سقيت لما صمدت له العهد^(٣)
 وزاد الصامدون له اشتدادا

^(١) ((عروة وثقى)) إشارة إلى المجلة الشهيرة التي كان يصدرها في باريس الفقيدان ((الأفغاني)) و

((عبد)) ويناضان بها الاستعمار البريطاني في الشرق.

^(٢) أنكر ينكر: ونكر ينكر.

^(٣) العهد: المطر.

مَشَتْ خَمْسُونَ بَعْدَكَ مُرْخِيَاتٍ
 مَحْمَلَةٌ وَسُوقًا مِنْ فُجُورٍ
 تَحَوَّرَتِ السِّيَاسَةُ عَنْ مَدَاهَا
 وَبَاتَ الشَّرْقُ لَيْلَتَهُ سَلِيماً
 عَلَى حُكَمِينَ مِنْ شَفَعِ وَوَثِرِ
 وَلُطْفَتِ الْإِبَادَةِ، فَهُوَ حُرٌّ
 وَمُدَّتْ إِصْبَعٌ لَدَوِيهِ فِيهِ
 فَكَمْ فِي الشَّرْقِ مِنْ بَلَدٍ جَرِيحِ
 تَشَكَّى بَغْيِي مُقْتَادٍ بَغِيضِ
 فَكَانَتْ حِيلَةً أَنْ يَمْتَطِيهِ
 صَدِيٌّ لِلْأَجْنَبِيِّ، وَرُبَّ قَفِيرِ
 وَكَانَ أَجَلٌ مِنْ زُمَرٍ إِذَا مَا
 فَكَانُوا مِنْهُ فِي الْعَوْرَاتِ سِتْرًا
 تَرَوِي مِنْ مَطَامِعِهِ وَأَبْقَى
 وَكَانَ إِذَا تَهَضَّمُهُ غَرِيبٌ
 أَعْنَتَهَا، هِجَانًا لَا حِيَادًا^(١)
 وَشَانِحَةً كَمُحَصَّنَةٍ تَهَادِي^(٢)
 إِلَى أَنْأَى مَدْيٍ وَأَقْلَّ زَادَا
 عَلَى حَالِيْنَ مَا اخْتَلَفَا مُفَادَا
 عَصَارَةٌ كُلِّ ذَلِكَ أَنْ يُسَادَا
 بِأَيِّ يَدٍ يُفَضِّلُ أَنْ يُيَادَا!
 فَعَاثَتْ فَوْقَ مَا عَاثُوا فَسَادَا!
 تَشَكَّى لَا الْجُرُوحَ بَلِ الضُّمَادَا!
 تَأَبَّى أَنْ يُطَاوَعَهُ انْقِيَادَا
 رَضِيْعٌ لِبَانِهِ فَبَغْيِي وَزَادَا
 أَعَادَ صَدِيٌّ فَسَرَّ بِمَا أَعَادَا
 تَجَنَّى الْمُسْتَيْحُ، بِهَا تَفَادَا
 وَكَانُوا فَوْقَ جَهْرَتِهِ رِمَادَا
 لَهُمْ مِنْ سُؤْرِ مَا وَرَدَ، الثَّمَادَا
 أَقَامَ لَهُ الْقِيَامَةَ وَالْمَعَادَا

^(١) خمسون: يراد بها السنون التي اعقبت موت السيد الأفغاني. ومرخيات اعنتها: كناية عن

استرسالها. والهجان غير الكريمة ولا الأصيلة في أنسابها.

^(٢) الوسوق: الأحمال والأثقال.

فأسلمته الغريبُ إلى قريبٍ
وكان الأجنبيُّ وقد تولى
يرى أدنى الحقوق لهم عليه
فأضحوا يحسبون النقدَ فتحاً
فبئس مُنى لمصفودٍ ذليلٍ
وبئس مصيرٌ مُفترشينَ جمرأً
وكانوا كالزروعِ شكتُ حولاً
يُسخرُهُ كما شاء اضطهادا
زمامَ الأمرِ واغتصبَ البلادا
مُساغَ النقدِ والكليمَ المعادا
لو اسطاعوا لما يصمُّ انتقادا
لَو أَنَّ يَدِيه لَمْ تَضَعَا الصِّفادا^(١)
تَمَنِّيهِمْ لَو افترشوا القتادا^(٢)
فلما استمطرتُ مُطرتُ جرادا!

بغداد عام ١٩٤٤

(١) الصفاد: بالكسر ما يوثق به الأسير.

(٢) القتاد: شجر له شوك.

يافا الجميلة

١١٧

ديوان الجواهري

قدمتها جريدة ((الرأي العام)) عند نشرها بالمقدمة الآتية:

((القطعة الشعرية التي ألقاها صاحب هذه الجريدة في الحفلة التي أقامها لتكريمه المجمع الثقافي في ((بافا)) الذي يمثل عدة نواد ثقافية وأدبية، حاول فيها - ما استطاع - أن يعبر عن إحساساته المختلطة تجاه سحر البلد الجميل، وأهاليه الأطيب، والسدود المضروبة بين هذه الأقاليم المفرقة.

بد ((يافا)) يوم حُطَّ بها الرِّكابُ
ولفَّ الغادة الحسناء ليلٌ
وأوسعها الرِّذاذُ السَّحُّ لثماً
و ((يافا)) والغُيومُ تطوف فيها
وعاريةُ المحاسنِ مُغرياتِ
كأنَّ الجُوبَ بين الشمسِ تُزهى
فؤادُ عامرِ الإيمانِ هاجتِ
وقفتُ مُوزَّعَ النظراتِ فيها
وموجُ البحرِ يَغسِلُ أخصَّصيها
و ((بياراتها)) ضربتُ نطاقاً
فقلتُ وقد أخذتُ بسحرِ ((يافا))
(فلسطين))، ونعم الأمُّ، هذي

تمَطَّرَ عازِضٌ ودجا سحابُ
مريبُ الخطو ليسَ به شهابُ
ففيها من تحرُّشه اضطرابُ^(١)
كحالميةٍ يُجلِّلُها اكتئابُ
بكفِّ الغيمِ خيطَ لهاثيابُ
وبين الشمسِ غطَّاهانِ قابُ
وساوسُةٍ فخامرُهُ ارتيابُ
لطرفي في مغانيها انسيابُ
وبالأنواءِ تغتسلُ القبابُ
يُحطِّطُها كما رُسمَ الكتابُ^(٢)
وأترابِ ليافا تُستتابُ
بناتكِ كلُّها خودٌ كعابُ^(٣)

* * *

أقلَّتني من الزَّوراءِ ريحٌ إلى ((يافا)) وحلَّقَ بي عُقابُ

^(١) الرذاذ: المطر الضعيف في أول نزوله. والسح مصدر أقيم مقام الصفة وهو بمعنى المنصب والمنسكب.

^(٢) البيارات: هي مغارس البرتقال عند أهل فلسطين.

^(٣) خود: حسناء.

فيالك ((طائراً)) مَرِحاً عليه
 كأن الشوق يَدْفَعُهُ فيذكي
 ركبناه لِيُبَلِّغَنَا سَحَاباً
 أرانا كيف يَهْفُو النجمُ حُبّاً
 وكيف الجوّ يُرْقِصُهُ سَنَاها
 فما هي غيرُ خاطرةٍ وأخرى
 وإلا غفوةٌ مسّتْ جُفوننا
 وإلا صحوَةٌ حتّى تمطّتْ

طيورُ الجوّ من حَنَقِ غِضَابُ
 جوائِحه من النجم اقترابُ
 فجاوزه، لِيُبَلِّغَنَا السَّحَابُ
 وكيف يُغَازِلُ الشمسَ الضَّبابُ
 إذا خَطَرَتْ وَيُسَكِّرُهُ اللُّعَابُ
 وإلا وَثْبَةٌ تُنَمِّ انصِبابُ
 بأجوازِ السَّماءِ لها انجذابُ
 قوادِمُها، كما انتفض الغرابُ

ولما طَبَّقَ الأرجُ الثايَا
 ولاح ((اللُدُّ)) مُنْبَسِطاً عليه
 نظرتُ بِمُقْلَةٍ غَطَّى عليها
 وقلتُ وما أحيِرُ سوى عِتَابِ
 أحقّاً بيننا اختلفتْ حُدودُ
 ولا افترقتْ وجوهٌ عن وجوهِ

وفُتِّحَ مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ بابُ
 مِنَ الزَّهَرَاتِ يانعةٌ خِضَابُ^(١)
 مِنَ الدَّمْعِ الضَّلِيلِ بها حِجَابُ
 ولستُ بعارِفٍ لِمن العِتَابِ^(٢)
 وما اختلفَ الطريقُ ولا الترابُ
 ولا الضَّادُ الفصيحُ ولا الكِتَابُ

^(١) اللد: من ضواحي يافا، وفيه مطارها المعروف باسمه.

^(٢) لا أحيِر: أي لا أجد كلاماً وماضيه حار.

فياداري إذا ضاقت ديارُ
 ويا مُتسابقين إلى احتضانِي
 ويا غرَّ السجايا لم يمتُّوا
 ثقوا أنَّا توحدنا همومُ
 تشعُّ كريمةً في كل طرفٍ
 وسائلةً دمًا في كل قلبٍ
 يُزكينا من الماضي تُراثُ
 قوافيِّ التي ذوبتُ قامتُ
 وما ضاق القريضُ به ستمحو
 لئن حُمَّ الوداعُ فضقتُ ذرعاً
 فمن أهلي إلى أهلي رجوعُ
 ويا صَحيبي إذا قلَّ الصَّحابُ
 شَفيعي عندهم أدبُ لُبابُ
 بما لطفوا عليَّ ولم يُجابوا
 مُشاركةً ويجمعنا مُصائبُ
 عراقِي طيوفكم العذابُ
 عراقِي جُروحكم الرِّغابُ^(١)
 وفي مُستقبلٍ جدلٍ نِصابُ
 بعُذري، إنَّها قلبُ مُذابُ
 عوائرهُ صُدوركم الرِّحابُ
 به، واشتفَّ مُهجتي الذَّهابُ
 وعن وطني إلى وطني إيابُ

يافا - فلسطين، عام ١٩٤٥

^(١) الرغاب: الواسعة.

أقلت مراسيها الخطوب

(انتهاء الحرب العالمية)

١٢٣

ديوان الجواهري



التي هي لهيئة اية شتاء

التي هي لهيئة اية شتاء

١٢٤

ديوان الجواهري

أَلْقَتْ مَرَايِيهَا الْخُطُوبُ وَتَبَسَّمَ الزَّمَنُ الْقَطُوبُ
وَانْجَابَ عَنْ صُـبْحِ رُضِيٍّ ذَلِكَ اللَّيْلُ الْغَضُوبُ
وَإِذَا مِنْ صَدَا الْحَدِيدِ عَلَى الثَّرَى أَرْجٌ وَطَيْبُ
وَمَشَى رِييْعٌ لِلسَّلَامِ بِهِ تَفْتَحَتِ الْقَلُوبُ
وَتَطَامَنُ الْأُمُّ الْجَبِيْسُ وَأَفْرَخَ الْأَمْلُ الرِّحِيْبُ^(١)
فَجَرُّ صَدُوقِ رَبِّ حَرْبٍ رِبْحُهَا فَجَرُّ كَذُوبُ
الْآنَ يَقْبَعُ فِي مَهَائِتِهِ لَتَنْفَضَ الشُّعُوبُ
وَخَشُّ تَقَلَّمَتِ الْمَخَالِبُ مِنْهُ وَاخْتَفَتِ النُّيُوبُ

مَشَتْ الْقَصِيْدَةُ لِلْقَصِيْدَةِ يَصْرَعُ الْكَيْسَلُ الدَّوْبُ
وَتَلْمَسُ الدَّرَنَ الْحَكِيْمُ، وَشَخَّصَ الدَّاءَ الطَّيْبُ
وَتَلَاقَتِ الْأَجِيَالُ فِي جِيْلٍ هُوَ النَّعْمُ الرِّتِيْبُ
جِيْلٌ تَوَضَّحَتِ الْمَعَالِمُ مِنْهُ وَانْجَلَّتِ الْغُيُوبُ
وَجَرَّتْ عَلَى خَيْرِ الْمَقَايِسِ الْمَحَاسِنُ وَالْعِيُوبُ
فَالْمُسْتَضَامُ ((الْمُسْتَعْلُ)) هُوَ الْحَسِيْبُ، هُوَ النَّسِيْبُ

^(١) تطامن، أفرخ: سكن.

والمستقيم هو المحكّم، والصريح هو اللبيب
والمضطوي كبتأيشد على الضمير هو المريب
ومنزّه الآراء عن تأويلهنّ هو الصليب
والمكتوي بـواضع الألم العميق هو الأديب

رَبِّي القرونَ بكلِّ حَجَرٍ طَيِّبٍ نَعَمَ الرِّيبُ
شسابت مَفَارِقُهُم وَأَزَمَنَ لَا يَرِيحُ وَلَا يَشِيْبُ^١
أَيَّامَ ((رسطاليس)) كَأَن بُعِيْدَ مَوْلِدِهِ يَهِيْبُ
وَالسَّمُ إِذْ ((سُقْرَاطُ)) يَجْرَعُهُ وَيَجْلِفُ لَا يَتَوَبُّ
إِذْ قَالَ لِلْمَلَأِ العَظِيْمِ وَكَأْسُهُ فِيهَا شُبوبُ:
((إني أكولٌ للجِمامِ على مرارتِهِ شَرُوبُ))
أهلاً فَإِنَّكَ لَا تُخَيِّفُ العَقِيْدَةَ، يَا شُبوبُ^٢
وَخِيَالُ ((أفلاطونَ)) وَالجَمهُورُ، وَالحَكْمُ الأريْبُ
مَا عَابَهُ أَنْ ضَمِيمٍ فِيهِ ((الرقُّ)) وَامْتِهَنَ ((الجليبُ))^٣
إِنَّ العَقْوَلَ تَكَاؤُلٌ مَنْ يُحِطُ يَنْفَعُ مَنْ يُصِيبُ

^١ من المهم بكسر الهاء: وهو الشيخ الطاعن في السن.

^٢ شعوب بفتح الشين: الموت.

^٣ الجليب: العبد يجلب من بلد الى غيره.

وتبارت الأجيالُ تنجحُ بالرسالة، أو تخيبُ
عصرٌ خصيبٌ بالكفاحِ وآخرٌ منه جديبٌ
شرقٌ بأعوادِ المشانقِ أو بمذبحِ خضيبٌ
يجري النعيمُ به وتزدحمُ العظامُ والكروبُ
بإزاءِ وجهِ ناضِرٍ ألفٌ تلوحه السُّهوبُ^(١)
ومواكبُ الأحرارِ في صخبِ الطُّغاةِ هاديبٌ
وعواصفُ الظلمِ الفظيعِ لها زكودٌ أو هبوبٌ
ومعِينٌ فكيرٍ في معِينِ دمٍ يضربُ، ولا نُضوبٌ
ومُشردونَ على المبادىءِ حُقِّروا فيها وعيوا
سُدَّتْ مسالكُهُمُ فما ضاقتْ بمذهبهمُ ثقوبٌ
ضمنَ النعيمِ إنابةً وأبى التحرُّرُ أن يُنبيوا
يتلقفُ الأضواءَ نجْمٌ شعاعٌ من نجمٍ يغيبُ
فـ ((أبو العلاء)) على نوااميسٍ مُهرأةٍ كئيبُ
ويُهينُ ((فولتير)) النظمامَ وبالمشروعِ يستريبُ
وتعهد ((الأوباش)) زولا _ فانجلي ((الوحش)) النجيبُ

^(١) سهوب الفلاة: نواحيها.

فإذا به غير الموارب حين يكثُر من يروب^(١)
 وإذا به وهو الكريب يُثِيرُ نَحْوَتَهُ الكريب^(٢)
 وإذا بأشـتاتِ الطُّيُوبِ يَلْمُهُـا هـذا الجنيـب^(٣)
 هـذا المَهـانُ لأنـه من نـعمـة خـا و سـليـب^(٤)
 ولأن مشـر به حـتـالـات ومطـعـمـه جـشـيـب^(٥)
 ولأنه ذو مِعصـم لم يُزهِـه الحـلـقُ الـذـهـيـب^(٦)
 ولأنه في الأكتـر رين الجـنـائـعـن لـه ضـرـوب^(٧)
 ولأنه بين ((الصدور)) المجرمين هو الكعبوب!!

جـيـلٌ تـعـاـوـرـه الطـلـوعُ - بـمـا يُـشـرُّ - والغـرـوبُ
 يـطـفـو و يـجـبُّـه - إلى - أمـدٍ - من البـغـيـ الرـسـوبُ
 حـتـى تـلـقُّـه ((لـنـيـن)) و صـنـوـه البـطـلُ المـهـيـب^(٨)
 والعـا كـفـونَ عـلـيـه أـمـمـاتٌ، و شـبـانٌ، و شـيـبُ

(١) الموارب: المختال، يروب: يخاتل.

(٢) الكريب: المكروب وهو الذي أصابته كربة أي مصيبة.

(٣) الجنيب: الأجنبي المستمر.

(٤) الجشيب: خشن، سيء.

(٥) يريد بصنوه: ستالين.

فإذا به عبـلُ السـوا عـدِ لا يُزاحـمُهـُ ضـرـيـبٌ^(١)
تعنـولـه الجـلـى ويـقـصـرُ عنـده الـيـومُ العـصـيبُ
بالشـعب تدعـمُهـُ الجـيـوشُ وتـدعـمُ الجـيـشَ الشـعـوبُ
والرـايـةُ ((الـحـمـراءُ)) تحـتَ ظـلـلِـها تـمـشـي القـلـوبُ

قالوا ((السـلامُ)) فـراح يـسـتـبـقُ البـعـيدَ بـه القـريـبُ
ودعـوا، فـخـفَ جـاوبٌ وئـوى صـريـعٌ لا يُجـيبُ
وتوثـب العـبـاني وأعـوزُ مُشـخـناً فـيـه الوثـوبُ
طـرح الأـسـيرُ قـيـودَه وهـفـا لمـوطـنـه الغـريـبُ
وتعـطـيـرُتْ بـشـذا اللـقـيـاءِ ونـفـحـة اللـقـيـاءِ دُروُبُ
فـي كـلِّ بـيـتٍ بـسـمـةٌ كـدـراءُ، أو دـمـعٌ مـشـوبٌ^(٢)
غـلب ابـتـسـامَ الأيـيـينَ بـكـاؤـهم مـن لا يـؤـوبُ
رَفَّتْ عـلـى أعـشـاشـها أرواحُ هائـمـةٍ تـلـوبُ
دُعُـرٌ تـخـطفـهـا الفـراقُ ومـسَّـها مـنـه لغـوبٌ^(٣)
ومـشـى مـن ((القـبـيرِ)) الرـهـيبِ خـيالٌ مُحـترِبٌ يـجـوبُ

(١) عبـل: ممتلئ مفتول.

(٢) شاب: خلط، شوب: مختلط، دمع مشوب: مختلط بالدم.

(٣) ذعر: جمع ذعور (بالفتح) وهي الخائفة. لغوب: التعب والاعياء.

غَطَّى مَعَالِمَهُ شَجَاً وَتَوَحُّشٌ، وَدَمٌ صَصِيبٌ
أَصْفَى فَأَلْهَبَ سَمْعَهُ مِنْ ((هَامَةِ)) الْجَدَثِ النَّعِيبِ^(١)
وَتَمَطَّتِ الْأَنْقَاضُ عَنْ وَجْهِهِ يُؤَمِّلُهُ حَيْبُ
عَنْ سَاعِدِ الْوَى عَلَى جِيدِ كَمَا اخْتَلَفَ الصَّلِيبُ
وَفِي مَرَاشِفُهُ، لِلثَّمِ أَلَيْفِهَا شَوْقاً تَذُوبُ

وَضَائِرُ ((الْأَجْدَاثِ)) تَشْكُو مَا جَنَى الْبَشَرُ الْعَجِيبُ
وَرَمَائِمُ الْأَنْقَاضِ، مِمَّا اسْتَوَعَبَتْ، فِيهَا شُجُوبُ
وَالنَّارُ تَحْلِفُ.. مَنْ حَصِيدَ لَهْيِهَا ذَعَرَ اللَّهْيَبُ
وَالْحَوْتُ يَضْمَنُ رِزْقَهُ بِحَرِّهَا فِيهِ خَصِيبُ
لِلْوَحْشِ مَا دُبُّهُ عَلَيْهَا مَا يَلْكَدُ وَمَا يَطِيبُ
وَكُوَاسِرُ الْعُقْبَانِ يَزْهَوْنَ مَا مِنَ الْجَثَثِ النَّصِيبُ
مَاذَا تَرِيدُ؟ حَوَاصِلُ مَلَأَى، وَمَنْقَارُ خَضِيبُ
وَالدُّودُ يَسْأَلُ مَقْلَةً تَدْمِي وَجْمَةً تَحُوبُ^(٢)
هَذَا الْمَطَاعِمِ: أَيُّ طَائِرٍ شَاءَهَا؟ أَهِيَ الْحُرُوبُ؟

^(١) الهامة: طير خرافي يطالب بالثأر للقتيل.

^(٢) تحوب: كأنه يريد مشجوة بدلالة ((مقلة تدمي)).

من مُبْلِغِ الثَّاوِينِ تُعَوِّلُ عِنْدَهُمْ رِيحَ جَنُوبٍ
 وَالْمَقْرَدِينَ عَلَيْهِمْ من كَلِّ وَالغَةِ رَقِيبٌ^(١)
 وَالطِّفْلُ يَسْأَلُ مَنْ أَيْبُهُ أَهَكَذَا يَلِجُ الْمَشِيبُ؟
 وَالكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ جَفَّ بِنَحْرِهَا نَفْسٌ رَطِيبٌ
 وَاسْتَنْزَفَ الْحُلْمَ الرِّغِيبَ بِصَدْرِهَا جُرْحٌ رَغِيبٌ
 إِنَّ الرِّيشَ الْمَسْتَجِدَّ لَكُمْ تَنْمُّ بِهِ الطِّيبُ
 وَالْبَيْتُ يُنْعَشُّهُ رَيْنُ الْعُودِ، وَالطِّفْلُ اللَّعُوبُ
 وَالذَّهْرُ لَمْ يَبْرَحْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَا ثَوْبٌ قَشِيبٌ
 وَالْأَرْضُ يُرْقِصُهَا الشَّرُوقُ - كَمَا عَهْدْتُمْ - وَالغُرُوبُ
 وَعَلَى الرِّيحِ غُضَارَةٌ وَعَلَى الْأَرَاكَةِ عِنْدَلِيبٌ^(٢)
 وَالشَّمْسُ يُسْتَرُّ وَجْهَهَا بِالغَيْمِ يُمَسِّكُ أَوْ يَصُوبُ^(٣)
 وَالخَافِقَاتُ الْعَاطِفَاتُ بِكُمْ يُعَدُّبُهَا الْوَجِيبُ
 أَلْقَتْ مَرَايِيهَا الْخَطُوبُ وَتَبَسَّمَ الزَّمَنُ الْقَطُوبُ
 بَغْدَادَ عَامَ ١٩٤٥

(١) الوالغة: الوحش الذي يبلغ في الدماء وفي جثث القتلى.

(٢) الأراكاة: شجرة.

(٣) يصبوب: يمطر.

طرطرا

١٣٣

ديوان الجواهري

نظمت عام ١٩٤٥، نُشرت أول مرة في جريدة ((الرأي العام) العدد ١٤٨٤ في ٢٤ آذار ١٩٤٦م، وقدمتها:
((إنها من وحي الظروف خلال تطبيق مرسوم صيانة الأمن العام وسلامة الدولة رقم ٥٦ لعام ١٩٤١ على هذه
الجريدة في اليوم الأول من شهر آب ١٩٤٥ التي عطلت بموجبه قرابة شهرين)).
وأضافت: ((وهي على النمط الساخر والوزن من القصيدة الدبديية المشهورة التي قيلت في العهد العباسي
ومطلعها :

أي ديدبي تدبدي أنا علي ((المغربي))

أي طرطرا تطرطري	تقدّمي، تآخرّي
تشبيعي، تسنّني	تمّودي، تنصّرّي
تكرّدي، تعرّبي	تمّاتري بالعنصر
تعمّمي، تبرنطي	تعقّلي، تسدّري
كوني - إذا رمت العلى	- من قبلي أو ذبّري
صالحية ((كصالح))	عامرة ((كالعمري))

وأنت إن لم تجدي أبأحميد الأثر
ومفخرأ من الجود طيب المنحدر
ولم تري في النفس ما يغنيك أن تفتخري
شأن عصام قد كفته النفس شرّ مفخر^(١)
فالتمسي أبي أسواه أشراً ذا بطر
طوفي على الأعراب من باد ومن محتصر
والتمسي منهم جوداً جوداً وزوري
تزيدي تزبدي تعنّزي تشمّري

^(١) يشير إلى عصام وهو الرجل الذي ساد نفسه.

فِي زَمَنِ الذَّرِّ إِلَى بَدَاوَةِ تَقَهَّةٍ رِي

تَقَلَّبِي تَقَلُّبَ اللَّذْرِ بِشَتَّى الْغَيْرِ
تَصَرَّفِي كَمَا تَشْتَائِنَ وَلَا تَعْتَنِي ذَرِي
لِمَنْ؟!! أَللَّنَّاسُ!!؟ وَهَمْ حُثَالَةٌ فِي سَقَرِ
عَيْدُ أَجْدَادِكَ مَنْ رِقٌّ وَمَنْ مُسْتَأْجِرُ!
أَمْ لِلْقَوَانِينِ وَمَا جَاءَتْ بَغَيْرِ الْهَذْرِ
تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمَنْكَرِ فَوْقَ الْمَنْزِلِ
شَيْءٌ أَبَى الْمَعْرُوفِ فِي شَيْءٍ أَمَّ الْمَنْكَرِ^(١)
أَمْ لِلضَّمِيرِ وَالضَّمِيرُ صُنْعُ هَذَا الْبَشَرِ؟!
تَعَلُّهُ لَصَائِمٍ فَطَيْرَةٌ لِمَفْطَرِ
لِمَنْ؟!! أَلَّتَّارِيخُ!!؟ وَهَمْ فِي يَدِ الْمُحَارِّ
مُسَخَّرٌ طَوْعًا بِنِزَانِ الْحَاكِمِ الْمُسْتَحَرِّ^(٢)
بِذَرِّهِمْ تَقَلُّبُ الْحَالِ يَدُ الْمُحَارِّ
قَدْ تَقَرَّأَ الْأَجْيَالُ فِي دَفَّةٍ هَذَا الْمَخْضَرِ
عَنْ مِثْلِ هَذَا ((الْعَصْرِ)) أَنْ قَدْ كَانَ زَيْنَ الْأَعْصَرِ

(١) شوي، بتشديد الياء: كناية عن عضو التأنيث.

(٢) المستحر يريد به المستحر بتشديد الراء وهو الشديد.

وَأَنَّهُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَنَّهُ مِنْ جَوْهَرٍ
أَمْ لِلْمَقْيَاسِ اقْتِضَاهُنَّ اخْتِلَافُ النَّظَرِ؟
إِنَّ أَخَا طَرْطَرَ مِنْ كَلِّ الْمَقْيَاسِ بَرِّي!

أَيُّ طَرْطَرٍ إِنْ كَانَ شَعْبٌ جَاعٌ أَوْ خَلَقٌ عَرِيٌّ
أَوْ أَجْمَعُ السُّلْطَانِ الْمَلَايِينُ عَلَى التَّنْذِيرِ
أَوْ حَكْمِ النَّسَاءِ حُكْمِ الْغَاصِبِ الْمُقْتَدِرِ
أَوْ صَاحِ تَهْبِيبِ الْبِلَادِ بِبَاطِنِ وَمَشْتَرِي
أَوْ نُقُذِ الْمَرْسُومِ فِي مَحَابِرِ وَأَسْطُرِ
أَوْ أَخِذِ الْبَرِيءِ بِالْمَجْرِمِ أَخِذَ ((طَرْطَرِي))
أَوْ دُفِّعِ الْعَرَّاقُ لِلذَّلِّ أَوْ التَّهْدِيرِ
فَاحْتَكِمِي مُحْكَمِي وَتُحَمَّدي وَتَوَجَّرِي

أَيُّ طَرْطَرٍ تَطْرَطَرِي وَهَلِّي وَكَبَّرِي
وَطَبِّي لِكَلِّ مَنَا يُجْزِي الْفَتَى وَزُمَّرِي

وَسَبَّحِي بِحَمْدِ مَأْفُونٍ وَشَكَرِ أَبْتَرٍ^(١)
 أَعْطَى سَمَاتِ فَارِغٍ شَمْرَدَلٍ لُبْحَاتِرٍ^(٢)
 وَاعْتَصَبِي لِضَفْدَعٍ سَمَاتِ لَيْثِ قَسُورِ
 وَعَطَّيْ قَادُورَةَ وَبِالْمَدِيحِ بَخْرِي
 وَصَيَّرِي مِنْ جُعَلٍ حَدِيقَةَ مَنْ زَهْرِ
 وَشَبَّهِي الظَّلَامَ - ظُلُمًا - بِالصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
 وَالْبَسِي الْغَبِيَّ وَالْأَهْمَقَ ثَوْبَ ((عَبْقَرِي))
 وَأَفْرَغِي عَلَى الْمَخَانِيثِ دُرُوعَ ((عَنْتَرِ))
 إِنْ قِيلَ إِنَّ مَجْدَهُمْ مَزَيَّفٌ فَأَنْكِرِي
 أَوْ قِيلَ إِنْ بَطَشَهُمْ مِنْ بَطْشَةِ الْمُسْتَعْمِرِ
 وَإِنَّ هَذَا الْمُسْتَعْمِرَ صَوْلَةَ الْغَضِّ نَفْرِ
 أَهْوَنُ مِنْ ذَبَابَةٍ فِي مَسْتَحَمِّ قَذِرِ
 فَهِيَ تَطِيرُ حُرَّةً جَنَاحُهَا لَمْ يُعْرِرِ
 وَذَلِكَ لَوْ لَمْ يَسْتَعْرِ جَنَاحَهُ لَمْ يَطْرِرِ
 فغَالِطِي وَكَابِرِي وَحَاوِرِي وَزَوْرِي

^(١) الأبتَر: الخبيث من الحيات.

^(٢) الشمردل: الطويل، والبهتر: القصير.

أي طرطرا سيري على تَهَجِّهِمْ وَالْأَثَرِ
 واستقبلي يومك من يومهم واستدبري
 وأجمعي أمرك من أمرهم تستكثري
 كوني بغائبا واسلمي بالنفس ثم استنسري^(١)
 إن طولوا فطوولي أو قصروا فقصري
 أو أجزموا فاعتذري أو أنذروا فبشري
 أو خبطوا وعشوا فقلولي: أي نجم نير
 أو ظلموا فأبرزي الظلم بأبي الصور
 شلت يد المظلوم لم يجن ولم يعزر^(٢)
 أو صانعوا ما لم يبرز منطق فبرري

أي طرطرا لا تنكري ذنبا ولا تستغفري
 ولا تغطّي سوءة بانيت، ولا تتزري
 ولا تغضي الطرف عن فرط الحيا والحقير
 كوني على شاكلة من أمرهم تؤمري
 كوني على شاكلة الوزير بادي الخطر

^(١) يغاث الطير: الحقير وما لا يصيد. واستنسر: صار كالنسر.

^(٢) لم يعزر: لم يردع الجاني ولم يعاقبه.

أَيُّ طَرَطْرًا كُنُونِي عَلَى تَارِيخِيكَ الْمُحْتَقِرِ
أَحْرَصَ مِنْ صَاحِبَةِ النِّحْيَيْنِ إِنْ تَذَكَّرِي

طُولِي عَلَى ((كِسْرِي)) وَلَا تُعْنِي بَتَّاجِ ((قَيْصَرِ))
كُونِي عَلِّ مَا فِيكَ مِنْ مَسَاوِيٍّ لَمْ تُحْصِرِ
كُونِي عَلَى الْأَضْدَادِ فِي تَكْوِينِكَ الْمُبْعَثِرِ
شَاخِئَةً شَمُوخَ قَرْنِ الثَّوْرِ بَيْنَ الْبَقَرِ

أَيُّ طَرَطْرًا أَقْسِمُ بِالسُّوَيْكَةِ الْمَشْهُرِ
وَالْحَرَزِ الْمَعْقُودِ فِي الْبَطْنِ فَوْقَ الْمَشْعَرِ
بِوَجْهِكَ الْمَعْتَكِرِ وَتَغْرِيكَ الْمَنْوَرِ
وَعَيْنِكَ الْحَمْرَاءِ تَرْمِي حَاسِدًا بِالثَّرَرِ
وَصَنُوكَ الثَّوْرِيَّاتِ رَغِيظُهُ بِالْأَحْمَرِ
أَقْسِمُ ((بِالْكَافُورِ)) لَا أَقْصِدُ شَتْمَ ((الْعَنْبَرِ))
لَأَنْتِ فَوْقَ الْبَشَرِ فَوْقَ الْقَضَا وَالْقَدْرِ

أَيُّ ((طَرَطْرًا)) يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرِ
((خَلَالِكَ الْجَوْ)) وَقَدْ طَابَ ((فَيْضِي وَاصْفِرِي))

((ونقري)) من بعدهم
قد غفل الصياد في
((ما شئت أن تنقري))
((لندن)) عنك فابشري!

بغداد عام ١٩٤٥

ذکری وعد بلفور

۱۴۳

دیوان الجواهری

أقيمت في الحفل الذي أقيم في بهو ((الأمانة)) في بغداد يوم ذكرى وعد بلفور.

خذني مَسْعَاكِ مُثَخِّنَةَ الْجِرَاحِ ونامي فوق داميةِ الصِّفَاحِ^(١)
 ومُدِّي بِالمَمَاتِ إلى حَيَاةٍ تَسْرُ، وبالعَنَاءِ إلى ارتِيَاكِ
 وقَرِّي فوقَ جَمْرِكِ أو تُرَدِّي مِن العُقْبَى إلى أمرِ صُرَاحِ
 وقُولِي قد صَبَرْتُ على اغْتَبَاقِ فماذا لو صَبَرْتُ على اصْطِباحِ^(٢)
 فَإِنَّ أَمْرًا أَدْمَى كِفَاحًا طَعُونُ الخَائِفِينَ مِنَ النِّجَاحِ
 فَكُونِي فِي سَمَاحِكِ بِالضَّحَايَا كعَهْدِكِ فِي سَمَاحِكِ بِالأَضَاحِي
 فَإِنَّ الحَقَّ، يَقْطُرُ جَانِبَاهِ دَمًا، صِنُؤُ المُرُوءَةِ والسَّمَاكِ
 وتَأْرِخُ الشُّعُوبَ إِذَا تَبَّيَّسَى دَمَ الأَحْرَارِ لا يَمحُوهُ مَاحِي

فإسْطِينُ سَلامُ اللهُ يَسْرِي على تَلِكِ المَشَارِفِ والبَطَاحِ
 رأيتُكَ من خِلالِ الفَجْرِ يُلقِي على حُضْرِ الرُّبَى أحلى وِشَاحِ
 أَطَلَّ ((النَّسْرُ)) مُتَّصِبًا عَلَيْهِ فَهَبَّ الدِيكَ يُنذِرُ بالصِّياحِ^(٣)
 يُووِبُّ اللَّيْلُ مِنْهُ إلى جَنَاحِ وتبدو الشمسُ مِنْهُ على جَنَاحِ
 وَعَيْنُ الفَجْرِ تَذْرِي الدَمْعَ طَلًّا وتَمَسِّحُهُ بِمَنَدِيلِ الصَّبَاحِ

(١) الصِّفَاح: السيوف.

(٢) الاغْتَبَاق: شرب الخمر وقت المساء. الاصْطِباح: شربها وقت الصبح.

(٣) النَّسْر: كوكبان يشتد لمعانها وقت الفجر.

وَأَنْفَاسُ الْمُرُوجِ مَعْطَّرَاتٌ وَأَنْفَاسُ الرُّعَاةِ إِلَى الْمَرَاكِحِ
لَمَسْتُ الْوَحْيَ فِي لَحْنِ ((الْمَثَانِي)) وَشِمْتُ الْحُزْنَ فِي وَقَعِ ((الْمَسَاحِي))^(١)
وَعَنَى ((أَوْزْشَلِيم)) يُعِيدُ لِحْنًا ((لِدَاوِد)) هَزَاؤًا بِالصُّدَاحِ
وَحَوْلِي مِنْ شَبَابِكِ أَيُّ رَوْضٍ يَنْمُ حَدِيثُهُ بِشَذَا الْأَقَاكِحِ
وَالطَّافِ، كَأَنْفُسِهِمْ عِذَابٍ وَأَسْمَارٍ، كَأَوْجُهُمْ صَبَاحِ
سَلَامًا لِلْعُكُوفِ عَلَى التِّيَاحِ وَشَوْقًا لِلظِّمَاءِ إِلَى ارْتِيَاحِ^(٢)
وَحُزْنًا أَنْ يُجْرَّ الدَّهْرُ حُزْنًا عَلَى تَلِكِ الْعَطَارِفَةِ الْوَضَاحِ^(٣)

أُمَّ ((الْقُدْسِ)) وَالتَّارِيخُ دَامٍ وَيَوْمُكَ مِثْلُ أَمْسِكَ فِي الْكِفَاحِ
وَمَهْدُكَ وَهُوَ مَهْبِطُ كُلِّ وَحْيٍ كَنَعَشِكَ وَهُوَ مَشْتَجَرُ الرِّمَاحِ^(٤)
و((وَادِي التِّيهِ)) إِنْ لَمْ يُؤْوِ ((مُوسَى)) فَقَدْ آوَى ((الصَّلِيبَ)) عَلَى ((صَلَاحِ))^(٥)
وَذَكَرِي ((بَخْتِ نَصْر)) فِي الْفِيَاثِي يُجِدُّهَا ((الْأَنْبِيَّ)) فِي الضَّوَاكِحِ^(٦)
فَلَا تَتَخَبَّطِي فَالليْلِ دَاجٍ وَإِنْ لَمْ يَيْقَ بُدٌّ مِنْ صَبَاحِ

^(١) شمت: رأيت.

^(٢) الالتياح: شدة الشوق والعطش.

^(٣) العطارفة: جمع الغطريف وهو السيد الكريم.

^(٤) مشتجر الرماح: أي مشتبكه.

^(٥) وادي التيه: الصحراء الممتدة على طول سيناء والحدود الفلسطينية - المصرية وفيه تاه اليهود.

^(٦) النبي: القائد البريطاني الذي احتل القدس في الحرب العالمية الأولى.

شَدَدَتْ عُرَى نِطَاقِكَ فَاسْتَمْرِي
 وَلَا تُعْنَيْ بِنَا إِنَّا بُكَاءُ
 وَلَا تُعْنَيْ بِنَا فَالْفِعْلُ جَوْ
 وَلَنْ تَجْدِي كإِيَانَا نَصِيرًا
 وَلَا قَوْمًا يَرُدُّونَ الدَّوَاهِي
 وَلَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ فَتُسْتَبَاحِي
 نَمُدُّكَ بِالْعَوِيلِ وَبِالصِّيَاحِ
 مَغْنِيمٌ، عِنْدَنَا وَالْقَوْلُ صَاحِ
 يَدُقُّ مِنَ الْأَسَى رَاحًا بِرَاحِ!!
 - وَقَدْ خَرَسَتْ - بِالْسِنَةِ فِصَاحِ

أَعِيدُكَ مِنْ مَصِيرٍ نَحْنُ فِيهِ
 وَوَضَعَ أَمْسٍ كُلُّهُمْ لَوَاهِ
 تَنَصَّلَ مِنْهُ زُورًا صَانِعُوهُ
 وَذُمَّوا أَنَّهُمْ كَانُوا عُكُوفًا
 وَتَأْرِيخٍ أُرِيدَ لَنَا ارْتِجَالًا
 شَحْنًا دَفَّتِيهِ بِمُغْضَمَاتِ
 وَغَلَّفْنَا مِظَاهِرَهُ جِسَانًا
 وَسُقْنَا النَّاسَ مُكْرَهَةً عَلَيْهِ
 وَنَصَّبْنَا مَرُوضَةً غِلَظًا
 لَقَدْ عَوَّذْتِ مِنْ أَجَلِ مُتَاحِ
 بِهِ، وَالْيَوْمَ كُلُّهُمْ لَوَاحِي^(١)
 كَمَوْلُودٍ تَحَدَّرَ مِنْ سِفَاحِ
 عَلَيْهِ فِي الْغُدُوِّ وَفِي الرِّوَاكِ
 فَآبَ كَمَا أُرِيدَ إِلَى افْتِضَاحِ
 ((كَأَحْدَاقِ الْمَهَا مَرَضِي صَحَاحِ))
 مُزْخَرَفَةً عَلَى صُورِ قِبَاحِ
 عَلَى يَدِنَا عَمِينَ بِهِ وَقَاحِ
 عَلَى مَا فِي الطَّبَائِعِ مِنْ جِجَاحِ

^(١) لواه: لاهون، لواح: واللاحى هو العاذل.

وأحللناه وهو ضريحُ شعبٍ
نُجْرَعُهُ دُعَاةً ثُمَّ نُضْفِي
وَرَبَّةَ ((صَفْقَةَ)) عُقِدَتِ فَكَانَتْ
تُدَبِّرُ فِي الْعَوَاصِمِ مِنْ مُرَيْبٍ
تَفْوُحُ الْخَمْرِ مِنْهَا فِي اخْتِمِ
وَيُسْفِرُ نَضُّهَا الْمُسَوِّدُ خَزِيئاً
و ((تَصْرِيحٍ)) يُمَطِّطُهُ قَوِيٌّ
و ((حِلْفٍ)) لَسْتُ أُدْرِي مِنْ ذُهُولٍ
لِنَا حَقُّ يُرَجِّى بِالتَّمَاسِ
وَلَسْتُ بَعَارِفٍ أَبْدَأُ حَلِيفاً
مَحَلَّ الْوَحْيِ جَاءَ مِنَ الضُّرَاحِ^(١)
عَلَيْهِ مَحَاسِنُ الشَّبِيمِ الْقَرَّاحِ^(٢)
كَتَحْرِيمِ الطَّلَاقِ عَلَى نِكَاحِ
خَبِيثِ الذِّكْرِ، مَطْعُونَ النُّوَاحِي
وَيَبْدُو التَّبْرُ مِنْهَا فِي افْتِحَاحِ
وَمَظْلَمَةً عَنِ الْغَيْدِ الْمِلَاحِ
كَلَّوْحِ الطَّيْنِ إِذْ يَدْحُوهُ دَاحِي-
أَعْنِ جِدِّ يُدَبِّرُ أَمْ مِرْزَاحِ
وَبِاطِلُهُمْ يُنْفَذُ بِالسَّلَاحِ
يَهْدُهُ حَلِيفٌ بَاكْتِسَاحِ!

((فَلَسْطِينُ)) تَوَقَّيْ أَنْ تَكُونِي
وَأَنْ تَضْعِي أَمُورَكَ فِي نِصَابِ
كَمَا كُنَّا بِمَدْرَجَةِ الرِّيَاحِ
يُوقِرُّ أَوْ يُطَفِّفُ بِاجْتِرَاحِ^(٣)

^(١) الضراح: البيت المعمور في السماء.

^(٢) الذعاف: السم الشديد. والشبم: الماء البارد. والقراح: العذب الصافي.

^(٣) الاجتراح: اقتراف السيئات. يوقر ويطفف: يزيد وينقص.

وهأبي أن تُمدَّ إليك مِنَّا
فكم هاوٍ أجدُّ لنا جروحاً
وأصدقك الحديث فكم ((حلول))
نطوِّفُ ما نطوِّفُ ثم نأوى
يُخرِّجُ ألفَ وجهٍ من حديثٍ
يدُّ المتضارين على القِداح^(١)
بدعوى أنه آسى جراح^(٢)
حرام، حُزنَ في زيِّ مُباحٍ
إلى بيتٍ أُقيمَ على ((اقتراح))^(٣)
ويخلُقُ ألفَ معنى لاصطلاح

بغداد عام ١٩٤٥

^(١) القِداح: هي السهام التي كان العرب في الجاهلية يتقامرون بها ولها درجاتها وأصنافها وأسماؤها الخاصة.

^(٢) الآسى: الطبيب.

^(٣) التضمين من بيت للحطيئة.

ذكري أبو التمن

١٥١

ديوان الجواهري

ألقيت في الحفل الأربعيني الكبير الذي أقيم لذكرى الفقيد ((محمد جعفر أبو التمن)) في ٥ كانون الثاني ١٩٤٦ .
ولقد كان لإلقاء هذه القصيدة، ونشرها في جريدة ((الرأي العام)) دويٌّ كبيرٌ وصدىٌ شديد. وقامت السلطة
بتحريك الدعوى على الشاعر. فكتب مقالاً افتتاحياً في جريدة ((الرأي العام))، يروي فيه ((حكاية)) تحريك الدعوى ولم
ينشر كاملاً لأن ((الرقيب)) حذف منه أجزاء مهمة وكان بعنوان ((كلمة يجب أن تُقال: إننا مستعدون)).

قال فيه:

((بلِّغ صاحب هذه الجريدة - أي الشاعر - عصر يوم أمس الأول ((الأربعاء)) (يصادف ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٦)
بالحضور لدى حاكم تحقيق الرصافة الجنوبي. للتحقيق معه في ((التهمة)) الموجهة إليه حسب المادة ٨٩ من قانون
العقوبات البغدادي وذلك صباح يوم السبت.

((وهذه التهمة؟)) هي قصيدته التي ألقاها في حفلة تأييد فقيد الامة المغفور له ((أبو التمن)).

((وهنا لانجد بدأ من تنوير القراء والرأي العام عن مجرى هذه القضية ((وملابساتها)) بكلمة مختصرة)).

(مشى قلم الرقيب بقساوة فحذف من هذه ((الملابسات)) الشيء الكثير والمثير في نقاط مشار إليها).

((فقد سبق قبل عشرين يوماً تقريباً أن أثيرت قضية تقديم صاحب هذه الجريدة إلى المحاكمة عن قصيدته هذه

ثم نامت.

(هنا حذف الرقيب ما يوازي ٧ أسطر).

((وفي يوم الثلاثاء الماضي أثيرت مرة أخرى.

حذف الرقيب هنا كلمتين).

((فقدمت إلى الادعاء العام برفقة مذكرة من وزارة الداخلية تقول فيها إنها ترى ما يستوجب اتخاذ الاجراءات

القانونية تجاه السيد ((الجواهري)).

(هنا حذف الرقيب نحو ثمانية أسطر)

((فكان بعد ((اتضح؟؟)) عوامل وبواعث لا مجال لسردها الآن في هذا المقام؟ أن فاتح رئيس الوزراء ظهر اليوم

المذكور فريق من النواب أن ليس من المصلحة إثارة مثل هذه القضايا الوطنية الخالصة المعبرة عن الشعور المكبوت؟ وفي

حفلة زعيم وطني كأبي التمن؟ تمثل فيه العراق بأجمعه بآماله وآلامه. وأنه من غير الجائز التماذي في حجب الآراء والحريات

إلى هذا الحد. فكان من الرجل أن تأثر بذلك وأبلغهم عدم علمه بشيء من هذا الأمر! ثم كان منه أن أبلغ الادعاء العام،

بوصفه رئيساً للحكومة، بوجوب سحب القضية وإيقافها؟.

ولكن؟؟

(حذف الرقيب قرابة ستة أسطر).

((وما تزال القضية بين الأخذ والرد، وقد خرجت من الادعاء العام إلى حاكم التحقيق كما سبق ذكره.

ويضيف مختتماً المقال:

((هذا ما لم نجد بدأ من ذكره باختصار عن جريان هذه القضية؟

((وبقي علينا أن نقول كلمة باختصار أيضاً:

((إننا على الدوام على أتم الاستعداد وأكمل أهبة لتلقي كل ماتفرضه علينا العدالة في هذه البلاد من ثواب وعقاب اليوم وغداً

- كما كان أمس - جزاء قيامنا بما هو بعض الواجب المفروض على الأحرار من أبناء الشعوب العربية تجاه بلادهم وأمتهم

وتجاه ضميرهم ووجدانهم وتجاه التاريخ الذي لا يحابي أحداً كم أنه لا يبخس أحداً حقه؟

إننا - ونحن في حومة المعركة - مكتوب علينا حتماً أن يمسننا من نارها وشرارها وعلى الأقل فمن غيارها الشيء الكثير.

((وأخيراً فإننا مستعدون)).

ولكن الدعوى سحبت، بعد نشر هذا المقال، بحوالي عشرين يوماً.

طالَتْ - ولو قَصُرَتْ يَدُ الأَعْمَارِ -
من صفوة لوقيل أي فذُهم
لكن أرادت أن تحوزَ لنفسها
وأرى المنايا بالذي تختاره
فطوتك في درج الخلود فعطرت
واستنزلتكَ لغربة ولأنت من
وتجاهلت أن البلاد بحاجة
مُدَّت من الأخرى إليك معاصم
خُصاء سعيك في الجهاد، وأخوة
ورفاق هذي الدار فيما أسلفوا

بَكَرَ النَّعْيُ فَمَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهَا
رَمَتِ العِمَائَاتُ العِيونَ، وَصَكَّتِ الأَسْمَاعُ صَافِرَةً مِنَ الإنذارِ
وترنح الأحرار يؤذن بعضهم
عِبَاءُ عَلَى الأَسْمَاعِ والأَبْصَارِ
بعضاً بفقدهم أبا الأحرار
أذْيَالُهُ وَضُرٌّ مِنَ الأَوْضَارِ
شُبُهَاتُهَا حَتَّى عَلَى الأَخْيَارِ
الله درك من نقبي لم ينل
في حيث تزدحم الشكوك وترتمي

^(١) درج الخلود، (بسكون الراء): هنا أي طيه وثنيه.

^(٢) لجب: كثير.

خاض السياسة وانجلى عن جُها
 في حين رام سواه خوَضَ عُباهَا
 وصليبُ عودٍ حينَ بعضُ مرونةٍ
 وطَريُّ نفسٍ حينَ بعضُ صلابةٍ
 وخَفِيٌّ كيدٍ حيثُ يسمو كائدُ
 وصريحُ رأيٍ لم يَحِدْ عن خُطَّةِ
 حَرَبٍ على مُستعمِرٍ وريبه،

أعزُّ عليَّ ((أبا عزيز)) أن أرى
 خَلَّتِ المحافلُ من عُلاكٍ وأوحشتُ
 وتَعَرَّتِ الأنظارُ عن مُستشرفٍ
 ولقد يَعزُّ عليك أنك لا ترى
 حُضَارَ حَفَلِكَ زائغي الأبصارِ
 من بَعْدِ وجهك ندوةُ الشُّمارِ
 بادي السَّنا، عالٍ على الأنظارِ
 في ((الأربعاء)) مواكبَ الزُّوارِ^(١)

أبا عزيزٍ كنتَ تُذكي جذوتي
 غوثَ الصريخِ، أتتك تُعولُ حُرَّةٌ
 هيَّجتَ منِّي أيَّ داءٍ كامنٍ
 ويَلدُّ سَمْعُكَ منطقي وحواري
 حرَّاءُ صارخةٌ من الأشعارِ
 وقدحتَ منِّي أيَّ زنادٍ واري

^(١) الألق: اللمعان. والغار: نوع من الشجر طيب الرائحة، مكللاً بالغار كناية عن النصر.

^(٢) إشارة إلى يوم الأربعاء من كل أسبوع وهو اليوم الذي كان الفقيد قد خصصه لاستقبال الزائرين من إخوانه ومحبيه.

قَسَمًا بِيَوْمِكَ وَالْفُرَاتِ الْجَارِي
 وَالْأَرْضِ بِالْدَمِّ تَرْتَوِي عَنْ دِمْنَةٍ
 وَالخَيْلِ تَزْحَفُ لَمْ تَدْعُ لِمُغِيرِهَا
 قَسَمًا بَتَلِّكَ الْعَاطِفَاتِ وَلَمْ تُكُنْ
 إِنَّ الَّذِينَ عَهْدَتَهُمْ حَطَبَ الْوَعْيِ
 وَاللَّاقِحِينَ نَتَاجَهَا بِأَعَزُّ مَا
 وَالِدَاهِنَاتِ دِمَاؤُهُمْ لِمَمِّ الثَّرَى
 وَالنَّاحِرِينَ مِنَ الضَّحَايَا خَيْرَ مَا
 مَا إِنْ تَزَالَ حَقُوقُهُمْ كَذَوِيهِمْ
 وَأَعَزُّ مَا تَبْغِي ((الْحَلَائِلُ)) مِنْهُمْ
 وَالثُّورَةَ الْحَمْرَاءِ وَالثُّوَارِ^(١)
 وَتَمَجَّجَهُ عَنْ رَوْضَةٍ مِعْطَارِ^(٢)
 جِثَّتْ تُغَطِّي الْأَرْضَ أَيَّ مَغَارِ!
 لِي قَبْلَهَا مِنْ حِلْفَةِ النَّارِ
 لَوْلَاهُمْ لَمْ تَشْتَعِلْ بِأَوَارِ
 مَلَكَتْ يَمِينٌ مِنْ جَمِيٍّ وَذِمَارِ
 وَالْمُؤَنَسَاتِ شَوَاطِيءَ الْأَنْهَارِ^(٣)
 حَمَلَتْ بُطُونٌ حَرَائِرِ أَطْهَارِ
 فِي الْقَفْرِ سَارِحَةً مَعَ الْأَبْقَارِ!
 أَنْ تُسْتَرَ الْعَوْرَاتُ بِالْأَطْهَارِ^(٤)

خَمْسٌ وَعِشْرُونَ أَنْقَضْتُ وَكَأْتَمَّهَا
 ضِقْنَا بِهَا ضَيْقَ السَّجِينِ بِقَيْدِهِ
 بِشَخُوصِهَا خَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ^(٥)
 مِنْ فَرَطٍ مَا حَمَلْتُ مِنَ الْأَوْزَارِ

^(١) إشارة إلى الثورة العراقية في الفرات.

^(٢) الدمنة: ما تجمع من فضلات البقر والأوساخ والمعنى أن دم الثوار سائل على أرض مقفرة فأحالها، بيا سقاها وبها نفحها من كرامة وعزة، روضة معطاراً.

^(٣) اللمة: في الأصل ما جاور شحمة الأذن من شعر ويراد بها وجه الأرض.

^(٤) الحلائل: جمع حليلة وهي الزوجة.

^(٥) إشارة إلى المدة التي أنقضت على ابتداء العهد البائد حتى عام وفاة الفقيه.

وَتَجَهَّمَتْ فِيهَا السَّمَاءُ فَلَمْ تَجِدْ
 شَاخَ الشَّبَابِ الطَّيِّبُونَ وَجُدَدَتْ
 وَبَدَا عَلَى وَجْهِهِ الحَفِيدِ وَجَدَّهُ
 مَنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنْ يُمَدَّ بِعُمُرِهِ
 وَمِنَ الفِظَاعَةِ أَنْ تُرِيدَ رَعِيَّةً
 مَا يَطْلُبُ المَأسُورُ مِنْ يَدِ آسِرٍ:
 وَرَوَايَةِ حَبْكَ الزَّمَانُ فُصُولَهَا
 مِنْ شَرِّ مَا اخْتَلَقَ الرُّوَاهُ، وَلَفَّقَتْ
 وَمُمَثِّلِينَ تَصْنَعًا وَوَرَاءَهُمْ
 وَمَفْرُقِينَ مَذَاهِبًا وَعِنَاصِرًا
 نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ الغَرِيبِ وَعَرَّسُوا
 وَتَحَلَّبُوا أَوْ طَارَهُ فَإِذَا بِهَا
 وَاسْتَفْرَشَ الشَّعْبُ الثَّرَى، وَدُرُوبُهُمْ
 وَتَحَلَّأَ الجَمْعُ الظِّمَاءُ، وَوُكِّلَتْ
 لِلخَابِطِينَ بِكوكِبِ سَيَّارِ
 فِيهَا شَيْبَةُ شَيْخَةِ أَشْرَارِ
 لِلنَّاطِرِينَ تَقَارُبُ الأَعْمَارِ
 حُكْمٌ أَقِيمَ عَلَى أُسَاسِ هَارِي؟!
 فِي ظِلِّ دُسْتُورِهَا وَشِعَارِ
 إِسْدَاءِ عَارِفَةٍ وَفَكَ إِسَارِ
 فَبَدَتْ لَنَا مَسْوَخَةَ الأَدْوَارِ
 حَيْلٌ، وَضَمَّتْ دَفَّةُ الأَسْفَارِ
 خَلْفَ السِّتَارِ مُلَقَّنٌ مُتَوَارِي
 مُتَكَفِّلِينَ سِيَاسَةَ اسْتِعْمَارِ
 فِي ظِلِّ مَأْتِمَةٍ لَهُ وَفَجَارٍ^(١)
 وَشَلَّ لِمَا اسْتَحَلَى مِنَ الأَوْطَارِ
 مَمْلُوءَةٌ بِبُشَارَةِ الأَزْهَارِ!
 أَبْنَاؤُهُمْ بِالْوَرْدِ وَالإِصْدَارِ^(٢)

دُعِرَ الجَنُوبُ فَقِيلَ: كَيْدُ خَوَارِجِ! وَشَكَا الشَّيْءُ فَقِيلَ: صُنْعُ جَوَارِجِ!

^(١) عرسوا: أقاموا.

^(٢) تحلأ الجمع عن الماء: طردوا ومنعوا عن وروده.

وتنابز الوسط المدل فلم يدع
ودعا فريق أن تسود عدالة
ومشى المغيت على الجياح - يقوتهم -
وتساءل المتعجبون لحالة
هي للصحابة من بني الأنصار
للحاكمين بأمرهم عن غيرهم!
من كل غاز شامخ في صدره
هي للذين لو امتحنت بلاءهم
هي للذي من كل ما يصم الفتى

بعض لبعض ظنة لفخار^(١)
فرموا بكل شنيعة وشنار!
وعلى العرابة، بجحفل جرار!!
نكراء: من هم أهل هذي الدار؟
من كل بدري وكل حواري
ولصفوة الأسباط والأصهار^(٢)
زاهي الوسام، مدوخ الأمصار
لعجبت من سُخرية الأقدار^(٣)
كاس، ومن جهد يشرف عاري^(٤)

ومسلط مسلطين مشت به الأهواء مشية مثقل بخمار
نسي المعير ولو تذكر لانثى
خزيان من ثوب عليه معار
نزق الغرور بشر دار بوار
ومصيره عوناً من التذكار
بل لو تذكر لم يجد لضميره

(١) الوسط المدل: يراد به العاصمة العراقية ((بغداد)).

(٢) الأسباط: جمع سبط (بكسر فسكون)، ولد الولد، ويغلب على ولد البنت.

(٣) امتحن الشيء: اختبره. وأبلى في الأمر بلاء: أظهر فيه قدرته.

(٤) كاس: أي مكسو.

لم يبقَ إلا أن تُتَمَّ خطوهُ
فَلَرَبِّمَا نَفَتِ الشُّكَاةُ، وَقَرَّبَتْ
وَيَظَلُّ يَلْعَبُ لَاعِبٌ بِالنَّارِ
يَوْمَ الْخِلَاصِ سِيَاسَةُ الْإِصْرَارِ

أبَا عَزِيزٍ وَالْحَدِيثُ كَمَا رَوَوْا
وَمِنَ الْعَوَاطِفِ مَا يَثُورُ وَيَغْتَلِي
عَفْوًا وَإِنْ شَطَّ الْمَدَى عَنِ غَايَتِي
فَلَقَدْ تَحَشَّدَتِ الْبَوَاعِثُ وَاشْتَكَّتْ
وَلَقَدْ عَهَدْتُكَ بِالْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
وَوَجَدْتُ قَدَحَ الذِّكْرِيَّاتِ شَجِيَّةً
وَعَرَفْتُ أَشْيَانًا يَثِيرُكَ بَعَثُهَا
شَجَنٌ، وَمُرُّ الْقَوْلِ عَذْبٌ جَارِي
مِثْلَ الْجَحِيمِ، وَيَرْتَمِي بِشِرَارِ^(١)
وَنَبَتْ جِيَادُ الشَّعْرِ عَنِ مِضْمَارِي^(٢)
صَمَّتَ الْقَرِيضُ لِفَحْلِهِ الْهَدَارِ
جَمَّ الشُّجُونِ، مُوزَعٌ الْأَفْكَارِ
بَرْدًا لِأَفْتَدَةِ عَلَيْكَ جِرَارِ
فَأَنْزَيْتُهُنَّ فَطْرُنَ كُلِّ مَطَارِ

إِيهِ شَبَابَ ((الرَّافِدِينَ)) وَمَنْ بِهِمْ
الْحَامِلِينَ مِنَ الْفَوَادِحِ ثِقْلَهَا
وَالذَّائِدِينَ عَنِ الْحِيَاضِ إِذَا انْتَحَتْ
وَالْيَاذِلِينَ عَنِ الْكِرَامَةِ - أُرْخِصَتْ -
يَرْجُو الْعِرَاقُ تَبَلُّجَ الْأَسْحَارِ
لَيْسُوا بِأَنْكَاسٍ وَلَا أَغْمَارِ^(٣)
كُرْبٌ، وَلَا ذَمُّكَابِرٌ يَفْرَارِ
أَعْلَى الْمُهُورِ، وَأَفْدَحَ الْأَسْعَارِ

(١) الشرار (بالكسر): هنا جمع الشرارة (بالفتح).

(٢) نبا الشيء: بعد وتأخر.

(٣) الانكاس: جمع نكس الرجل الضعيف. والأغمار: جمع غمر الخامل كالمغمور.

الْفَقْرَ إِذْ طَرُقَ الْغِنَى مَفْتُوحَةً
 وَمَوْجَجِينَ نَفُوسَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ
 وَالْحَابِسِينَ زئيرهم بصدورهم
 والقانعين من الحياة رخيئة
 والمغريات مُراودات تُرتجى
 يرثون للمتفيئين ظلالها
 لا تياسوا أن لم يُلح من ليلة
 فلئن صليتم من هنات جمرها
 فطوال مُخرجة الأمور وإن قست
 لا بد أن يشب الزمان وينثني
 وتجدد الأيام عهداً وصالحها
 فهناك سوف يكون من زهراتكم
 والبؤس إذ غدق النعيم جوارياً^(١)
 شعلاً يسير على هداها الساري
 فاذا انفجرت به فأي ضواري
 بلماظة، ومن الكرى بغيرار^(٢)
 ونخب، من عون ومن أبكار^(٣)
 علماً بما شريت به من عار
 فجر، ولم تؤذن بضوء نهار
 ومشيتهم منهن فوق شفار^(٤)
 في شريعة التأريخ جد قصار
 حكم الطغاة مقلّم الأظفار
 من بعد إعراض لها ونفار
 أصفى معارفها، وأطيب جار

^(١) الفقر منصوب على البداية من ((أغلى)) و ((أفدح)) وهما مفعولان لاسم الفاعل ((الباذلين)).

والغدق: محرقة: الماء الكثير. الساري: السائر ليلاً.

^(٢) اللماظة: بقية الطعام في الفم. والغرار: القليل من النوم.

^(٣) العون: جمع عون وهي (بالفتح) المرأة المتزوجة. والأبكار: جمع بكر، والعون والأبكار كناية عن

تنوع المغريات.

^(٤) الهنات: المصائب والشور. والشفار: حد السيوف.

وهناك سوف يرى الغنيمَة معشرٌ
فحذارٍ من عُقبى القنوطِ حذارٍ
أنْ يُمسيكُوا من خَلْفِكُمْ بغُبارٍ
وبَدارٍ للعهدِ الجديدِ بَدارٍ^(١)

بغداد، عام ١٩٤٦

^(١) حذارٍ: بمعنى احذر. وبتدار (بكسر الباء) بمعنى أسرع. والقنوط: اليأس.

دجلة في الخريف

١٦٣

ديوان الجواهري

بَكَرَ ((الخريفُ)) فراح يُوعِدُهُ
 وَبَدَتْ مِنَ الْأَرْمَاتِ، عَائِمَةٌ
 وَكَأَنَّ مِنْ زَبَدِ الرِّمَالِ عَلَى
 وَاسْتَثْقَلَ النُّوتِيُّ مَجْدَفَهُ
 وَتَحَفَّزَتْ شُمُّ الْجِبَالِ لَهُ
 ظَلَّتْ تُعَدُّ خُطَاهُ تَرَقُّبُهُ
 جَرْدَاءُ، وَهُوَ يَضِجُ مَلْعَبُهُ
 خَرَسَاءُ، وَالْأَنْغَامُ تُرْقِصُهُ
 تَتَعَثَّرُ الْأَجْيَالُ خَالِدَةً
 ((داودُ)) بِالْمَزْمَارِ يُوقِظُهُ
 أَنْ سَوْفَ يُزِيدُهُ وَيُرْعِدُهُ
 فِيهِ، طَلَائِعُ مَا يَجْنِدُهُ^(١)
 أَمْوَاجُهُ، طِفْلاً يَهْدِيهِ
 بِرِمَامٍ بِمَقْبَضِهِ يُجَدِّدُهُ^(٢)
 بِثُلُوجِهَا كَسَفَا تَهْدِيهِ^(٣)
 فِي الصَّيْفِ مُزْدَهَرًا وَنَحْسُهُ
 ظَلَمَاءُ، وَهُوَ يَشْبُ مَوْقِدُهُ!
 وَكَأَنَّهَا بِالْمَوْجِ تَرْفُدُهُ
 فِيهَا.. وَيَحْضُنُهَا مُحَلِّدُهُ
 وَيُنِيمُهُ بِالْعُودِ ((مَعْبِدُهُ))^(٤)

^(١) الأرمات: جمع رمث (بفتح الميم) وهو خشب يضم بعضه الى بعض ويركب في البحر، ويشاهد ذلك بكثرة

في دجلة والفرات حتى الآن في مواسم الفيضان لسهولة انحداره مع التيار.

^(٢) أي أن النوتي يستثقل مجذافه لأنه مصنوع من الخشب الثقيل لمقاومة الماء الطاغي وأنه ينهمك بتجديد

مقبضه خوفا عليه من الانكسار.

^(٣) في البيت إشارة إلى أن فيضان دجلة ينشأ عن ذوبان الثلوج الذي يتدئ من فصل الصيف حتى فصل

الخريف. الكسف: القطع.

^(٤) إشارة إلى مزامير النبي ((داود)) المعروفة وإلى ألحان ((معبد)) من شيوخ المغنين في العهد الأموي وواضعي

أسس الغناء وقواعده.

والهيمُ تخزنه وتنهبُهُ
أَلْقَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَفَاتِيحِهَا
وَرَمَتْ لَهُ يَقْظَانَ مِنْ مُتَعِ
وَالنَّجْمُ حَارِسُهَا وَحَارِسُهُ
الآنَ أَذْرِكُ سِرَّ زَفْرَتِهِ
فَلَفَقَ عَلَيْهِ نَفْسًا تَنْفَسُهُ
يَتَعَقَّبُ الْمَسْكِينُ مَوْجَتَهَا
لَمْ يَدْرِ حَتَّى الْآنَ شَيْمَتَهَا
وَالغَيْدُ تَنْزِلُهُ وَتَصْعَدُهُ^(١)
مَا لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ يَشْهَدُهُ
مَا نَحْنُ فِي الْأَحْلَامِ نَنْشُدُهُ
وَالظِّلُّ مَوْعِدُهَا وَمَوْعِدُهُ
إِذْ لَمْ يَعُدْ سِرًّا مَجْلُدُهُ
وَلِذِكْرِهِ تَهْدَأُ تَهْهَدُهُ
عَبَّأَ بِمَوْجَتِهِ وَتَطْرُدُهُ
حَسِبَ الْهَوَى نَعْمًا يُرَدِّدُهُ
وَاليَوْمَ أَهْوَى مِنْهُ مَقْصِدُهُ

لو يستطيع لَرَدَّ خُضْرَتَهُ
وَبِرْغَمِهِ أَنْ حُبَّ خَابِطُهُ
مَا سَرَّهُ ((وَالْبَيْضُ)) تُنْكِرُهُ
فَالذِّكْرِيَّاتُ الْغُرُّ يَشْهَدُهَا
وَبِرْغَمِ سَفْحِيهِ تَوْرُدُهُ
لِلزَّارِعِينَ وَذَمَّ مَوْرُدُهُ
أَنَّ الْمَرَاعِي الْخُضْرَ تَحْمَدُهُ!
رَقْرَاقُهُ الصَّافِي وَتَشْهَدُهُ

مُتَطَامِنٌ لَمْ تُخَشَّ صَوْلَتُهُ
لَكِنْ تَضَيِّقُ بِصَائِلِ يَدِهِ

^(١) الهيم: العطاش. والغيد: النساء الحسنان اللينات الأعطاف.

فَمِنَ الشُّمَالِ يَدُّ وَتُنْهَضُهُ
 كَالنَّاسِ لِلْحُفْرَاتِ مَرْجُعُهُ
 وَخُضُوعُهُ كَخُضُوعِهِمْ أَبَدًا
 وَالْفَصْلُ دُونَ الْفَصْلِ، يُنْعَشُهُ
 لَغَبٌ فَلَا إِمْسَاءَ يُوسِعُهُ
 النُّجْمُ أَعْمَى لَا يَرِافِقُهُ
 مُتَحَيِّرٌ لَا يَسْتَحِمُّ بِهِ
 وَكَأَنَّ مُحْتَشِدَ الضَّبَابِ بِهِ
 وَالشَّمْسُ فَاتِرَةٌ تُذَكِّرُهُ
 أَيَّامَ تَنْفُخِ فِي قَرَارَتِهِ
 وَالغَيْمُ يَحْلِفُ لَا يُبَارِحُهَا
 وَالْبَدْرُ.. حَتَّى الْبَدْرُ يُوحِشُهُ
 هَذَا الَّذِي مَا كَانَ مِثْلَهُمَا
 كَانَا يُرَبِّانِ الْغَرَامَ مَعًا

لَمْ يَبْقَ مِنْ هَرَجِ الرَّبِيعِ بِهِ
 وَمِنَ ((الْعَرِيشِ)) عَلَى شَوَاطِئِهِ
 إِلَّا الَّذِي قَدَفَاتِ أَجْوَدُهُ
 إِلَّا خُشَايَاتِ تَحْدُدُهُ

(١) اللغب: المتعب.

ركبٌ تحمّل عنه ناشطه
والسامرون انفضّ عرسهم
حجّل الغراب على مواعدهم
ومن الحمام أظله زجل
ضنك المسفة يدني عطشاً
مُستائلاً لم حال ريقه
وأقام عاجزه ومقعده
لا جدّه أغنى، ولا دده^(١)
وعلى الرماد بها يلبد^(٢)
كليف بلحن الصيف ينشده^(٣)
وتموج الأذي يبعده^(٤)
عن حرّ لون كان يعهده؟!
عن حرّ لون كان يعهده؟!
عن حرّ لون كان يعهده!؟

وعلى الضفاف، البطُّ منكمش
لاو بذوي النبت يعضده^(٥)
شعث النسيل، كأن عابثة
مجنونة، راحت بُدده^(٦)
ما الصيف سبط من جدائله
جاء الخريف له يجعده!

(١) الدد (بفتح الدال): اللعب. والبيتان يشيران إلى ليالي المصطافين على ضفاف دجلة وإلى عرائشهم المقامة عليها.

(٢) لبدّه: ألصقه بالأرض، ومنه تلبد بالمكان أي لزمه لا يفارقه.

(٣) الزجل: المترنم ومنه الأزجال التي يتغنى بها.

(٤) سف الطائر وأسف: مر على وجه الأرض وضحك المسفة شديد المقرب من الماء.

(٥) عضد النبت: قضمه وكسره.

(٦) النسيل: ما ينسله الطائر من ريشه وينتفه.

بادي الخُمُولِ يُوودُه عُنُقٌ في أَمَسٍ، مَن زَهْوٍ، يُمَدِّدُهُ! (١)
وكانه - إِذْ خِيفَ مَسْبَحُهُ - مَثَرَهُبٌ قَد سُدَّ مَعْبَدُهُ!
أُتْرَى يَعُودُ غَدًا لِلْعَبِيهِ أَمْ لَا يَعُودُ كَأَمْسِهِ غَدُهُ! (٢)

وتَهَضَّمِ النَّوْتِيُّ زورِقَه بالقار، بعد الغيد، يَحْشُدُهُ (٣)
يَقْتَاتُ مَن كَسَرَ يُبْتِئُهَا في اللوح، أو حَبَلٍ يُمَسِّدُهُ (٤)

لم أَدْرِ لِمَ لَمْ تُنْبِئِي سُرُجٌ في شاطئيه، أَيَنَ مَرَقَسَدُهُ
وَمَضَّتْ.. فقلتُ: النَّوْمُ أَعوزَه وَجُفُونُهُ، رُمَدًا، تُسَهِّدُهُ!
وَحَبَّتْ.. فقلتُ: غَفَا، وَإِن صَدَى في السَّمْعِ مَن زَفَرٍ يُصَعِّدُهُ!
وَكأنَّ تابوتاً يُعِيدُ لَهُ مَلَأْ حُحُه فَيَا يُنْضِدُهُ
وَحَسِبْتُ مِزْمَاراً يُشَيِّعُهُ للقبير، مِسْمَاراً يُشَدِّدُهُ
وَتَجَاوَبَ ((الأجراء)) قَافِيَةٌ سَمَحَاءَ بَاكِيَةٌ تُحْجِّدُهُ! (٥)

يَا صَامِتاً عِيَّأً، وَمَنْطِقُهُ مُنْفَجِّجُ الرِّيبُوعِ سَرَمَدُهُ

(١) يؤوده: يثقله.

(٢) تهضم: أذل

(٣) مسد الحبل: فتلته.

(٤) الاجراء: جمع جرو.

تَهْفُو فَرَائِدُ عِقْدِهِ جَزَعًا
وَتُشِيرُ فِيهِ الذِّكْرِيَّاتُ شَجَاً
وَمُؤَكَّلًا بِالذَّهْرِ، يَزْرَعُهُ
يَا شَطُّ، أَنْتَ أَعَزُّ مُنْقَلَبًا
وَكَذَا الطَّبِيعَةُ فِي عُنَاصِرِهَا
نَرْتَادُ جَامِدًا نُفَجِّجُوهُ
فَلَعَلَّ ذَا، وَلَعَلَّهَا لُغَةُ
وَلَرَبِّمَا ضَحِكْتُ بِسَائِطِهَا
مَمَّا بَهَا، وَتَهْمِيمُ شُرْدُهُ^(١)
يَعْيَابُهُ فِيخُورُ أَيَّدُهُ^(٢)
فِي شَاطِئِهِ ثُمَّ يَحْصُدُهُ
فِي النَّاطِقِينَ بِمَا تُخَلِّدُهُ
حِينَ حَبِيسُ الرُّوحِ مَجْهَدُهُ!
وَعَقِيمٌ غَامِضٌهَا نُؤَلِّدُهُ
مَنْ غَيْرِ مَا جَرَسِ نُعُودُهُ
هُزْءًا بِنَا مَأْنَعَقْدُهُ

بغداد، عام ١٩٤٦

^(١) يراد بفرائد العقد حبات الماء المتجمعة في النهر، وكذلك الشرد. وتهفو: بمعنى تتعثر.

^(٢) الأيد: القوي

الجيل الجديد

يا أيها ((الجيلُ الجديدُ)) سلامٌ
ورمتُ بكلِّكِلِها عليكِ فوادِحُ
أَلقتُ إليكِ وأنتِ أشرفُ ناهضِ
فرمى لكِ الماضي الأليمُ بِوزِيرِهِ
والحاضرُ المُرتجِّعُ بينهما شجاً
ألقى إليكِ ((الخائنون)) نتاجَ ما
والمخلصون، رجاءُهم أن تنجلي

أَلقتُ إليكِ بثقلِها الأعوامُ
مما تجنّى ((السادرون)) جسامُ
ثقلَ بينهما الأملُ والآلامُ
ورنالكِ المستقبَلُ البسامُ
وتطلُّعاً تهفوبه الأحلامُ
سَدَروا وشطّوا وارتعوا وأساموا
كُربٌ وأن يلد الصباحَ ظلامُ

يا أيها ((الجيلُ الجديدُ)) وطالما
ولطالما اشتطَّ الطغاةُ وأرجفوا
سَمَّوكِ ((هداماً)) لأنكِ تجتوي
ولأنكِ استمتِ العدالةَ خطّةً
وغضبتِ أن تجدَ الرعايا مَغْنِماً

لصقتِ بغيرِ ذواتِها الأعلامُ
للمصلحينَ وأقعدوا وأقاموا
ما البغيُّ سنّاً، وما جنى الإجرامُ^(١)
مَن في يديه النقصُ والإبرامُ^(٢)
بيدِ الرُّعاةِ كأنهم أنعامُ

^(١) اجتنوى: كره.

^(٢) استمت: تكلفت.

وشجبت أن الحكم في قاموسهم
هون عليك فكل ذلك فريضة
وكذاك كل ((مخرّب)) لرديلة
سوط يشد، وشهوة وعرام^(١)
تفنى ويبقى السعي والإقدام
بان، وكل ((معمّر)) هدام

بغداد، عام ١٩٤٦

^(١) العرام: الشدة والشراسة.

إلى الوفد الرياضي الإيراني

(وفد حزب توده للعراق)

أهلاً بكم رمزَ الشباب ومرحبا
الحاملين من ((النضال)) لواءه
والناشرين من الأخوة مذهباً
يا من أعين ((قديمتنا)) بقديمهم
وتسلسل التاريخ فيما بيننا
إننا وأنتم - والتوجُّع واحد -
ليزيدنا الألم الدفين تماسكاً
المُطلعين من ((الفتوة)) كوكبا
والناهجين به الطريق الألبا^١
هو خير ما ارتضت الشرائع مذهباً
و ((حديثنا)) بحديثهم فتأشبا^٢
متقاسمين ((أمره)) و ((الأعدبا))
ليزيدنا المستعمرون تقرباً
ليزيدنا صهر الخطوب تصلباً

بغداد، عام ١٩٤٦ م

^١ الالحب: الأوضح.

^٢ تأشب: هنا من تأشب الشجر أي تشابك والتف.

أرج الشباب

١٧٥

ديوان الجواهري

قدمتها جريدة ((الرأي العام)) عند نشرها بما يأتي:

(في حفل حاشد لم تشهد الحلة له نظيراً وعلى مئات من طلاب المدارس المتسابقين جلوساً ووقوفاً على سماع ما وعدوا به من قصيدة أعدّها الأستاذ الجواهري خصيصاً لهم، فألقى بتحيته العزيرة هذه وكان تيار عنيف من التصفيق والهتافات المستمرة يقاطع كل مقطع من مقاطعها)).

أَرْجُ الشَّبَابِ وَخَمْرَهُ الْمَسْكُوبُ
 وَمَنْ الرِّبِيعَ نَضَارَةً بِوَجْهِكُمْ
 وَمَنْ الْفُتُوَّةَ سَلَسَلٌ مُتَحَدِّرٌ
 وَلَأَنْتُمْ إِنْ غَابَ نَجْمٌ يُقْتَدَى
 وَتَأَزَّمْتَ كُرْبٌ، وَضَاقَتْ خُطَّةٌ
 سُرُجٌ تُنِيرُ الْخَاطِبِينَ، وَأَنْجُمٌ
 تَتَجَهَّمُ الدُّنْيَا، وَيَعْبِسُ بِاسْمِ
 حَتَّى إِذَا ابْتَسَمَ ((الشَّبَابُ)) تَذَوَّبَتْ
 لَيْفُوحٌ مِنْ أَرْدَانِكُمْ وَيَطِيبُ
 تَنْدَى وَمَنْ شَهِدَ الْحَيَاةَ ضَرِيبُ
 مِمَّا يَفِيضُ يَكَادُ يُتْرَعُ كَوْبُ
 أَوْ حُمٌّ خَطَبٌ حَالِكٌ غَرِيبٌ^(١)
 وَاسْتَوْحِشْتَ طَرَقَ لَنَا وَدَرُوبُ
 نَعْدُو عَلَى أَضْوَائِهَا وَنَوُوبُ
 مِنْهَا، وَيَعْتَوِرُ الْحَيَاةَ قُطُوبُ
 كَالغَيْمِ فِي الصَّحْرِ الْجَمِيلِ يَذُوبُ

يَا عَاكِفِينَ عَلَى ((الدَّرُوسِ)) كَأَنْتَهُمْ
 وَالْعَازِفِينَ عَنِ اللَّذَائِدِ هُمُّهُمْ
 وَالْمُسْتَقِينَ مِنْ ((الضَّمِيرِ)) يَمُدُّهُمْ
 تَرَكَوَا مَوَاعِيدَ الْحِسَانِ وَعِنْدَهُمْ
 أَشْهَى مِنَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ إِلَيْهِمْ
 إِنَّ الْعِرَاقَ بِلَا نَصِيرٍ مِنْكُمْ
 غُلْبُ الصُّقُورِ مِنَ الظَّمَاءِ تَلُوبُ^(٢)
 ((جَرَسٌ)) يَدُقُّ وَمِنْبَرٌ وَخَطِيبُ^(٣)
 تَبَّعُ وَوَادٍ بِالضَّمِيرِ خَصِيبُ
 بَيْنَ الْمَقَاعِدِ مَوْعِدٌ مَضْرُوبُ
 وَجْهُ ((الْكِتَابِ)) وَوُدُّهُ الْمَخْطُوبُ
 وَبِلَا، مُجِيرٌ، مُقْفِرٌ وَجَدِيدُ

(١) حُمٌّ: اشتد. غريب: حالك.

(٢) الغلب: جمع أغلب ويريد به القوي. تلوب: تحوم حول الماء عطشاً.

(٣) عزف عن الشيء: رغب عنه وعدل.

عاشت سوا عدكُم فهنّ ضوامنٌ
وزَكَتْ عواطفكُم فأية ثروة
ولأنّتم أنتم - وليس سواكم -
ولأنّتم إذ لا ضمائر تُرتجى
ولأنّتم إن شوشت صفحاتنا
الطاهرون كأنهم ماء السماء
إنّا وقد جُزنا المدى وتقاربت
وتخالفت أطوارنا، وتمازجت
وتخاذلت خطواتنا من فرط ما
لنراكم المثل العليّ لأمة
هي أمة لم تحتضن آمالها
وغداً يكفّر والدّ عما جنى
فتماسكوا فغد قريبٌ فجّره
وتطلّعوا يُنير الطريقَ أمامكم
وتخالفوا أن لا يفرّق بينكم
أن يُستردّ من الحقوقِ سلبُ
منها نكافيٌ مُخلصاً ونُثيبُ
أملُ البلادِ ودُخرها المطلوبُ
للرافدين ضمائرٌ وقلوبُ
تُما أجدّ نقائصٍ ودُنوبُ
لم يلتصق دَرَنُ بهم وعيوبُ
آجالنا وأمضنا التجريبُ
ونابنا التّقرّيعُ والتأنيبُ
جدّ الشرى، والشدّ، والتّقريبُ^(١)
ترمي إلى أهدافها وتُصيبُ
وغداً إلى أحضانكم ستؤوبُ
ظلماً على يدِ ابنه ويتوبُ
منكم وكلُّ مؤمّلٍ لقريبُ
قَبَسٌ يشعُّ مناره، مشبوبُ
غايٍ ولا يندسّ فيكم ذيبُ

^(١) والشد والتّقريب: ضربان من السير.

وتذكروا المستعمرين فإنهم
فتفهموا أن العراق بخيره
وتميزوا فهناك وجة سافر
وسوية في خزية مستعمر
إياكم أن تُخدعوا بنجاحكم
أو تحسبوا أن الطريق كعهدكم
إن الحياة سيبلون جهادكم

الله والتعليم والتدريب
مضني يعبيء أمة ويهيب
مدحاً ولكن الجحود معيب^(١)
أو كان نالكما عناً ولغوب^(٢)

ومسهدين جزاهم عن ليلهم
أضناهم تعب.. وخير مجاهد
أخبي ((عبود)) ولست بمعوز
إن كان مسك ((والحسين)) كلاله^(٣)

^(١) الحوب: الاثم.

^(٢) سوية: يريد بها سواد.

^(٣) يبلو: يختبر.

^(٤) هو السيد ((عبود زلزلة) مدير معارف الحلة آنذاك.

^(٥) هو السيد ((محمد حسين الشيبلي)) مفتش معارف الحلة آنذاك.

^(٦) اللغوب: التعب.

فلا أنتما والشاعرون سوية
أولاء غرسكما فهل من غارس
وهل الخلود ألدُّ مما أنتما
لا يحسبون وجودهم ووجودهم
كالشمع يهدي غيره ويذوب
يزكو كهذا، غرسه ويطيب
فيه، وأمر الخالدين عجيب
قبل الوجود، وفوقه محسوب

بغداد، عام ١٩٤٦

إلى المناضلين

١٨١

ديوان الجواهري

أنشدها الشاعر في المؤتمر الأول لحزب ((الاتحاد الوطني)) وكان أحد مؤسسيه وعضواً في ((لجنته المركزية)).

أَطْلُوا، كَمَا اتَّقَدَ الْكُوكَبُ
 وَسَيَرُوا وَإِنْ بَعُدَتْ غَايَةٌ
 وَمُتَدَّوَا سَوَاعِدِكُمْ إِنَّهَا
 وَهَاتُوا قُلُوبَكُمْ أَفْرِغَتْ
 فَمَا إِنْ يَلِيْقُ بِمَجْدِ النُّضَالِ
 وَإِنَّ ((غَدَاً)) بِاسْمٍ يُجْتَلَى

يُنَوِّرُ مَا خَبَطَ الْغَيْهَبُ^(١)
 وَشَقَّوَا الطَّرِيقَ وَلَا تَتَّعَبُوا
 مَعِينٌ مِنَ الْجُهْدِ لَا يَنْضَبُ
 عَلَى نَجْدَةِ الْحَقِّ، أَوْ فَاذْهَبُوا
 ضَعِيفٌ عَلَى نَصْرِهِ يُغْضَبُ
 بِشَقِّ النَّفْسِ وَلَا يُوهَبُ

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ صِنُوجَ الرَّجَا
 أَوْاعِدُكُمْ عَنْ ((غَدٍ)) صَادِقًا
 أَمَامُكُمْ مُوَعِرٌ، مُلْغَمٌ
 يَسُدُّ مَدَاخِلَهُ أَرْقَمٌ
 وَسَوْفَ يَبِينُ إِذَا مَا انْجَلَى
 فَسَوْفَ يَدَوِّرُ ((سَاعَاتِكُمْ))
 وَسَوْفَ يَخُونُكُمْ ((خَائِفٌ))
 وَسَوْفَ يُزَامِلُكُمْ خُطْوَةٌ

ءِ فِي حَوْمَةِ الْيَأْسِ، لَا أُغْلَبُ
 وَيُسْرِفُ فِي الْوَعْدِ مَنْ يَكْذِبُ
 بِشَتَّى الْمَخَافِ، مُسْتَضْعَبٌ
 وَتَحْمِي مَسَالِكَهُ أَذْوَبٌ^(٢)
 غَدٌ، مَنْ يَجِدُّ، وَمَنْ يَلْعَبُ
 بِهَا لَا يَسْرُكُمُ ((عَقْرَبٌ))
 وَسَوْفَ يَسَاوِمُكُمْ ((أَشْعَبٌ))
 وَيَخْدِلُكُمْ خُطْوَةٌ مُتَعَبٌ

^(١) الغيهب: الظلمة.

^(٢) الأرقم: الحية الأرقط.

عليكم فيعزب من يعزب^(١)
 وسوح ((السجون)) بكم ترهب
 غلة مزرعة، تكذب
 مطايا تسخر: يا ((ثعلب))
 وأن يخلف ((الأخبث)) الأطيب
 يفرقها ((الجذ)) و((المذهب))
 وأن يأخذ ((الأرض)) من يدأب
 من ((العيش)) ما عنهم يحجب
 م رث ((الطباع)) وأن تضربوا
 سعي الحياة، وان تسغبوا^(٢)
 وأن تطعموا منه ما يجشب^(٣)

وسوف يطول عناء الطريق
 وسوف تضيق بكم دوركم
 فقولوا لمن ظن أن الكفاح
 وقولوا لمن ظن أن الجموع
 تريدون أن تستقيم الأمور
 وأن تجمعوا الشمل من أمة
 وأن يأكل ((الثمر)) الزارعون
 تريدون أن يعرف الكادحون
 تريدون أن تطعنوا في الصم
 ومن دون ذلك أن تصطلوا
 وأن تردوا ما يمج القذى

((هواة)) يضمهم ملعب
 ظلوماً لمصرعه يطرب
 يثار عليه ولا يغضب
 ذووها، وبالدم لا تخضب
 وطوع أكفهم المشرب

فلا تحسبوا أنكم في الجهاد
 ولا تحسبوا أن ((مستثمراً))
 ولا تحسبوا أن ((مستعمراً))
 ولا تحسبوا ((الأرض)) يئنها
 ولا تحسبوا أنهم يظمأون

^(١) يعزب: يغيب ويبعد.

^(٢) تسغبون: تجوعون.

^(٣) يجشب: يخشن.

فأنذر ((بحنظلة)) خائناً
وبشرُّ بحُلُو ((الجنى)) كادحاً
فلا تهنوا، إنَّ هذي الأكفَّ
تعجَّله الثَّمَرُ الطيبُ
على ((الجذر)) من شَجَرٍ يَضْرِبُ
تُلي على الذَّهرِ ما يكتُبُ

بغداد، عام ١٩٤٦

عمر فاخوري

١٨٧

ديوان الجواهري

ألقاها نيابة عن الشاعر، الأستاذ الأديب رثيف خوري، في الحفل التأسيسي الكبير الذي أقيم في بيروت لمناسبة
أربعينية الأديب التقدمي الكبير عمر فاخوري، وكان من أصدقاء الشاعر الأعداء.

رِثَاؤُكَ مَا أَشَقَّ عَلَى لِسَانِي
وَكَيْفَ يُطِيقُ عَنِ الْمِ بِيَانَا
وَفَقْدُكَ مَا أَمْضَ وَقَدْ تَوَلَّيْتُ
وَشَرِقُ كُنْتَ أَمْسٍ لَهُ سِرَاجَا
تَهَاوَى الطَّامِعُونَ عَلَى ثِرَاهُ
تَعَبَّسُ مِنْ مَزَاحِفِهِمْ ثُغُورُ
وَرُزُؤُكَ مَا أَشَدَّ عَلَى جَنَانِي
تَكْوِلُ شَلَّ مِنْهُ الْأَصْغَرَانِ^(١)
جِيَادُ النَّصْرِ خَوْضَ الْمَعْمَعَانِ
كثِيفُ الْجَوِّ مَنْتَشِرُ الدِّخَانِ
كَمَا اخْتَلَفَ الذُّبَابُ عَلَى خِوَانِ^(٢)
وَتَنَتَّهَضُ الْمَشَارِفُ وَالْمَوَانِي

وَمَا أَدْنَى مَكَانِكَ مِنْ مَكَانِي
كَأَنِّي قَدْ أَصَخْتُ لِمَنْ نَعَانِي
وَأَجْهَلُ كُنْهَهُ حَتَّى دَهَانِي
وَهَلْ أَدْنَتْ بَعِيداً رَاحَتَانِ؟!
مَغَالِطَةٌ، أَعْضُ عَلَى الْبَنَانِ
كَسِيرُ النَّفْسِ يَشْرِقُ بِالْهَوَانِ
إِلَى اللَّمَحَاتِ وَالْمُتَعِ الْجِسَانِ
بِهَا ((لُبْنَانُ)) مُزْدَهَرُ الْمَغَانِي
تَنِيْتُ مِنَ الشَّدَا عَبَقَ الْجِنَانِ
وَمَا أَنبَا مَصِيرَكَ عَنْ مَصِيرِي
أَصَخْتُ لِمَنْ نَعَاكَ عَلَى ذُهُولِ
وَكُنْتُ أَحْسُ أَنْ هُنَاكَ رُزْءَا
صَفَقْتُ بِرَاحَتِي مِنَ التِّيَاعِ
وَرُحْتُ، وَأَيُّ جُرحٍ فِي فِوَادِي
وَعَانَقَنِي مِنَ الذِّكْرَى خِيَالُ
تَسِيلُ دِمَا جَوَانِبُهُ اشْتِيَاقَا
إِلَى تَلِكِ اللَّيَالِي مُشْرِقَاتِ
إِلَى سَمَرٍ كَأَنَّ عَلَيْهِ مَمَا

^(١) الأصغران: القلب واللسان.

^(٢) الخوان: الذي يؤكل عليه.

أَسَلِّي النَّفْسَ فِيهِ عَنِ الْعِيَانِ
وَمُضْطَخِبٍ وَمُرْتَفِقٍ وَحَانِي
تَهْزُ النَّفْسَ مُطْلَقَةَ الْعِنَانِ
شَذَا الْغَضَبِ الْمُطَهَّرِ وَالْحَنَانِ
طَيُوفُ الْمَوْتِ مُلْقِيَةُ الْجِرَانِ^(١)
وَمَا أَعْصَى عَلَى صُورِ الْمَعَانِي
وَكُنْتُ أَلْوَدُ مِنْهُ بَرَّجْمَانِ

خِيَالٌ رُحْتُ مِنْ يَأْسٍ وَجِرْصِي
أَثَارِي الْعَوَاطِفَ مِنْ عَنِيفِ
وَفِكَ مِنَ الْأَعِنَّةِ ذَكْرِيَاتِ
لَمَمْتُ عَطُورَهَا فَشِمَمْتُ مِنْهَا
كِلَانَا مُعْوِزٌ نُطْقًا عَلَيْهِ
لَعَنْتُ اللَّفْظَ مَا أَقْسَى وَأَطْغَى
تَقَاضَايَ بِيَوْمِكَ تَرْجُمَانَا

شُجَاعُ الْقَلْبِ مِنْ حَوَرِ الْجَبَانِ
عِجَافُ النَّشْرِ بِالْفِكْرِ السَّمَانِ
فُلَانٌ فِي الشَّدَائِدِ عَنْ فُلَانِ
بِمَجْدِ الْخَالِدِينَ فَمُ الزَّمَانِ
وَأَيْنَ الْقَادِرُونَ عَلَى الضَّمَانِ
وَكُلُّ مُجْمَعٍ فإِلَى أَوَانِ^(٢)
وَأَنْتَ بِمَعَزِلِ خَالِي الْمَكَانِ^(٣)

فِيَا ((عَمَرَ)) النُّضَالِ إِذَا تَشَكَّى
وِيَا ((عَمَرَ)) الْبَيَانِ إِذَا تَغَدَّى
وِيَا ((عَمَرَ)) الْوَفَاءِ إِذَا تَحَلَّى
وِيَا ((عَمَرَ)) الْخُلُودِ إِذَا تَغْنَى
ضُمِنْتَ مِنَ الرَّدَى لَوْ كَانَ طَوُّلٌ
وَأَنَا وَالْحَيَاةُ إِلَى تَبَابِ
لُحْتَرَبُونَ أَنْ تُمَسِّيَ وَنُضْحِي

^(١) الجران: من البعير مقدم عنقه.

^(٢) التباب: الهلاك.

^(٣) لحتربون: لملجوعون.

أَسَيْتُ لِعَاكِفِينَ عَلَيْكَ حُبًّا
 رِفَاقِكَ يَوْمَ مُزْدَهَرِ الْأَمَانِي
 حَبِيبُكَ بِاسْمِهَا وَالْهَمُّ يَمْشِي
 تُغَالِبُهُ وَتَغْلِبُهُ إِبَاءً
 يُزَمُّ فَمًّا فَمَا تُفْضِي شِفَاهُ
 عَلَى مُوقِفَيْهَا مَرَحٌ وَلُطْفٌ
 يَفِيءُ الصَّحْبُ مِنْكَ إِلَى وَرِيفِ
 تَفِيضُ طَلَاقَةً، وَتَذُوبُ رِفْقًا
 وَمَا أَعْلَى الرَّجُولَةَ فِي شِفَاهِ

وَمُخْتَصِينَ فَضْلَكَ بِاحْتِضَانِ^(١)
 وَدِرْعِكَ يَوْمَ مُشْتَجِرِ الطِّعَانِ
 عَلَى قَسَمَاتِ وَجْهِكَ بِاتِّزَانِ
 كَأَنَّكَ وَالْهَمُّومَ عَلَى رِهَانِ
 وَيَخْفَى السَّرُّ لَوْلَا الْمُقْلَتَانِ^(٢)
 وَإِنْ سَانَاهُمَا بِسُكِّ مُتَعَبَانِ
 لَطِيفِ الظِّلِّ خَفَاقِ المَجَانِي^(٣)
 وَوَحْدَكَ أَنْتَ تَدْرِي مَا تُعَانِي
 مَغْلَفَةٍ عَلَى أَلْمِ ((مُصَانِ))^(٤)

وَعَامِرَةَ المَعَانِي مُتَّقَاةٍ
 فَتَقَتِ الدُّهْنَ فِيهَا عَن طَرِيفِ
 يَمُدُّكَ عَبَقَرٌ فِيهَا وَتُجْبَى
 أَثَرَتْ سَطُورَهَا وَذَهَبَتْ عَنْهَا

بِهَا الكَلِمَاتُ شَاخِجَةُ المَبَانِي
 يُشِيعُ اللَّفْظُ فِيهِ عَن جُمَانِ
 لَكَ الخَطَرَاتُ مِنْ قَاصِي وَدَانِي
 فَهِنَّ إِلَيْكَ مِنْ مَضْضِي رَوَانِي^(٥)

(١) أسيت: حزنت.

(٢) يزم: بمعنى يطبق ويسد.

(٣) المجاني: جمع مجنى ويقصد الشجر أو الأغصان.

(٤) يريد بمصان: مصون - ((من شروح طبعة بغداد)).

(٥) رواني: جمع رانية أي ناظرة.

أبا ((الخطاب)) رانَ عليك ليلٌ
وأغمضتِ الجفونُ على شكاةِ
أمان أن يسودَ الناسَ حُكْمٌ
فلا تبعُدْ وإن أخنى فناءً
ورهنُ الخلدِ أضرحةً عليها
بكي ((بردي)) عليك بفيض دمع
وجئتُ أغضُّ طَرْفي عن حياءِ
إذا ما الحُزنُ طاوَعَ في مُصابِ

عقيمُ الفجرِ لا يتلوهُ ثاني
تُدغِدُها من البُشرى أمانِي
يبيتُ الفردُ منه على أمانِ
وما مُبقي ما آثرهُ بفاني^(١)
قُطوفُ الفكرِ يانعةٌ دواني
ومجَّ ((النيلُ)) فيضاً من بيانِ
فهذا ما يُمجُّ ((الرافدانِ))!
فإنَّ الشِعْرَ يُعذِّرُ في الحِرانِ

بغداد، عام ١٩٤٦

^(١) لا تبعُدْ (بفتح العين): أي لا تهلك.

أرشد العمري

تركوا البلادَ وأمرهِنَّه
لمغفَّلٍ عَمَّا بِهِ
تركوا البلادَ وأمرهِنَّه
وموَكَّلٍ بِالْبَائِعِينَ
وَمِرَافِقِي نُجْدَلِ الْفَنَاقِدِ
بِاللَّهِ قُلِّ لِي يَا ابْنَ مَتُوفِ السَّبَالِ لِأَنْتَ فِتْنَهٗ^(١)
لخِيَالِ مَسْعُورٍ بِجِنِّهٗ
مُحْقِقًا فَكَيْفَ لِمَا بِهِنَّهٗ
لِلدَّائِرَاتِ تُدِيرُهُنَّهٗ
وَبِالِدُرُوبِ، وَرَشُّهِنَّهٗ
بَيْنَ مَرْدُوحٍ وَحَنَّهٗ^(٢)

بغداد، عام ١٩٤٦

^(١) افتتح رئيس الوزراء ((أرشد العمري)) عهد وزارته الجديد بإغلاق الصحف الوطنية وبحملة إرهابية وبمذبحة في شمال العراق (كاور باغي).

^(٢) الندل: جمع نادل وهو العامل في المشرب. والأبيات إشارة إلى منصب ((العمري)) السابق وهو أمانة العاصمة.

^(٣) السبال: الشاربان.

ذات الحجاب

دَعَانِي جَمَالُكَ فِيمَنْ دَعَا فَلَئِيَّتُهُ مُسْرِعاً طِيْعَا
حَشَدْتُ لَهُ مِنْ عَبِيدِ الْهَوَى عَطَاشِي مُحَلَّاةٌ جُوعَا^(١)
عَوَاطِفَ لَمْ تَغْذُ مِنْهَا السَّنُونُ رَجَاءً، وَلَا أَنْعَشَتْ مَطْمَعَا
تَرَامَتْ عَلَى عَذَابِ الشِّفَاهِ حَائِرَةٌ مَقْطَعاً مَقْطَعَا
وَلَا حَتَّ بَرِيْقاً وَوَقِيَتْ الصَّبَا وَعَادَتْ رَمَاداً فَلَنْ تَسْطَعَا
أَسِيْدَتِي مَا أَرَقَّ الْحَجَابَ يُثِيرُ الْفُضُولَ وَمَا أَبْدَعَا
لَقَدْ حَرَّتْ أَيَّامَ الْفِتْنَتَيْنِ أَصْدُ: سَنَاكِ أَمِ الْبُرْقُعَا؟

بغداد، عام ١٩٤٦

^(١) محلاة: ممنوعة عن الورد.

أندونيسيا المجاهدة(*)

يا ((أندنوس))! إن استمات بنوك
ولديك تاريخ على صفحاته
وكان من ألق الضحى ورفيفه
يا ((بنت)) ثانية الجنان بما اشتتهت
وبما تسيل ظهورها وبطونها
بالحاشد الملتف منك إذا دجى
فأت على المستعمرين ظلالها
يابنت ذاك و((أم)) كل مغرق
يا أم كل مشرد عن أهله
بمن ((الجهاد)) يليق إن لم ينتظم
في كل قبر من قبورك طائف
ليشد حاضرك المضمخ بالدم
ومن الطبيعة عن بنيك مدافع
تأبى المروءة أن تزقي غيرهم

يا ((أندنوس))! وفي الخلائق شركة
لا شيء غير الله دون شريك

أضلوك ما الشرق اصطلى بجحيمه
وسقوك من كأس سقينا مثلها
وكذاك أنت وقد تمخضت نقمة
وبميسم من ذلله وسموك^(١)
ولقد يكون أرق من يسقيك
تتمخضين على القنا المشبوك

بغداد، عام ١٩٤٦

^(١) تحية لنضال الشعب الأندونيسي ضد الاستعمار الهولندي، ومن أجل الاستقلال والحرية.

^(٢) الميسم: آلة الكي.

أخي الياس
(رثاء أبو شبكة)

١٩٧

ديوان الجواهري

أخي إلياس: ما أقسى الليالي
تَسْمَعُ إذ تصامم للنجاوى
وتخذعنا بمقمرة لعوب
وتُعطينا اللذاذة عن يمين
وتفرشنا أماني من حرير
وتُدنيننا، وتُبعدنا، وتلهو
وتلْمسُها، وتلمسنا عياناً
تُنِيخُ بكلكلٍ وتقول: مالي^(١)
وتهمس إذ تخارس للسنال
وترمينا بقوس من ((هلال))
وتطعننا دراكاً بالشمال^(٢)
وفي طياتها سُم الصلال^(٣)
بناهو العواصف بالرمال
وتمرق مثل طيف من خيال

أخي إلياس: لا تحل المبقي
كأن الشمس لم تطلع علينا
ولم نترؤ من كأس حرام
ولم نتمن أن السدھر خلد
ولم نسخر بما نمل عليه
يوقى ما احتواك من الجبال^(٤)
ولم ننعّم بوارفة الظلال
ولم نتملّ من سحر حلال
وأنا لا نصير إلى زوال
ولم يسخر بناسخة الأمالي!

(١) الكلكل: هو في الأصل ما بين مخزم الناقة أو الفرس إلى ما يمس الأرض منه إذا ربضت. ثم استعير

لكل ما يلقي بثقله. وأناخ الدهر أو الخطب بكلكله أي نزل بساحة الرجل أو القوم.

(٢) الطعن الدراك: هو المتتابع.

(٣) الصلال: جمع صل وهو نوع من الحيات القتالة سميها.

(٤) المبقي: الذي كتب له البقاء.

أخِي إِلْيَاسُ: لَا وَصْرِيحٌ وَدَّ
وَمَا شَدَّ التَّصَافِي مِنْ عُرَانَا
يَمِينًا لَسْتُ لِلدُّنْيَا بِقَالِي
لَأَنَّكَ كُنْتَ تُوصِينِي بِهَذَا
وَيُوصِينَا بِهِ أَنَا نُوَارِي
وَنَرَجِعُ مِنْ جَدِيدٍ عَنِ فِرَاقِي
وَمَا أَنَا مَنْ يُجَاوِلُ أَنْ يُدَاجِي
بَلَى إِنِّي لَتُعْتَصِرُ اعْتِصَارًا
وَعَاطِفَةٌ أَرْقُّ مِنَ الزُّلَالِ
وَحَلَاهَا مِنَ الْفِكْرِ الْعَوَالِي
وَإِنْ كَدُرَتْ، وَلَا عَنْهَا بِسَالِي^(١)
وَتُوصِينِي بِهِ سَيْرُ الرَّجَالِ
حَبِيبًا، ثُمَّ نُعَقِبُهُ بِتَالِي
أَلِيمٍ، نَسْتَزِيدُ مِنَ الْوَصَالِ
أَحَبَّتَهُ بِكَذِبٍ أَوْ مُحَالِ
حَشَايَ، وَأَنْتَ مُحْتَرَبٌ حِيَالِي^(٢)

بغداد، عام ١٩٤٧

(١) قالي: كاره، مبغض.

(٢) محترَب: ميت.

اليأس المنشود

٢٠١

ديوان الجواهري

نشر، لأول مرة، قسم من القصيدة في جريدة ((الرأي العام)). بعنوان:
((اليأس المنشود أو فلسطين بين العرب والصهاينة)).

وقدمتها الجريدة:

((هذه قصيدة جديدة للسيد الجواهري عن فلسطين وقفنا عن نشرها كاملة، إرسالها إلى مجلة شهيرة خارج

العراق.

وسنعيد نشرها كلها خلال عشرة الأيام القادمة عند نشر المجلة المذكورة إياها)).

والمقصود بالمجلة، مجلة ((الكاتب المصري)).

ولكن مجلة ((الكاتب المصري)) لم تنشر القصيدة، ولما طال الانتظار، خص بها مجلة ((عالم الغد)).

نشرت مجلة ((عالم الغد)) في العددين ٢٣ و ٢٤ الصادرين في ١٥ / ١٠ / ١٩٤٧ القصيدة ومعها كلمة بعنوان

((الجواهري)) تقول:

((تفرد مجلة ((عالم الغد)) بنشر رائعة من روائع الأستاذ الجواهري - شاعر الجيل الحديث - يجدها القارئ

منشورة في هذا الجزء بعد أن امتنع عن نشرها ((عميل)) الأدب العربي الدكتور طه حسين في مجلة ((الكاتب المصري))

المعروفة. في ميولها الصهيونية)).

وحين اطلع الشاعر على ما كتبه مجلة ((عالم الغد)) كتب رداً عليه بعنوان ((اعتداء فظيع على عميد الأدب

العربي)). وظهر الرد في جريدة ((الرأي العام)).

قال:

((قوبلت الكلمة التي وردت في العدد الأخير من مجلة ((عالم الغد)) عن مفخرة الأمة العربية وعميد الأدب

الدكتور طه حسين بكل اشمئزاز وامتعاض من كل الطبقات. ويهنا من هذا الاعتداء الفظيع على هذه الشخصية الفذة أن

الكلمة وردت في معرض التنويه عن قصيدة ((اليأس المنشود)) المنشورة في العدد المذكور وبالعنوان الجواهري. الجواهري

الذي يعلن بصراحة أنه يشجب كل مديح وتقريظ له يجيء مقرونًا بشتم الدكتور طه حسين الذي يكن له من الإعجاب

والتقدير ما لا يتسع له هذا المجال.

كما أن هذا المجال نفسه لا يتسع للتعبير عن مقدار أسفنا للإسفاف الذي اقترن بهذه الكلمة المملوءة حقداً

وجحوداً وفتياتاً على الدكتور العظيم.

إن عاطفة كريمة دفعت بنا إلى أن نختص مجلة ((عالم الغد)) قبل خمسة شهور بهذه القصيدة. وسواء نشرتها

مجلة ((الكاتب المصري)) أم لم تنشرها فلم يكن من اللائق أبداً اتهام الدكتور طه بهذه التهمة الفظيعة التي كثرت

المتاجرة بها في هذه الأيام على حساب فلسطين، وهي الصهيونية.

إننا لا نعدو الحق إذا قلنا ما يلي:

لو قيل لنا من هو أقرب الناس - ولو عن غير قصد - إلى الصهيونية لأجبناه بأنه هو الذي يوهم الناس ويخدعهم

بأن للصهيونية ((عميلاً)) بمكانة الدكتور طه حسين وتفكيره وعظمته!

وملاحظة نختم بها هذه الكلمة هي: أننا كنا نريد أن يكون هؤلاء القائمون على هذه المجلة أحسن وأليق مما

أرادوه لأنفسهم على الأقل من حيث وفاؤهم لصاحب هذه الجريدة - أي الشاعر - وتقدير علاقاته وروابطه الأدبية مع

الدكتور العظيم، ولا يقحموا شتم أعز الناس عليه باسمه واسم قصيدته.

وهنا نعتذر باسم الشباب العراقي الحر إلى الدكتور طه حسين)).

رُدُّوا إلى اليأسِ ما لم يَتَّسِعْ طَمَعًا
شَرُّ من الأملِ المكذوبِ بارقُه
قالوا ((غدُّ)) فَوَجَدْتُ اليَوْمَ يَفْضِلُهُ
ولم أجدْ كَمَجَالِ الصَّيرِ من وطنِ
وإنَّ من حَسَنَاتِ اليأسِ أنْ له
وأنه مُصْجِرُ الأَرْجَاءِ لا كَنَفَا
شَرُّ من الشرِّ خَوْفٌ منه أنْ يَقَعَا
أنْ تَحْمِلَ الهَمَّ والتَّامِيلَ والهِلَعَا
و ((الصبرُ)) قالوا: وكان الشَّهْمُ من جَزَعَا
يَرْتَادُهُ الجُبْنُ مُصْطَافَا ومُرْتَبَعَا
حَدًّا، إذا كَلَّ حَدُّ غَيْرِهِ قَطَعَا
لمن يَلِصُّ ولا ظِلًّا لمن رَتَعَا^(١)

وَجَدْتُ أَقْتَلَ ما عانت مصايرُنا
أنا رَكِبْنَا إلى غَايَاتِنَا أَمَلًا
نَسومُهُ الحَسْفُ أنْ يَطوي مراحِلَنَا
هذا هو الأملُ المزعومُ فاقتَرِعُوا
اليأسُ أطمَعَمَ بالأشلاءِ مِقْصَلَةً
و ((طارقُ)) منه أعطى النصرَ كوكبَةً
وما التوى الشيبُ منه والشبابُ معا
رَخُوا إذا ما شَدَدْنَا حَبْلَهُ انقطعَا
وإن تَشَكَّى الحفا والأينَ والظلمعا^(٢)
واليأسُ أجدرُ لو أنصفتَ مُقتَرِعَا
عدلاً، وطوَحَ ((بالبستيل)) فاقتُلِعَا
نَزْرًا، وعدَى إلى ((الاسبان)) فاندَفَعَا

يا ناديينَ ((فلسطيناً)) وعِنْدَهُم
كم ذا تُلْحون أن تَسْتوقِدُوا قَبْسَا
كَفَى بها فاتَ مَّا سُمِّيَتْ ((أملاً))
عِلْمٌ بأنَّ القضاءَ الحتمَ قد وَقَعَا
من الرَّمادِ، وممَّن ماتَ مُرتَجِعَا
من ((الحلُولِ)) التي كيلتُ لكم خُدَعَا

^(١) مصحح: مكشوف، واضح.

^(٢) الأين: التعب.

جِيلٌ تَصَرَّمَ مَذْأَبِدِي نَوَاجِذَهُ
نَمَا وَشَبَّ بِأَيْدِي الْقَوْمِ مُحْتَضِنًا
وَالسَاهِرُونَ عَلَيْهِ كُلُّ ((مَتَخَبٍ))
تَهْوِي ((العروشُ)) عَلَى أَقْدَامِهِمْ ضَرَعَا
وَعِنْدَنَا سَاسَةٌ سَوْنَا هُمْ تَبَعًا
مِنْ كُلِّ مُرْتَخِصٍ إِنْ عَبَسَتْ كُرْبٌ
رَدَّ الْمُصَيِّبَةَ بِالْمُنْدِيلِ مَفْتَخِرًا
أَوْ عَابَتْ مِنْ ((فِلَسْطِينَ)) وَمَحْتَبَهَا
أَوْ سَارِقٍ لَا لَقَعِرَ السُّجْنِ مَرَجِعُهُ

شَدُّوا بِذَيْلِ ((عُرَابٍ)) أُمَّةً ظَلِمَتْ
وَخَوْفُهَا ب ((دُبِّ)) سَوْفَ يَأْكُلُهَا
وَضَيَّقُوا أَفْقَ الدُّنْيَا بِأَعْيُنِهَا
وَأَوْدَعُوا الْغَلَاطِ مِنْ ((زَبَانِيَةِ))
وَذَاكَ مَعْنَاهُ أَنْ يَبْعُوا كِرَامَتَكُمْ
تَطِيرُ إِنْ طَارَ أَوْ تَهْوِي إِذَا وَقَعَا
فِي حِينِ ((تَسْعُونَ عَامًا)) تَأَلَّفُ السَّبْعَا
مِمَّا اسْتَجَدُّوه مِنْ بَغْيٍ وَمَا ابْتَدَعَا
حَمَقَى حِرَاسَةَ قِرطَاسٍ لَهُمْ وَضِعَا
بِيعَ الْعَبِيدَ بِتَشْرِيحٍ لَكُمْ شُرَعَا

« النواجذ: جمع ناجذ وهو الضرس.

« المنتخب: يريد به النائب في مجلس النواب.

« الضرع: التوسل.

« سؤنا: فعل للذم أي نحن سيئون.

يا ناديين فلسطيناً صدعتكم
ولا جحوداً بأن الليل يُعقبه
ولست أنكر أن قد قاربتُ فرص
لكن وجدتُ القوافي تشكي عتاً
إن تحمدوا أو تذموا إن شافعتي
مررتُ بالقوم ((شذاذا)) فما وقعت
ولا بملقى وأهليه بقارعة
ولا بمن يحرس ((الناطور)) أرجلهم
وعندنا ((سلعة)) تُصفي البنين لنا
وجدتها عندهم زهواً منورة
بيناً تراقص بالأنعام صاحبها

بالقول لا منكراً فضلاً لكم صدعا^(١)
فجرٌ تفجر منه الشمس مُطعماً
وأوشكت مُثقلاتُ الدهر أن تَضعا^(٢)
والمنيرَ الحُرَّ يشكو فرطاً ما افترعاً^(٣)
أني رأيتُ، وما راءٍ كمن سَمِعاً
عيني على مُستمينٍ غيره ضرعاً
ولا بحاملةٍ في الكور من رَضعا^(٤)
مهروءة سَهلت للكلب مُتزعاً^(٥)
تُغلي - ونُرخصها - في الأزمة السلعا
البيتَ والبحرَ والأسواقَ والبيعا
إذا بها تُوسع (الألغام) مُزدرعاً

ونحنُ ما نحنُ قطعانُ بمذابةٍ
في كل يوم ((زعيم)) لم نجدُ خيراً
تساقطت في يدي رُعيانها قطعاً
عنه، ولم ندر كيف اختيرَ واخترعاً

^(١) صدع: ظهر.

^(٢) تضع: تلد.

^(٣) افترع: أهين.

^(٤) يريد ((بحاملة في الكور)) الفلاحة تحمل ولدها على ظهرها ملفوفاً بِصُرّة.

^(٥) يشير البيت الى فلاحي الرز الذين تنهراً أرجلهم من طول بقائهم في الماء والطين حتى ليخشى على الواحد منهم حين ينام أن تنهش الكلاب رجله مما يدعو زوجته أن تحرسه لينام.

أعطاهموربهم في ما أعددهم
كأسين، كأساً لهم بالشهد مُترعةً
قتالةً خوف أن لا تُستساغ لهم
وأن يصبوا عليها من وعودهم
من الولايم صَفُوا فوقها المتعا
وللجَاهيرِ كأساً سَمَّهَا نَقَعَا
أوصاهم أن يُسَقِّوهم بها جُرْعَا
كالشعر - مَكْتَمِلًا - سهلاً ومُتَمِنَعَا

من ذا يردُّ لنا التاريخ ممتلئاً
كانوا يذمُّون ((ربياً)) بالعصا قُرْعَا
ويعتُّون قِتالاً أن ((قُبْرَةً))
وكان من فتح ((عمورية)) منعت
نداءً صارخةً بالروم ((معتصماً))
حميةً لو أخذناها ملطفةً
عزاً وإن لم نُردِّ رداً ومُرْتَجَعَا
ويغضبون لأنفٍ منهم جُدْعَا
ضيمت وأن ((بسوساً)) ذيلها قُطِعَا
مُحَاتِّها حُومَ العقبان أن تَقْعَا
لم يأل أن أدركتها (بُلْقَةُ) سَرْعَا^(١)
بالعلم طابت لنا رداءاً ومُدْرَعَا^(٢)

بغداد، عام ١٩٤٧

(١) البلق: جمع أبلق وهو الجواد فيه سواد وبياض.

(٢) الردء: العون. المدرع: المتحصن.

يا بنت رطاليس

٢٠٩

ديوان الجواهري

عند افتتاح مبنى المدرسة الثانوية الجعفرية الأهلية وهي أول مدرسة ثانوية في مدينة الحي كان قد تبرع ببنائها
وبكامل تأسيسها الشيخ ((بلاسم الياسين)) رحمه الله.

قُمْ حَيِّ هَذَا الْمُنشآتِ مَعَاهِدَا
الشَّامِحَاتِ أَنْوْفُهِنَّ إِلَى السَّمَاءِ
وَالفَاتِحَاتِ عَلَى الْخُلُودِ نَوَافِدَا
قَمْ حَيِّهِنَّ بَبْعِ شَعْبٍ وَائْتِقَا
جَلَّتْ بُنَى تَلِيدُ الرِّجَالِ وَقُدِّسَتْ
قَمْ حَيِّ هَذَا الْمُوْحِيَاتِ صَوَامِتَا
وَاخْلَعْ عَلَيْهِنَّ الْمَوَاهِبَ تُجْتَلَى

يَا بِنْتَ ((رِسْطَالِيَس)) أُمَّكِ حَرَّةٌ
وَأَبُوكُ يَحْتَضِنُ السَّرِيرَ يَرِيهَا
مَشَتْ الْقُرُونُ وَمَا يَزَالُ كَعَهْدِهِ
يَسْتَنْزِلُ الْخَطَرَاتِ مِنْ عَلِيَّائِهَا
لَمْ يَقْتَنْضُ جَاهَاً، وَلَا سَامَ النُّهَى
جَلَّ النُّهَى أَلْفَكُرُّ أَعْظَمُ عَصْمَةٌ

تَلَدُ الْبَنِينَ فَرَائِدَا وَخَرَائِدَا^(١)
وَيَقْوَتُهَا قَلْبَاً، وَذَهْنَا حَاشِدَا^(٢)
فِي أَمْسٍ، ((مَشَاءً)) يَعُودُ كَمَا بَدَا
عُضْمًا وَيُدْنِي الْعَالَمَ الْمُتَبَاعِدَا
ذُلًّا، وَلَا اتَّخَذَ الْحَرِيرَ وَسَائِدَا
مَنْ أَنْ يُرِيدَ وَصَائِفًا وَوَلَائِدَا

يَا بِنْتَ ((رِسْطَالِيَس)) قُصِّي نَسْتَمَعُ
عَنْ عَاشِقِيكَ أَقْرَبَاً وَأَبْعَدَا

^(١) الخرائد: جمع خريدة وهي البنت البكر لم تمس.

^(٢) يريها: يريها.

عن واهبين حياتهم، ما استعبدوا
والصاعدين إلى ((المشائق)) مثلما ارتقت النُّسورُ إلى السماءِ صواعدا
وَمُحَرِّقِينَ يُغَازِلُونَ وَقَوْدَهَا
والمُسَمَّلاتِ عُيُوثُهُمْ، وكأنهم
للشاكرين، ولم يذموا الجاحدا
شوقاً إليك، ويحمدون الواقدا
بطيُوفِ شخصك يكحلون مراداً^(١)

قَصِي فِدَيْتِكَ مِنْ لَعُوبِ غَضَّةٍ
إِنِّي وَجَدْتُ - وللشبابِ حدودُهُ -
فتخلَّعي نجدِ الفُهومِ عَوَارِيَا
وتطلَّبي نُزْجَ النفوسِ عَزِيْزَةً
يابنت ((رَسْطَالِيْسَ)) لُحْتِ ((بِوَأَسْطِ))
خَصِبَ الشُّعُورِ وَسَتَحَمْدِينَ مَوْهَأً
تَصِفُ الْقُرُونَ مُحَابِرًا وَمَشَاهِدَا
أشهى بناتِ الفكرِ أقصاها مَدَى
وتبسَّمي نجدِ الفُنُونِ نَضَائِدَا
هَدِيَا، وَنَنْتَظِمُ الْقُلُوبَ قِصَائِدَا
فَنَزَلْتُ ((حِيَا)) بِالصَّبَابَةِ حَاشِدَا
مِنْ أَهْلِهِ، وَمُغَازِلَا، وَمُرَاوِدَا

إِيهِ ((بِلاَسْمِ)) وَالْمَفَاخِرُ جَمَّةٌ
أحرزتَ مجداً ليس ينفدُ ذكرُهُ
ذَكَرٌ يَظَلُّ بِكُلِّ خَطْوٍ يَرْتَمِي
خَبْرٌ فَقَدْ جُبَّتِ الْحَيَاةُ رُخِيَّةً
وَحَلَبَتْ مِنْ غَفَلَاتِ دَهْرِكَ شَطْرَهَا
وَأَنْسَبَتْ فِي غُدْرِ اللَّذَائِدِ خَائِضَا
أَعْرَفْتَ كَالْأَثْرِ الْمَخْلَدِ لَذَّةً
أحرزتَ منهنَّ الطريفَ التالدا
طَوَّلَ المَدَى وَبِذَلَّتْ كَنْزاً نَافِدَا
لِلصَّفِّ، أَوْ جَرَسٍ يُدَقُّ مُعَاوِدَا
خَضِرَاءَ، لَمْ تَكْذِبْ لَعَيْنِكَ رَائِدَا
وَقَنَصْتَ مِنْ مُتَعِ النَّعِيمِ الشَّارِدَا
وَخَبَرْتَهُنَّ مَصَادِرًا وَمَوَارِدَا
جَازَتْ مُخَلَّدَهَا، فَكَانَ الْخَالِدَا

^(١) المراد: جمع مرود وهو العود الذي كان يستعمل في القديم للاكتحال.

لله درك من كريم أنعشت
 نفقت من عذبات صبيان الحمى
 إني وجدت مواهباً مطمورة
 ولرب أشعث أغبر ذي هامة
 ألوى به فقر، فنكبت خطوه
 قد راح يبعث بالنعاسة راحاً
 قتل العقوق، فكم قتلنا نابغاً
 أولاء حمدك عاقباً عن عاقب
 سيقول عنك الدهر: ثمة ماجد
 كفاه روحاً من نبوغ هامدا
 علقاً بمنعرج الأزقة كاسدا^(١)
 كالزراع أينع لم يصادف حاصدا
 تلقي على كتفيه ثقلاً آيدا^(٢)
 جهل، فزل عن الفضيلة حائدا
 قد كان لولا ذلك يرجع حاسدا
 بين البيوت، وكم وأدنا قائدا
 أتريد أحسن من أولئك حامدا
 في الرافدين شأى الكريم الماجدا^(٣)

هل غير أن رمت الثناء كما ادعى
 مجداً على مجد، فتلك طماحة
 كذبوا فإن الأكرمين طرائد
 وإذا صدقت فللخلود مصايد
 يمشي الكريم مع التكرم تواماً
 نفر، وأن أنبئت ذكرك عامدا
 يمشي عليها المجد نحوك قاصدا
 للمكرمات وإن حُسبن طرائدا
 أبداً تلقف من أتاه صائدا
 صنو يسد خطو صنو عائدا

(١) نفقت: روجت. والعذبات: جمع عذبة وهي ذؤابة الشيء يشير إلى مواهب الصبية. والعلق: الحجر

الكريم الثمين.

(٢) الأيد: المثقل.

(٣) شأى: سبق.

حتى إذا بلغ الجميل أشده
 ما كان باللُّغزِ الخلودُ وإنَّها
 هل غيرُ آلافِ تروحُ كما اغتدت
 تغدو إلى مطمورة، إن لم ترحُ
 أحييتهنَّ فكانَ عدلاً ناطقاً
 وضممتهنَّ لبعضهنَّ مجهراً
 الجهل: أكرم ذائداً عن موطن

أعطيت حق العلم أوفاهاندي
 فاعط المعلم يا ((بلاسم)) حقه
 لو جاز للخرُّ الشجودُ تعبداً
 للمتعبِ المجهولِ في يقظاته
 والمثخنِ المجهولِ لم ينشُد يداً
 والمستبيحِ عُصارةً من ذهنه
 ومددت للتعليم أزاهايدا
 واعضد فقد عدم المعلم عاضدا
 لوجدت عبداً للمعلم ساجدا
 والمرتعى طيف المتاعبِ هاجدا
 تأسو الجراح، ولا تطلب ناشدا
 يغدو الألوفَ بها، ويُحسبُ واحدا

قل للمعلم راجياً، لا راشداً،
 كن للشبيبة في المزالقِ راشداً،

(١) بدائد: متفرقة.

يا خالق الأجيال أبدع خلقها
سيقول عهدٌ مُقبلٌ عن حاضرٍ
ولسوف يبرأ عاقبٌ عن أهله
قل للشبيبة حين يعصفُ عاصفٌ
وإذا اغتلت فينا مراجلُ نعمةٍ
هيئ لنا نشءاً كما انصبَّ الحيا
فلقد رأيتُ اللهَ يخلقُ رحمةً
و ((محمداً)) ما إن أهابَ بجيشه
ويكبُّ جباراً، ويُعلي مُدقعاً
لو لم يعبىء للقيادة ثائراً
ما إن يروحُ مع الضعيفِ مطاوعاً
وأذل خلقِ الله في بكِدِ طغت

وتنوق بالإبداع جيلاً ناقداً^(١)
نُشوى عليه: لُعتَ عهداً بائداً
ولسوف يَتَّهمُ البنونَ الوالدا
ألا يظلموا كالنسيم زواكدا
ألا يكونوا زمهيراً بارداً
لُطفاً، ونشءاً كالزلازل راعداً^(٢)
مَلَكاً، ويخلقُ للتمرُّدِ مارداً
يطأ البلادَ روايباً وفدافداً^(٣)
ويُنيرُ خابطةً، ويُنهضُ راقداً
حَنَقاً على نُظُمِ بَلينَ وحارداً^(٤)
من لا يروحُ على القويِّ مُعانداً
فيه الرزايا مَنْ يكونُ محايدا

نشءٌ يُقوِّمُ من زمانٍ فاسدٍ
عُلْمُكُمْ فُرُضَ الحِسابِ فأنتم
لا كالزمانِ يكونُ خُلُقاً فاسداً
أدرى بهنَّ فوائداً وعوائداً

^(١) أي كن يبداك حريصا على ألا تكون عرضة لدم جيل قادم.

^(٢) الحيا: المطر.

^(٣) الفدفا: الفلاة.

^(٤) الحاردا: الغضبان.

ما إن تُعجّل خَلقَ جيلٍ ناقصاً
 أطلق يدَ التحليلِ في تاريخهم
 لا بُدَّ من فهم الحياةِ معايياً
 جنباً إلى جنبٍ يُتمُّ بعضها
 علّمهُ حُبَّ الثائرينَ من الورى
 واجلُ الشعوبِ كرائماً لا تنتقصُ
 واجلُبْ له أمسِ البعيدَ مراجعاً
 أره لثورته عِظامَ جماجمِ
 وإذا تقصّاك الدليلُ مسائلاً
 فابعثْ له الأشباحَ يشهدُ عندها
 يشهدُ خيالاً عارياً ومُجوعاً

أصلح بنهجك منهجاً مُستعبداً
 قالوا: قواعدُ بيتنيتها غاصبٌ
 صنَع الغريبِ، على الثقافةِ حاقدًا
 وسَطَ العراقِ على الكرامةِ قاعداً

^(١) الأوابد: جمع الأبدية وهي الشاردة يعني الحرة.

^(٢) ثورته: ثورة العشرين. أطن قطع.

^(٣) الضمير المستتر في اعقبت يعود الى الثورة.

تَحْتَلُّ مِنْهُ مَشَارِفًا وَمَنَاهِلًا وَتَسُدُّ مِنْهُ مَسَالِكًا وَمَنَافِدًا^(١)
سَاقَتْ جُيُوشَ الْمَوْبِقَاتِ حَوَاشِدًا لِلرَّافِدِينَ، مَعَ الْجِيُوشِ حَوَاشِدًا
مَا كَانَ أَهْوَنَ خُطْبَةٍ مُسْتَعْمِرًا لَوْ لَمْ يُقِمَّ وَسْطَ الْعُقُولِ قَوَاعِدًا

بغداد، عام ١٩٤٧

^(١) منافذا: منافدا.

عدنا وقودا

٢١٩

ديوان الجواهري

ولى شبابٌ فهل يعودُ
 يريد أن يُنقص الليالي
 يا أبيض الريش طرن منه
 يا هولة تفزع المرايا
 يا حاملاً شارة الرزايا
 يا ناغراً الجرح لا يُداوى
 برغم أنف الصبا وأنفي
 وأن رأسي يمشي عليه
 كم ليلة خوف أن تُواتي
 وكم وكم، والشباب يدري
 ولاح شيبٌ فما يريدُ؟
 مني ظلماً بما يزيدُ
 غدفان ريش الجناح سود^(١)
 منه ويستصرخ الوليد^(٢)
 يا ساعي الموت، يا بريدُ
 إلا بأن يُقطع الوريدُ
 يخضب فودي منك الصديد^(٣)
 تهاعدو له لودو!
 أترع كأس ورن عود
 روع ظبي فنص جيد^(٤)

أعائد للشباب عيودُ أم راجع عهد السعيدُ؟

(١) الغدفان: جمع غداف وهو الأسود الجناح ويطلق أيضاً على الغراب الكبير الطويل الريش والمقصود

بـ((أبيض الريش)) الشيب، و((غدفان)) الشباب والشعور السود فيه.

(٢) الهولة: ما يفزع به الصبي من الأشكال والهينات.

(٣) الفود: جانب رأس الرجل مما يلي الأذنين منه.

(٤) نص: رفع.

أَيَّامَ شَرخِ الصَّبَا وَرِيْقُ
وَنَحْنُ، مِثْلَ الْجُمَانِ زَهْوَاً،
أَمْ لَا تَلَاقِ، فَلَا خَطْوً
وِظْلَهُ سَجْسَجٌ مَدِيدٌ^(١)
يَنْظِمُنَا عِقْدَهُ الْفَرِيدُ
تُؤَدِّي بَعِيداً، وَلَا حُدُودُ؟!

مَنْ مُبْلِغُ الْمُشْتَفِينِ أَنَا
أَنَا اسْتَعْضُنَا ثَوْباً بِثَوْبٍ
فَرَاخَ ذَاكَ الْعَتِيقُ غَضّاً
أَلْوَى بِنَا عَاطِفٌ حَيْبٌ
قَدْ كَانَ يُشْجِي أَهْلَ التَّصَابِي
لَمْ نَدِرْ مَا نَسْتَزِيدُ مِنْهُ
نَهَارُنَا مُتَرَفِّفٌ بَلِيدٌ
فَالْيَوْمَ إِنْ تُعْتَصِرْ شَفَاهُ
أَوْ يَطَّرِدْ قَانِضٌ قَنِيصاً
صِرْنَا لِمَا يَطْمَحُ الْحَسُودُ؟^(٢)
وَطَالَمَا اسْتَبَدَّلْتَ بُرُودُ
وَلَاخَ - رَثّاً - هَذَا الْجَدِيدُ
وَمَلْنَا الْوَاصِلُ الْوُدُودُ^(٣)
أَنَا عَلَى هَامِهِمْ قُعُودُ
لَوْ قِيلَ: هَلْ عِنْدَهُمْ مَزِيدُ؟
وَلَيْلُنَا جَامِحٌ عَنِيدُ
أَوْ تُهْتَصِرُ - لَدَنَةً - قُدُودُ
أَوْ تُعْجِبُ الْأَغْيَدِينَ غَيْدُ

(١) السجسج: البارد اللطيف.

(٢) المشتفين: أي الحاسدين.

(٣) ألوى بنا: أماننا وطرحننا.

نَقْنَعُ مِنْ لَذَّةٍ وَهِيَ
أَنَا عَلَى عُرْسِهِمْ سُهْوِي
عُدْنَا وَقِيداً...! وَكُلُّ حَيٍّ،
لِلذَّةِ تُشْتَهَى، وَقِيداً!

بغداد، عام ١٩٤٧

المقصورة

٢٢٥

ديوان الجواهري

رائعة الشاعر وأحبّ القصائد إلى نفسه، فُقِدَ جزء كبير منها - يزيد على مائة بيت - إذ أطارَت الرياح قصاصات الورق المدونة عليها المسوِّدة وألقتها في مياه دجلة في أثناء انهماك الشاعر بتتقيحها خلال صيف عام ١٩٤٧ في داره المطلة على النهر، كما فُقدت وريقات أخرى تضم حوالي خمسين بيتاً في أثناء انتقال جريدته ((الجهاد)) إلى موقع آخر. وبذلك تكون ((مقصورة الجواهري)) مشتملة في الأصل على ما يقارب أربعمئة بيت من الشعر. وبالرغم مما عُرِفَ عن ذاكرته إلا أنه لم يستطع أن يسترجع بيتاً واحداً من الأبيات المفقودة.

برغم الإباءِ ورغمِ العُلى
 ورغمِ القلوبِ التي تستفيـ
 وإذ أنتَ ترعَاكَ عَيْنُ الزمانِ
 وتلتفُّ حولَكَ شَتَّى النُّفوسِ
 وتُعربُّ عنها بما لا تبين
 فأنتَ مع الصبحِ شَدُو الرِعاةِ
 وأنتَ إذا الخطبُ ألقى الجِرانَ
 أَلحَّتْ بِشِعْرِكَ للباثسين -
 تروحُ على مثلِ شوكِ القِتَادِ
 وتطوي الضُّلوعَ على نافذِ
 دريئةٍ كلِّ جذيمِ اليدينِ
 ورغمِ أنوفِ كرامِ الملا
 ضُ عطفاً تحوطُكَ حَوَاطِ الحِمى
 ويَهْفُو جُرْسُكَ سَمْعُ الدُّنَى^(١)
 تَجْبِشُ بِشَتَّى ضروبِ الأسي
 كأنَّكَ من كلِّ نفسٍ حشا
 وحلمُ العذارى إذا الليلُ جا
 وحطُّ بكلِّكليه فارتمى^(٢)
 بداجي الخطوبِ - بَرِيقَ المُنَى
 وتغدو على مثلِ جَمْرِ الغُضا^(٣)
 من الصَّيرِ يُدمي كحزُّ المَدَى^(٤)
 رمى عن يَدَيِّ غيره إذ رمى^(٥)

^(١) الجرس: الصوت الخفيض، والنغم.

^(٢) جران البعير: رقبته. وكلكله: صدره. وألقى جرانه وحط بكلكله: برك وأناخ.

^(٣) القتاد: شجر صحراوي شائك: يضرب المثل بقوة شوكه.

^(٤) المدى: جمع مدية وهي السكين.

^(٥) من معاني الدررئة: ((حلقه، يتعلمون عليها الطعن)) فهي كالهذف.

رمى عن يدي حاقدي نافس
 وجلساً لدارك والمقرفون
 على حين راح هجين الطباع
 أدرّ عليه نُدي الحُمولِ
 يجرُّ ذبول الخنا والغنى
 وحوالك مثل فراخ الحمام - لولا الشعور - وزُغِب القطا
 تدور عيونهم والذكاء يلمع فيها كحدّ الظُّبا
 إلى كل شوهاء مردولة
 وتزجّع والعتب في موقهيا
 بـ ((علقة الفحل)) أزجي اليمين
 وبـ ((الشنفرى)) أن عيني لا
 وبـ ((المتنبى)) أن البلاء -
 عليك احتشاد العلى والندي^(١)
 يجولون كل مجالٍ بدا^(٢)
 تنطفأ أطرافه بالخنا^(٣)
 وهزته في المهدي كف الغبا
 وتهفو عليه ظلال المنى
 وأسوة مستأثر بالغنى
 تساءل: أيكما المبتلى؟
 أني ألدُّ بمُرّ الجنى^(٤)
 تكدان في النوم طعم الكرى
 إذا جدّ - يعلم ((أني الفتى))^(٥)

^(١) ينفس عليك عيشك: يحسدك عليه.

^(٢) جلس: الخرقه على ظهر الفرس تحت السرج وتستعمل بمعنى ملاصق ملازم مجازاً، فجلس

لدارك: ملازم له. والمقرفون: من يدعون إلى ((القرف)) أي إلى الاشمئزاز.

^(٣) تنطف: تقطر وتنضح. والخنا: الفحش.

^(٤) علقمة الفحل والشنفرى: شاعران جاهليان عرف عنهما خشونة العيش وصلابة العود.

^(٥) إشارة إلى بيت المتنبي في مقصورته:

ألا من كريم يسر الكرام
في طالما كان حد البغي
ويطالما نبي السادرون
على أنه من شفاء الصدور لو أن حراً كريماً شفى
تأصل هذي العروق الخباث
فما هي أول مجذومة
ولا هي أول ((أغلوطية))
وما بالنفوس اللواتي ملكن
عناء إلى من يقيت البطون
إلى من يكف صغار النفوس،
يكفهم أن يكون الكريم
بجيفة جلف زنيم عتا^(١)
يخفف من فحش أهل البغا
بما اقتيد من سادر ما ارعوى^(٢)
فقد ضاق بالجذم منها الثرى^(٣)
مخافة عدوى بها تفتى^(٤)
محاشط رسما فاعى
بأطماهن عنان السما
ولكن إلى من يميظ الأذى
صغار الحلوم، صغار الهوى
به عن هوانهم، يشفى

أنبيك عن أطيب الأخبين فقل أنت بالأخبث المزدري

= لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أني الفتى

(١) الجلف: الرجل الحقيير الجافي الطباع. الزنيم: الملحق بالقوم وليس منهم.

(٢) السادر: اللاهي العابث، الذي يعيش بلا هدف.

(٣) جذم الشجر: جذرها.

(٤) نفوس مجذومة، فيها مرض الجذام.

زَقَاقٌ مِنَ الرِّيحِ مَنْفُوخَةٌ وَإِنْ ثَقَّلَ الزَّهْوُ مِنْهَا الْخَطِيءَ^(١)
 وَأَشْبَاحُ نَاسٍ، وَإِنْ أَوْهَمُوا بِأَنْهَمُ ((قَادَةٌ)) فِي الْوَرَى
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي حَرَبْتُ الطَّغَاةَ سَلَمٌ لِكُلِّ ضَعِيفِ الدَّمَا^(٢)
 وَأَنْي تَرَكْتُ دَهِينَ السُّبَالِ كَثِيرَ الصِّيَالِ، شَدِيدَ الْقَوَى^(٣)
 مِنَ الْخَوْفِ كَالْعَيْرِ قَبْلَ الْكَوَاءِ يَجْبِقُ مِمَّا اصْطَلَى وَاكْتَوَى^(٤)
 بِمَاذَا يَخَوْفُنِي الْأَزْدَلُونَ وَمِمَّ تَخَافُ صِلَالُ الْفَلَا؟!
 أَيْسَلْبُ عَنْهَا نَعِيمُ الْهَجِيرِ، وَنَفْحُ الرَّمَالِ، وَبَذْخُ الْعَرَا!!؟
 بَلَى! إِنَّ عِنْدِي خَوْفَ الشُّجَاعِ وَطَيْشَ الْحَلِيمِ، وَمَوْتَ الرَّدَى
 إِذَا شِئْتُ أَنْضَجْتُ نَضْجَ الشُّوَاءِ جَلُوداً تَعْصَّتْ فَمَا تُشْتَوَى
 وَأَبْقَيْتُ مِنْ مَيْسَمِي فِي الْجِبَاهِ وَشِمًا كَوْشَمِ بِنَاتِ الْهَوَى^(٥)
 فَوَارِقُ لَا يَمَّحِي عَارَهُنَّ وَلَا يَلْتَبَسُنَّ بِوَصْفِ ((سَوَى))!

^(١) زقاق: جمع زق وهو الجراب.

^(٢) الذماء: بقية الروح.

^(٣) السبال: اللحي، والواحدة سبلة.

^(٤) العير: الحمار، الكواء: اسم من كوى يكوى كالشواء من شوى يشوي. يجبق: يضرط.

^(٥) الميسم: اسم آلة يوسم بها.

بحيثُ يُقالُ إذا ما مشى الصَّليُّ بها: إنَّ وغداً بدأ^(١)
وحيثُ يُعيَّرُ أبناؤه بأنَّ هُمُ والبدأ مثلُ ذا

أقولُ لنفسي إذا ضمَّها وأترابها محفلٌ يُزدهى:
تساميُ فإنك خيرُ النفوسِ إذا قيسَ كلُّ على ما انطوى
وأحسنُ ما فيك أنَّ ((الضمير)) يصيحُ من القلبِ أنِّي هنا
وأنتِ إذا زيفُ المعجبينَ تلاًلأ للعينِ ثمَّ انجلى
ولم تستطعْ همُّ المدَّعينِ صبراً على جمرةِ المدَّعى
خلصتِ كما خلصَ ابنُ ((القيون)) ترعرعَ في النارِ ثمَّ استوى^(٢)
تساميُ فإنَّ جناحيكِ لا يَقَرَّانِ إلا على مُرتقى
كذلكَ كلُّ ذواتِ الطَّماحِ والهَمِّ، مخلوقةٌ للذُّرى
شهدتُ بأنك مذخورةٌ لأبعدَ ما في المدى من مدى
وأنتِ سوفَ تدوي العصورُ بما تركينَ بها من مدى
بآيةٍ أنَّ يدَ المغرياتِ تهابُكِ إلا كلمسِ الندى
وأنتِ إنَّ يلمعُ مطمعُ يُخافُ على الرُّوحِ منه العمى

^(١) الصلي: الموسوم بالميسم.

^(٢) القيون: واحدهما القين، وهو الحداد، وصانع السيوف وابن القيون هو السيف لأنه من نتاجهم.

يموتُ ((النبوغُ)) بأحضانه
وتمشي الجموعُ على ضوئه
وكادت تُلْفُكُ في طيِّها
وِينعى به ((الأمل)) المرتجى
لتبكي على عبقرِيّ قضي
حواشيه.. رَدِّكَ عزمٌ مضى^(١)

لِشْرِّ النِّهائياتِ هذا ((المطافُ))
متى ترَعوي أُمَّةً بالعِراقِ
تُدْرِي على الضَّيْمِ ذَرَوَ الهشيمِ
وتنزو بها شهوةُ المشتهينِ
يَجِدُ بَغِيضٌ بها عهدَهُ
وتسَمَنُ منها عِجافٌ مَشَتْ
تُرَاوِدُها عِزُّها كالقُرومِ
عجبتُ وقد أسلمتُ نفسَها
وكلُّ مَطافٍ إلى مُنتهى
تُساقُ إلى حتفِها بالعِصا
ويَعْرِفُها الذُّلُّ عَرَقَ اللِّحَا^(٢)
كما دُحِرِجتُ كُرةً تُرتمى
إذا قِيلَ عهدٌ بَغِيضٍ مضى
إلى الأجنبيِّ يَجْرُ الخُصى
هَجانٌ عليها غريبٌ نَزَا^(٣)
لَعَرَكِ الخُطوبِ و عَصِرِ الشَّقَا

^(١) ردك: جواب شرط (إن) في قوله وانك إن يلتمع مطمع، والعجز ورد في كل الطبعات: ((حواشيه.. ردك عزمٌ قضى))، لكنه ورد في البيروتية هكذا: ((حواشيه.. ردتك كفّ القضا)). ومع ذلك نرجح أن الصواب هو ما كتبناه أعلاه (أنظر: مقدمة المدقق).

^(٢) عرق العظم: أزال ما عليه من لحم. واللحاء: قشر جذع الشجرة.

^(٣) القروم: السادة، واحدها قرم. الهجان: جمع هجين وهو الذي ولد من أبوين مختلفين في الجنس.

وَقَرَّ عَلَى الذُّلِّ خَيْشُومُهَا كَمَا خَطَمَ الصَّعْبَ جَذْبُ الْبُرَى^(١)
 وَأَغْفَتُ فَلَمْ أُدْرِ عَنْ حَايِرَةٍ بِهَا: كَيْفَ إِيقَاظُهَا أَوْ مَتَى؟
 وَلَمْ أُدْرِ مِنْ طَيْبِ إِغْفَائِهَا عَلَى الذُّلِّ، أَيَّ خِيَالٍ تَرَى
 أَهْمًا تَغْشَاهُ بَعْدَ الْعِنَا كَرَى، أَمْ صَبِيًّا بَرِيئًا غَفَا؟^(٢)
 مَتَى تَسْتَفِيقُ وَفَحْمُ الدُّجَى عَلَيْهَا مَشَتْ فِيهِ نَارُ الضُّحَى؟
 وَقَدْ نَقَضَ الْكَهْفُ عَنْ أَهْلِهِ غُبَارَ السَّنِينِ وَوَعَثَ الْبِلَى؟
 تَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ أُمَّ الْكِفَاحِ وَتَرْبُطُ أَحْلَامَهَا بِالسَّمَاءِ
 وَتَضْبَعُ بِالْوَزْدِ آمَالَهَا كَمَا طَرَّرَ الْحَائِكُونَ الرُّدَا
 وَأَصْنَامِ بَغْيٍ يَصُوبُونَهَا وَيَدْعُونَهَا مَثَلًا يُقْتَدَى
 يُثِيرُونَ مِنْ حَوْلِهَا ضَجَّةً بِهَا عَنْ مَحَازِيهِمْ يُلْتَهَى
 كَمَا حَجَبَتْ بِالْغُبَارِ الْعَيُونَ خِيفًا مُهْرَأَةً مُتُّذَى^(٣)
 فَهَذَا سَيِّمُضِي، وَهَذَا مَضَى وَهَذَا سَيِّأَتِي، وَهَذَا أَتَى!!
 وَهَذَا ((زَعِيمٌ))، لِأَنَّ ((السَّفِيرَ)) يَرْنُو إِلَيْهِ بَعَيْنِ الرَّضَا
 وَفِي ذَاكَ عَنْ سُخْطِ أَهْلِ الْبِلَادِ عَلَى حُكْمِهِ أَوْ رِضَاهُمْ غِنَى

(١) قر على الذل: خضع للذل. والخيشوم: أعلى الأنف. البرى: جمع برة، وهي الخزامة وحلقة تجعل في انف البعير الصعب القيادة لينقاد. وخطم: ههنا بمعنى أذل وأخضع.

(٢) الهم: الشيخ الكبير.

(٣) خفاف: جمع خف. ومهراة: ممزقة بالية.

وهذا بعِمتِه، ساجِرٌ،
تَطُوقُ المسابِحُ من حولِها
تجبيءُ المطامعُ منقادَةً
وليتك تحسبُ أزياءَهُم
فتلك اللفائفُ كالأقحوانِ
وتلك الشراشيفُ كالياسمِ
تدلَّتْ عناقيدُ مثلُ الكرومِ
يَودُّ من ((التيه))! لو أنه
ليعلمَ سامعُه أنه
إذا رَفَعَ اليَدَ للحاكِمينَ
ويينها محدثُ ناشيءٍ
تعوِّدُه أمُّه إن مشى

من ((الجن)) يرفعها للعلی
لتعلن أن ملاكاً أتى
إليه إذا شاء أو لم يشا
فتجمع منها زهور الربى
بها العلمُ ينفخ طيب الشذا!
من تاه ((العقال)) بها وازدهى!
على كتفي ((يابس)) كالصوى^(١)
يشدُّ بها ((جرساً))! إن مشى
((ينوب))! عن البلد المبتلى
بدت ((نعم)) وهي في زي ((لا))!
إذا خطَّ تعرفُفه أو حكى
إلى ((البرلمان)) بأُمِّ القرى^(٢)

ومستسلمين يرون الكفاح
فتغرر في رهوة سَمحة
قوراء مدحوة تمتطى^(٣)
وتنفر عن ذي مسن قسا

(١) الصوى: العلامات توضع في الطريق لتدل السائرين. ويريد بالعناقيد ما تدلى من خيوط

((العقال))!.

(٢) أم القرى: مكة.

(٣) قوراء: مستديرة.

يَرُونَ السِّيَاسَةَ أَنْ لَا يُمَسَّ هَذَا، وَأَنْ يُتَّقَى شَرُّ ذَا
وهذا وذا في صميم البلادِ سُئِلَ، وفي العينِ مِنْهَا قَدَى
مساكينُ يقتحمونَ الكفاحَ وقد شرعتْ بابهُ مِنْ كُوى^(١)
وما هو إلا احتمالُ الخطوبِ وإلا الأذى والعرا والطوى
فهم يعرفونَ مزايا الخلودِ ولا يُنكرونَ مزايا الفنا
وهم يعشقونَ هُتافَ الجموعِ ويخشونَ ما بعده من عنا
فليت لنا بهم ناقةٌ تطيقُ الحفا والوجى والوحى^(٢)
وتجتربُ بالجوعِ ما عندها وتطوي على الخمسِ حرَّ الظما^(٣)

وَمُحْتَقِبٍ شَرِّ مَا يُجْتَوَى مشى ناصباً رأسه كاللوا^(١)
مشى ومشت خلفه عصبه تقيسُ خطاهُ إذا ما مشى
يُحِبُّ ((السلامة)) مشفوعةً بدعوى ((الجبان)) بحُبِّ الوغى

^(١) الكوى: جمع كوة وهي النافذة الصغيرة. وعجز البيت في طبعة الرابطة ببغداد وطبعة وزارة

الإعلام العراقية وكذلك طبعة دمشق هو: وقد راعهم بأبه من كوى.

لكنه ورد بالشكل الذي ورد عليه أعلاه في طبعة دار العودة.

^(٢) الوجى: ما يصيب القدم من ألم الحفاء و((الوحى)): الركض.

^(٣) الخمس: أن تصير الناقة على العطش أربعة أيام وترد بالخامس.

^(٤) إحتقب: وضع في الحقيبة، ما يحتوي/ ما يكره ويميل.

ويجمعُ بينَ ظلالِ القصورِ وعيشِ ((المهازِيلِ)) في ناعمٍ
وبينَ ((الزعامَةِ))! لا تُصْطَفَى ولم أدرِ كيفَ يكونُ الزعيمُ
وعَصْرِ الخُمورِ، ورَشْفِ اللَّمَى^(١) من العيشِ من مثله يُستحي
بغيرِ السُّجُونِ، ولا تُشْتَرَى إذا لم يكنْ لاصقاً بالثرى^(٢)

ومتحلينَ سِمَاتِ الأديبِ كما جاوبتُ ((بُومَةٌ))! بُومَةٌ
ويرَعَوْنَ في هَدْرٍ يابسٍ يَرَوْنَ ((وَرِيقَاتِهِمْ)) بُلْغَةً
يظنّونها جُبَيْباً تُرْتدى من القَوْلِ، رعيَ الجمالِ الكلا^(٣)
تقارِضُ ما بينها بالشَّنا من العيشِ لا غايةً تُبتغى
لمنْ يعتلي، صهوةً تعتلي فهُمُ والضميرُ الذي يصنعونَ

ولا هينَ عن جِدِّهم بالفراغِ تصايحُ باللغوِ ما بينها
زوايا المقاهي لهم مُتدى صياحِ اللقاتِ تنفي الحصى
تصارحُ ألوائها بالدمًا وشدُّوا خيوطاً بأعناقهم
حياتهمُ بحياةِ الألى ألا ينجلونَ إذا قايسوا

(١) اللمى: سمرّة الشفاه.

(٢) لاصقاً بالثرى: فقير.

(٣) الكلا: الحشيش.

سَقَوْا أَرْضَهُمْ بِنَجِيعِ الدِّمَاءِ فَكَانَ الشُّعَارَ الدِّمُّ المُسْتَقَى
وَأَوْلَاءِ شُغْلُهُمْ بِالْبَطُونِ فَهَلَّا اسْتَعَانُوا بِشَدِّ المَعَى

وعَارٍ تَحَلَّى بِثُوبِ الأَدِيبِ وَمَا يُزَكِّي أَدِيباً خَلا
وَمَنْ تَبَعَاتِ النُّفُوسِ الكِبَارِ بِسِنَّ الِيرَاعِ الرِّخِيسِ احْتَمَى
وَوغْدٍ تَحْيَرٍ امْتَالَهُ فَوغْداً أَهَرًّا، وَوغْداً شَلا^(١)
إِذَا مَا تَصَفَّحَتْ أَصْنَامَهُ وَهُزْأَةُ أَلْقَابِهَا وَالكُنَى
أَرَاكَ - وَإِنْ أَنْكَرَ العَالِمَانِ - بِمِزْمَارِ دَاوُدَ، بَوْمَا شَدَا
وَأَنْ غُرَاباً شَأَى ((مَعْبِداً)) وَأَنْ جِهَاراً ((غَرِيضاً)) حَكَى^(٢)
بَدَا لَكَ طَاهٍ أَجِيرُ البَطُونِ، كَلَّ الَّذِي تَشْتَهِيهِ طَهَا
يُسُدُّ بِذَلِكَ فِرَاغَ الضَّمِيرِ وَيُوقِدُ رُوحاً خَبِيثاً خَبَا
يَبِصُّ لِذِي مَنَصِبٍ يُرْتَجَى وَيَجْدُمُ ذَا صَوْلَةٍ يُخْتَشَى^(٣)
يَرَى أَنَّهُ حِينَ يُطْرِي ((الفَسِيلِ)) ((جُدَيْلًا)) هَجَا، وَ((عُدَيْقًا)) رَمَى^(٤)
وَشَرُّ أَهَرٍّ بِهَا أَكْلُبَا أَعَارَهُمْ نَابَهُمْ إِذْ سَطَا

(١) أهر الكلب وشلاه: أغراه على التحرش والاعتداء.

(٢) معبد وغريص: مغنيان في العصر الأموي. وشأى: سبق.

(٣) بص الكلب بذنبه وبصص: هزه تذلاً لصاحبه وتملقاً.

(٤) المثل المشهور: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، فالجذيل تصغير وهو أصل الشجرة الباقي

يعد ذهاب فروعها، والفسيل: التالة وهي صغيرة النخل.

حَبَامَا حَبَا طُغْمَةً أُتْخِمَتْ بَفْضَلَاتِهِ، وَزَوَى مَا زَوَى
وَاطْلَقَ لِلصَّيْدِ أَظْفَارَهُنَّ وَأَنْيَابَهُنَّ بِهَا وَاخْتَفَى

يقولون إنَّ يَدَا فِي الْغُيُوبِ تُدِيرُ عَلَى الْأَرْضِ حُكْمَ السَّمَاءِ
وَمَا يَزَلُ مَثَلٌ سَائِرٌ عَلَى النَّاسِ يَجْرِي: بِأَيْدِي سَبَا
وَتَحْرِيقُ ((لُوطٍ)) بِذَنْبِ أَتَى وَأَخَذُ ((ثَمُودٍ)) بِسِقْبِ رِغَا^(١)
فَمَا بَالُ كَفِّ الْقَضَا لَا تَدُورُ عَلَى بَلَدٍ ضَلَّ حَتَّى اخْتَزَى؟!
وَأُضْحَى ((ثَمُودٍ)) وَ ((لُوطٍ)) بِهِ وَمَنْ لَهَا فِي الشَّرُورِ انْتَمَى
وَمَنْ عَاثَ فِي أُمَّمِ الْمَشْرِقَيْنِ وَجَارَ عَلَى أَهْلِهَا وَاحْتَمَى
حَيِّينَ بَيْنَ وِلَاةِ الْأُمُورِ فِي بَلَدٍ ضَاعَ فِيهِ الْحَيَا
يُسَائِلُ بَعْضُ بِهِ بَعْضَهُمْ أَنْحَنُ أَخَذْنَا وَهَذَا نَجَا؟!
أَخَذْتُ لِأَنِّي رَكِبْتُ الطَّرِيقَ ((شَدًّا)) إِلَى غَايَةِ تُبْتَغَى
وَأَنْتَ أَخَذْتَ عَلَى نَاقَةٍ بِفَلْسَيْنِ أَمْثَالِهَا تُشْتَرَى
وَكَنَّا أَنْسَاءَ كِهَاءِ السَّمَاءِ تَخَبَّطَ طُورًا وَطُورًا صَفَا
نَجِيءُ الْحَيَاةِ عَلَى رِسَالِهَا نَهَايَاتُهَا عِنْدَنَا كَالْبَيْدَى
وَنَأْتِي الْجَرِيرَةَ لَا نَغْتَلِي وَنَبْغِي الْهِنَاءَ كَمَا تُبْتَغَى^(٢)

^(١) السقب: ولد الناقة. والرغاء: صوت البعير.

^(٢) نغتلي نغالي، نبالع. والهناء: الرذيلة.

ولا نكبتُ العاطفاتِ الجِيعَ فيشْرِقنا كِبْهُها بالشِجاءِ^(١)
إلى الآنَ يَضْرِبُ مَنْ هَهُنَا بنا مَثَلًا في مَصِيرِ الدُّنْيَا
ولو صَحَّ مِنْ مَثَلٍ لِلدَّمَارِ، ما كانَ غَيْرَهُمْ، والتَّوى^(٢)
وَجَدنا هُنَا كُلَّ ذِي عَوْرَةٍ على كُلِّ ذِي حُرْمَةٍ قد سَطَا
وَكُلَّ كَرِيمِ الثَّنَا أُصَيْدِ تَقَلَّصَ في كِنِّهِ وانزوى^(٣)
وَجَدنا الرِّجالَ هُنَا ((بالرِّجاءِ ل)) لا هينَ، في وَضَحٍ مِنْ سَنا!!
على حينَ نَحْتَصُّ نِسْوانَهُمْ ((نساءً))، ومنتصِفٌ مَنْ جَزَى!!
وَجَدنا الزَّعِيمَ - كما يَنْعُتُونَ - على قَدَمِي غاصِبِيهِ ارتمى
وَجَدنا الخبائِثَ والطَّيِّباتِ بأضدادِ دِهْنٍ - هُنَا - تُصْطَفِي
وَجَدنا الرِّجالَ وأَسْماءَهُمْ يُخَفِّفُ مِنْ قُبْحِها بِالْكُنْيَا

بِنِيَّ إِذا الدَّهْرُ ألقى القِناعَ وصرَّحَ مِنْ حَسوهِ ما ارتغى
ودالتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ كالتِّي لدى النَّاسِ في وَجْهِها والقفا
سواءً فلا خَلْفُها مِنْ أَمامٍ يبدو، ولا وَجْهُها مِنْ ورا لا يسْتَبِيحُ بِها سابِقا
إلى المجدِ رِكاظَةً مَنْ حَبَا

^(١) شرق بالماء: غص به. والشجاء: عظم يقف في الحلق.

^(٢) التوى: الهلاك.

^(٣) الأصيد: السيد الكريم.

ولا يقذفُ الشَّهْمَ ذُو لَوْثَةٍ ذَمِيمٌ، وَلَا يَدْرِي مَنْ وَعَى^(١)
وَكَانَ الْمَفْضَلُ لَا الْمَزْدَرِي لَهُ يُعْتَزَى بِهِ يُؤْتَسَى
وَكَانَ بِهَا الْمُثُلُ الصَّالِحَاتُ، لَا الطَّالِحَاتُ، هِيَ الْمُقْتَدَى جَرِيرَتُهُ أَنْ ذُلًّا أَبَى
فَلَا تَبْخَلُوا أَنْ تَزُورُوا أَبَا لِتَحْضِنَ مِنْهُ خِيَالًا سَرَى
وَلَا تَبْخَلُوا أَنْ تَمَّكِدُوا يَدَا بِأَنْ قَدْ وَقَيْتُمْ زَمَانًا مَضَى
وَطَيْفَا أَتَاكُمْ مِنْهُنَّ يَكُمُ تَلْوُحٌ لَكُمْ قَسَمَاتُ الْهِنَا
وَلَا تُنْكِرُوا أَنْ ((عُشًّا)) بِهِ وَأَفْيَاؤُهُ كَرَفِيفِ الضَّحَى
كَطُهْرٍ ((الطَّفُولَةِ)) أَجْوَاؤُهُ لَكُمْ فِي صَمِيمِ زَمَانٍ جَسَا^(٢)
ضَرَبْنَا لِنَجْمَعِ أَعْوَادَهُ نَزَلْنَا إِلَيْهَا، وَأَيُّ الْهُوَى^(٣)
سَتَدْرُونَ أَيُّ مَطَاوِي الْبَلَاءِ بِأَيِّ الْأَكْفِ بِأَيِّ الْقَنَا
وَأَيُّ الْخَصُومِ مَدَدْنَا لَهُ وَبِالْقَلْبِ حَتَّى هَفَا بِالرَّدَى
ضَرَبْنَاهُ بِالْفِكْرِ حَتَّى التَّوَى وَكَانَ الْقَرِيضُ الَّذِي تَقْرَأُونَ أَقْتَلَ مِنْ ذَا وَهَذَا شَبَا^(٤)
وَكَانَ الْقَرِيضُ الَّذِي تَقْرَأُونَ أَقْتَلَ مِنْ ذَا وَهَذَا شَبَا^(٤)
ضَرَبْنَاهُ أَنْ لَمْ يُصِيبْ مَقْتَلًا بِسَهْمِ أَرَاشٍ وَنَصَلٍ بَرَى

^(١) اللوثة (بالفتح): الحماقة، وبالضم: الضعف والمس من الجنون.

^(٢) جسا: يبس وقسا.

^(٣) الهوى: جمع هوة.

^(٤) شبا السيف: حده.

وشرُّ ((السهم)) رُوءِ النعيمِ وشرُّ ((النصال)) بريئُ الغنى^(١)

سلامٌ على هَضَبَاتِ العراقِ وشَطِيهٍ والجُرْفِ والمُنحنى
على النَّخْلِ ذِي السَّعْفَاتِ الطَّوَالِ على سَيِّدِ الشَّجَرِ الْمُقْتَنِى
على الرُّطْبِ الغَضِّ إِذ يُجْتَلَى كَوَشِي العروسِ إِذ يُجْتَنِى
بِإِسَارِهِ يَوْمَ أَعْدَاقِهِ تَرْفٌ، وبالعسرِ عِنْدَ القَنِى^(٢)
وبالسَّعْفِ والكَّرَبِ المُسْتَجِدِّ ثوباً ((تهراً)) وثوباً نضاً
ودجلةً إِذ فَارَ أَذْيُهَا كما حُمَّ ذُو حَرْدٍ فَاغْتَلَى^(٣)
ودجلةً تَمْشِي على هَوْنِهَا وتمشي رُخَاءً عَلَيْهَا الصَّبَا
ودجلةً زهوَ الصَّبَايا الملاحِ تُخَوِّضُ مِنْهَا بِمَاءِ صَرَى^(٤)
تُرِيكَ العِراقِيَّ في الحَالَتِيْـ مِنْ يُسْرِفُ في شُحِّهِ والنَّدَى!

^(١) إذا أحيط الإنسان بالنعيم أو لحواله بالغنى ولم يكن صلباً في النصال تحاذل وفتر، فالنعيم والغنى شر السهام وشر النصال.

^(٢) أي سلام عليه في حال إيساره بأعذاقه الرافة وفي حال إعساره اذقنواته متعشكلة يابسة.

^(٣) آذي البحر أو النهر: ماؤه الكثير ((المواضع العميقة)). ذو حرد: صاحب ثأر، يشبه دجلة في تدفق مياهها الفوارة بصاحب ثأر يغلي غضباً.

^(٤) ماء صرى: وشل بقية ماء.

سلامٌ على قَمَرٍ فوقها
تُدغِدُ أضواءُهُ صَدْرَها
كأنَّ يَدًا طَرَّرَتْ فوقها
رواءُ النَمِيرِ لها حُمَّةٌ
ونجمٌ تَغَوَّرَ من حُبِّها
عليها هَفا وإليها رَنا
وتمسُّحُ طَيِّبَاتِها والثَنى^(١)
من الحُسنِ مَوْشِيَةٌ مُجْتَلَى
وذَوْبُ الشِّعاعِ عليها سَدَى
ونجمٌ عليها ادَّنى فادَّلى

على الجِسْرِ ما انفكَّ من جانبيه
فياليتَهَنَّ الذي يعتدي
ويا ليتَ بلواكُ قُبُ الصدورِ
ويا ليتَ أنكَ لا تشتكِي
وليتَ بهنَّ ولا غيرهنَّ
بهنَّ ولا بغلاظِ الرقابِ
يُتِيحُ الهوى من عيونِ المها^(٢)
ويا ليتكَ الرَّجُلُ المُعتدى
ولُعسُ الشِّفاهِ، وبيضُ الطُّلى^(٣)
ظَماءُكَ إلا لهذا اللَّمى
تَنقَلُ في غضبٍ أو رِضا
قِباحِ الوجوهِ، خِباتِ الكلى

^(١) الثنى بالكسر: جمع ثنية وهي الطية.

^(٢) يشير بهذا البيت إلى بيت علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري.

^(٣) قب الصدور: مرتفعات الصدور، والواحدة قباء، وأقب للمذكر. لعس الشفاه: حمرة الشفاه المائلة إلى السمرة. والطفى: الرقاب، والواحدة طلية.

سلامٌ على جاعلاتِ النّيقِ، على الشّاطئينِ، بريدِ الهوى
 لعنتنَّ من صبيّةٍ لا تشيخُ ومن شيخةٍ دهرها تُصطبي
 تقافزُ كالجنِّ بين الصخورِ وتندسُّ تحت مهيلِ النّقا^(١)
 حلفتُ بمن راءِكنَّ الحياةَ سمحاءَ أبعدَ ما تُرتأى^(٢)
 ولبسكنَّ جمالَ الغديرِ من صافٍ منكنَّ أو من شتا
 لأنتنَّ من واهباتِ البيانِ جمالاً ومن محيياتِ اللّغى
 على أنّها لغةٌ ثرةٌ عواطفكنَّ بها تُمتري^(٣)
 لقد عابكنَّ - بما لا يُعبأ - فذمُّ بخلقٍ جميلٍ زرى^(٤)
 بسمحٍ يُنادمُ ركبَ الخلودِ ويُحسنُ للخاطبينَ القرى^(٥)
 يَدُلُّ على الماءِ من ضلّه ويرفعُ وحشةَ ليلٍ طخا
 كأنَّ بعينيكِ ياقوتتينِ صاغهما ((جوهريُّ)) جلا
 ولو لم يُخبَّرْ بريقُ النبوغِ بعينيكِ عن مثلِ سفحِ الذّكا^(٦)

(١) مهيل النقا: كومة الرمل.

(٢) راءكن: أراكن.

(٣) لغة ثرة: واسعة يسهل التعبير بها عن كل ما يخالج النفس والقلب.

(٤) القدم: العيبى عن الكلام في رخاوة وقلة فهم. زرى: انتقص، ذم.

(٥) القرى: ما يقدم للضيف.

(٦) السفح: الكدرة. والذكا: توهج النار، وسفح الذكا: ما يشوب وقدة النار.

لنمَّ الجُحوظُ على ((شاعرٍ)) بعيدِ الخيالِ، عنيفِ الرؤى^(١)

سجا الليلُ إلا حمماً أجداً هديلاً وترجيعَ كلبِ عوى^(٢)
وَجُنْدِبَةٌ طارَحَتْ جُنْدُباً وبوماً زقا وسحياً ثغاً^(٣)
وديكا يؤذُنُ في جمعهم بأن قد مضى الليلُ إلا إني^(٤)
ودوى قطارٌ فرَدَّ الحياةَ عفواً إلى عالمٍ يُبتنى
وما برحَ القمرُ المستديرُ يسبحُ في فلكٍ من سنا
تلوذُ النُّجومُ بأذياله هفتُ إذ هفا، ودتُ إذ دنا
إلى أن تَصوَّرَ غولُ الصَّباحِ ودبَّ الهُزالُ به فانصوى

سلامٌ على عاطراتِ الحقولِ نائراً من حولهن القرى
ويا للطفة هذي الدُّنى يَتَمَّمها لُطفُ تلكِ القصى
وحبلٍ ضياءٍ تدلى به على أفقٍ أفقٌ والتقى
كأنَّ يَدَيَّ خالقي مُبدعٍ تخيَّلَ عُريتها وارتأى

(١) الجحوظ: بروز العينين. والرؤى: جمع رؤيا.

(٢) سجا الليل: خيم وهدأ.

(٣) الجندب: الصرصر. وسحيل: الثعلب.

(٤) إني: بقية قليلة.

يُمَرَّانِ فَوْقَ الرَّبِيِّ وَالسَّفُوحِ
 وَيَنْتَزِعَانِ الشُّفُوفَ الَّتِي
 رَوَيْدًا رَوَيْدًا كَمَا سُرَّحَتْ
 وَأَلْقَتْ عَلَيْهَا الْغَيْومُ اللَّطَافُ
 تَحَرَّقَ كَأَسِ إِلَى عُرْيِهِ
 كَأَنَّ بِهَا عَالَمًا وَاحِدًا
 وَيَخْتَرِقَانِ سُدُوفَ الدُّجَى^(١)
 تَدْتَرُّ كَوْنٌ بِهَا وَارْتَدَى
 غَلَائِلُ غَانِيَةٍ تُنْتَضِي
 نَسْجًا كَعَهْدِ الْغَوَانِي وَهِيَ
 وَأَغْرَمَ عَارِبُهُ فَانْتَسَى
 تَلَاقِي، وَإِنْ بَعُدَ الْمُتَتَاي

سَلَامٌ عَلَى بَلَدِ صُنْتُهُ
 كَلَانَا يَكَابِدُ مُرَّ الْفِرَاقِ
 وَكُلُّ يَغْدُ إِلَى طِيَّةِ
 غَدًا إِذْ يَطْنُ فُضَاءَ الْعِرَاقِ
 وَإِذْ يَسْتَقِلُّ بِضَبْعِي فَتَى
 وَإِيَايَ مِنْ جَفْوَةٍ أَوْ قَلِي^(٢)
 عَلَى كَبْدَيْنَا، وَلِذَعِ النَّوَى
 لَنَا عِنْدَ غَايَتِهَا مُلْتَقَى^(٣)
 طَنِينَ الثَّرَى مِنْ هَزْبِ خَلَا^(٤)
 يَرَى الْغَنَمَ فِي الْعَيْشِ كَسَبَ الثَّنَا^(٥)

(١) سدوف الدجى: ظلماته، والواحدة سدفة.

(٢) القلي: الكره والبغض.

(٣) أغذ السير: أسرع. إلى طية: إلى نية يقصد إليها.

(٤) يطن: يصفر أي يخلو.

(٥) الضبع: العضد، ويستقل بضبعي أي يتعلق بها.

ويقدّر إن ضمّ منه اليدين أي ثمين نفيس حوى
غداً إذ فريقٌ يحورُ الثنا يعرضُ فريقٌ بصمّ الصفا

بغداد، عام ١٩٤٧

“يقدر الشيء: يعرف قدره وفي القرآن: (وماقدروا الله حق قدره)

٢٤٦

ديوان الجواهري

عند الوداع

٢٤٧

ديوان الجواهري

اقتطع الشاعر هذه القطعة من رائعته (المقصورة) وكتبها بخط يده بعنوان ((عند الواع . . ١٠)) كأنه أراد أن تكون وداعه الأخير. . وكانت كذلك بعد نصف قرن. . حيث حُطَّ هذا الوداع على شاهدة ضريحه.

عند الوداع ... ١

وسطيته والجرن، والمانحنى	سلام من صفات العراق
على سيد الشجر المقتنى	على النخل ذي السعف الطوال
ترن، على العسر عند الفن	على نيسره يوم أهداه
كما نمت ذرجرد فاقه	على دجته فاض آذ بها
وميش رخيلاً حلاً الصبا	ودجته تمشي على هوزها
تخوض مناً بما به صري	ودجته لهو الصبا بالمدح
يسرف في شحه والذري	تريبك العراق تافح الكالين
حليلاً صفاً، وإلى رنا	سلام على فرقد فرها
هفت إرهفا، وودنت إودنا	تلوذ اليوم بأذياله
من الحسن موشيةً أختلي	كان يد أطرزت فوقها
وذوب الشاع عيلامدي	بروالم نيزها بحمة

... x

يقتاع الهم من خير من المهن	على الجسر ما انفك من جانبيه
على الك طيلين برية الهم	سلام على جاعلة النيق
ومن شيمية دهرها رطبا	لعنت من حية لا تشيع
وتفد ست تحت ليل النفا	نقائز كالجوز بين العنود
سرمه الجواهرى	

مقطعات من لندن

٢٥١

ديوان الجواهري

حين عاد الشاعر من لندن عام ١٩٤٧م وكان من الوفد الصحفي الذي دعي إلى هناك. أجرى معه مندوب جريدة ((الخطبة)) مقابلة صحفية، نُشرت في العدد ٥٢ في ٥ تشرين الأول ١٩٤٧.

سأله:

- هل نظمت شعراً وأنت في إنكلترا؟

- أجب:

((- نعم.. نظمت عدة قصائد، ولكنها لم تكمل.. إنها مختزنة عندي لا أنشرها حتى تتم.. وأني لأعتقد أن

الذكريات ستعمل على إثارتها أكثر مما كنت آمل أن يثيرها الواقع وأنا في لندن)).

بقيت المقطعات كما نُظمت في لندن لم يزد الشاعر عليها شيئاً.

هنا يرقدان

(من وحي منطقة البحيرات (بحيرة الأخوين))

هنا يرقدان و خضُرُ الجبالِ تَبُلُ الينابيعُ أُرْدانها
بحيثُ البحيرةُ تُنسيهُما عِناءَ الحياةِ وأُردانها
وحيثُ الرُّعَاةُ تُغْنِيهما إذا شَعَشَعَ الفجرُ الحانها
وحيثُ يَهِيحُ نسيمُ الصباحِ غِرامَ العَذاريِ وأشجانها
هنا يرقدان بحيثُ السماءُ تَضْبِغُ بالوردِ ألوانها
يُثْمِنُها الزَّهْرُ أشواقَهُ وتُعْطِي الخِثْلُ عنوانها

المقام في لندن

مَلَلْتُ مُقَامِي فِي لِنْدَا مُقَامِ الْعَذَارَى بِدَوْرِ الزَّنا
مُقَامَ ((الْمَسِيحِ)) بِدَارِ الْيَهُودِ مُقَامِ الْعَذَابِ، مُقَامِ الضَّنَى

صاحبي!

صاحبي لو تكونُ من أعدائي لتمنيتُ أن تموتَ بدائي
لتمنيتُ أن يكونَ لك الطو لان: طوُل الأذى وطوُل البقاء

جين

أسرفتِ في ترفِ الجمالِ وسكرتِ من خمرِ الدلالِ
وثنيتِ طرفكِ فانشئ يرمي الظلالَ على الظلالِ
أعيا جمالُك منطقي وسما خيالُك عن خيالي
يا ((جينُ)) لطفُ الخمرِ أنكِ كنتِ ماثلةً جيلي
ما شاء فليكتبْ عليَّ الدهرُ، إني لا أبالي
إذ كان خضرُك في اليمينِ وكان كأسِي في الشمالِ

بغداد، عام ١٩٤٧

آمنت بالحسين

٢٥٥

ديوان الجواهري

ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقيم في كربلاء لذكرى استشهاد الإمام الحسين. خطاً خمسة عشر بيتاً منها
بالذهب على باب ضريح ((سيد الشهداء)) وهو الباب الرئيس الذي يؤدي إلى الرواق الحسيني.

فِدَاءٌ لِثَوَاكٍ مِنْ مَضْجَعٍ تَنَوَّرَ بِالْأَبْلَجِ الْأُرْوَعِ^(١)
بَأَعْبَقَ مِنْ نَفْحَاتِ الْجِنَانِ رَوْحاً، وَمِنْ مَسْكِيهَا أَضْوَعِ^(٢)
وَرَعِيّاً لِيَوْمِكَ يَوْمِ ((الطُّفُوفِ)) وَسَقِيّاً لِأَرْضِكَ مِنْ مَصْرَعِ^(٣)
وَحُزْناً عَلَيْكَ بِحَبْسِ النَّفُوسِ عَلَى نَهْجِكَ النَّيِّرِ الْمَهْيَعِ^(٤)
وَصَوْناً لِمَجْدِكَ مِنْ أَنْ يُذَالَ بِمَا أَنْتَ تَأْبَاهُ مِنْ مُبْدَعِ^(٥)
فِيهَا أَيُّهَا الْوِثْرُ فِي الْخَالِدِينَ فَذّاً، إِلَى الْآنَ لَمْ يُشْفَعِ
وَيَا عِظَةَ الطَّامِحِينَ الْعِظَامِ لِلْأَهْلِينَ عَنْ غَدِهِمْ قُنَّعِ
تَعَالَيْتَ مِنْ مُفْزِعٍ لِلْحُتُوفِ وَبُورِكَ قَبْرِكَ مِنْ مَفْزَعِ
تَلَوِّذُ الدُّهُورِ فَمِنْ سُجْدِ عَلَى جَانِبِيهِ وَمِنْ رُكْعِ
شَمَمْتُ ثَرَاكَ فَهَبَّ النَّسِيمُ نَسِيمُ الْكِرَامَةِ مِنْ بَلْقَعِ

^(١) الأبلج: الوضاء الوجه. و ((الأروع)): المعجب بشجاعته أو حسنه.

^(٢) الروح هنا نسيم الريح. و ((ضاع)): من ضاع المسك يضيع إذا عبقت رائحته.

^(٣) الطفوف: هي الأراضي المشرفة من جوانب الشواطئ، وهي تطلق بصورة خاصة على ما أشرف من أراضي ((الغاضرية)) - وهي مدينة كربلاء الآن - على نهر الفرات وفيها كان مصرع الشهيد الحسين وآله وأبنائه.

^(٤) المهيع: البين الواضح.

^(٥) يذال: يهان. المبدع بفتح الدال من ((البدعة)).

وَعَفَّرْتُ خَدَّيْ بِحَيْثُ اسْتَرَاخَ خَدُّ تَفَرَّى وَلَمْ يَضْرَعْ
 وَحَيْثُ سَنَابِكُ خَيْلِ الطُّغَاةِ جَالَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْشَعِ
 وَخِلْتُ وَقَدْ طَارَتِ الذِّكْرِيَاتُ بِرُوحِي إِلَى عَالِمِ أَرْفَعِ
 وَطُفْتُ بِقَبْرِكَ طُوفَ الْحَيَالِ بِصُومَعَةِ الْمَلْهَمِ الْمُبْدِعِ
 كَأَنَّ يَدًا مِنْ وَرَاءِ الضَّرِيحِ حَمْرَاءَ ((مَبْتُورَةَ الْإِصْبَعِ))^(١)
 تَمَدُّ إِلَى عَالِمِ الْخُنُوعِ وَالضَّمِيمِ ذِي شَرْقٍ مُشْرِعٍ^(٢)
 تَحَبَّبْتُ فِي غَابَةِ أَطْبَقَتِ عَلَى مُذَيَّبٍ مِنْهُ أَوْ مُسْبِعٍ^(٣)
 لِتُبَدِّلَ مِنْهُ جَدِيدَ الضَّمِيرِ بِآخِرِ مُعْشَوِشِبٍ مُمْرِعِ
 وَتَدْفَعُ هَذِي النَّفُوسَ الصِّغَارَ خَوْفًا إِلَى حَرَمِ أَمْنَعِ

تَعَالَيْتَ مِنْ صَاعِقٍ يَلْتَضِي فَإِنْ تَدْجُ دَاجِيَةٌ يَلْمَعِ
 تَأْرُمُ حِقْدًا عَلَى الصَّاعِقَاتِ لَمْ تُنْزِ ضَيْرًا وَلَمْ تَنْفَعِ^(٤)
 وَلَمْ تَبْدُرِ الْحَبَّ إِثْرَ الْهَشِيمِ - وَقَدْ حَرَّقْتَهُ - وَلَمْ تَزْرَعِ

^(١) مَبْتُورَةَ الْإِصْبَعِ: هِيَ يَدُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ بَتَرَتْ إِصْبَعَهُ بَعْدَ مَقْتَلِهِ.

^(٢) ذُو شَرْقٍ: ذُو شَجَا وَغَصَّةٍ.

^(٣) مُذَيَّبٌ وَمُسْبِعٌ: كَثِيرُ الذَّنَابِ وَالسَّبَاعِ.

^(٤) التَّارُمُ: حَكُّ الْأَسْنَانِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ مِنَ الْغَيْظِ، أَيِ أَنْكَ تَتَحَرَّقُ إِذْ تَرَى الصَّاعِقَاتِ لَا تَدْفَعُ ضَرًّا وَلَا تَجْلِبُ نَفْعًا.

ولم تُخْلِ أبراجها في السماء
 ولم تقطع الشر من جذمه
 ولم تضدم الناس فيما هم
 تعاليت من ((فلك)) قطره
 فيا ابن ((البتول)) وحسبي بها
 ويا ابن التي لم يضع مثلها
 ويا ابن البطين بلا بطنية
 ويا غصن ((هاشم)) لم يفتح
 ويا واصلاً من نشيد ((الخلود))
 ولم تات أرضاً ولم تُدقع
 وغل الضمائر لم تنزع
 عليه من الخلق الأوسع
 يدور على المجور الأوسع
 ضمان على كل ما ادعي
 كمثلك حملاً ولم ترضع
 ويا ابن الفتى الحاسر الأنزع^(١)
 بأزهر منك ولم يُفزع^(٢)
 ختام القصيدة بالمطلع
 يسير الوري بركاب الزمان من مُستقيم ومن أظلع^(٣)
 وأنت تُسير ركب الخلود ما تستجد له يتبع

تثلت ((يومك)) في خاطري
 ومحصت أمرك لم ((أرتب))
 ورددت ((صوتك)) في مسمعي
 بنقل ((الرواة)) ولم أخدع

^(١) البطنة: النهمة. الأنزع: من انحسر الشعر عن جانبي جبهته. وكان يقال للإمام علي رضي الله عنه ((الأنزع البطين)).

^(٢) لم تنون هاشم للضرورة فجرت بالفتحة.

^(٣) ظلع بالطاء: عرج وغمز في مشيه، وضيع بالضاد: مال وجنف.

وقلتُ: لعلَّ دويَّ السنينِ بأصداءِ حادثِك المَفْجِعِ
 ومارتَّل المخلصونَ الدُّعا ةُ مِن ((مُرسلينَ)) ومن ((سُجِّعِ))
 ومن ((ناثراتِ)) عليك المساءَ والصُّبْحَ بالشَّعْرِ والأدْمُعِ
 لعلَّ السياسةَ فيما جَنَّتْ على لاصِقِ بكِ أو مُدَّعِي
 وتشريدها كلَّ مَنْ يَدَلِّي بحبْلِ لأهليكَ أو مَقْطَعِ
 لعلَّ لِذالكِ و((كونِ)) الشَّجِيَّ ولوعاً بكلِّ شَجِّ مَوْلِعِ
 يَدَأُ في اصْطِباغِ حديثِ ((الحُسَيْنِ)) بلونِ أريدَ له ممتِعِ
 وكانتُ ولما تَزَلْ بَرَزَةٌ يدُ الوائِقِ المُلْجَأِ الألمعي
 صناعاً متى ما تُرِدْ خُطَّةً وكيفَ، ومهما تَرِدْ تَصْنِعِ
 ولما أَرَحْتُ طِلاءَ ((القُرُونِ)) وسِترَ الجِداعِ عَنِ المَخْذِعِ
 أريدُ ((الحَقِيقَةَ)) في ذاتِها بغيرِ الطَّبِيعَةِ لم تُطْبَعِ
 وجدتُكَ في صُورَةٍ لم أَرَعُ بأعظَمَ منهاها ولا أَرَوِعِ
 وماذا! أَرَوُعُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِحَمَّكَ وَقَفْأً عَلَى المَبْضَعِ
 وأن تَتَّقِي - دُونَ ما تَرْتَقِي - ضَمِيرَكَ بِالأسَلِ الشُّرْعِ
 وأن تُطْعِمَ المَوْتَ خَيْرَ البَنِينَ مِنْ ((الأَكْهَلِينَ)) إِلَى الرُّضْعِ
 وخَيْرَ بَنِي ((الأُمَّ)) مِنْ هاشِمٍ وخَيْرَ بَنِي ((الأَبِ)) مِنْ تَبَعِ
 وخَيْرَ الصُّحَابِ بِخَيْرِ الصُّدُورِ - كانوا وَقاءَكَ - والأذْرَعِ

وَقَدَّسْتُ ((ذَكَرَاكَ)) لَمْ أَنْتَجِلْ ثِيَابَ التُّقَاةِ وَلَمْ أَدَّعِ
 تَقَحَّمْتَ صَدْرِي وَرَيْبُ ((الشُّكُوكِ)) يَضْحُجُّ بِجُدْرَانِهِ ((الْأَرْبَعِ))
 وَرَانَ سَحَابٌ صَفِيْقُ الْحِجَابِ عَلِيٌّ مِنْ الْقَلْبِ الْمُنْفِرِغِ^(١)
 وَهَبَّتْ رِيَاْحٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ ((الطَّيِّبِينَ)) وَلَمْ يُقَشَّعِ
 إِذَا مَا تَزْحَزَحَ عَنْ مَوْضِعِ تَأَبَّى وَعَادَ إِلَى مَوْضِعِ^(٢)
 وَجَازَيْ الشُّكُّ فِي مَا مَعَ ((الْجُدُودِ)) إِلَى الشُّكِّ فِيمَا مَعِيَ
 إِلَى أَنْ أَقَمْتُ عَلَيْهِ الدَّلِيلَ مِنْ ((مَبْدَأِ)) بَدَمٍ مُشْبِعِ
 فَأَسْلَمَ طَوْعاً إِلَيْكَ الْقِيَادَ وَأَعْطَاكَ إِذْعَانَةَ الْمُهْطِعِ^(٣)
 فَتَوَزَّتْ مَا أَظْلَمَ مِنْ فِكْرِي وَقَوَّمتَ مَا اعْوَجَّ مِنْ أَضْلُعِي
 وَآمَنْتُ إِيمَانَ مَنْ لَا يَسْرِي سِوَى (العَقْلِ) فِي الشُّكِّ مِنْ مَرْجِعِ
 بِأَنَّ (الإِبَاءَ))، وَوَحْيَ السَّمَاءِ، وَفِيضَ النُّبُوَّةِ، مِنْ مَنْبَعِ
 تَجَمَّعُ فِي (جَوْهَرِ) خَالِصِ تَنْزَرَةً عَنْ (عَرَضِ) الْمَطْمَعِ
 بَغْدَاد، عَامَ ١٩٤٧

^(١) ران: غطى وأطبق.

^(٢) تأبى: أبى، امتنع.

^(٣) المهطع: الناظر بخنوع.

ناغيت لبانا

(تحية ضيف العراق بشارة الخوري)

٢٦٣

ديوان الجواهري

أقيمت في الحفل الرسمي الذي أقامته أمانة العاصمة في ((بهبو الأمانة)) لبشارة الخوري، وكان رئيساً للجمهورية اللبنانية.

ناغيتُ ((لُبْناناً)) بِشِعري جِـيـلا
 وَرَدَدْتُ بِالنَّغَمِ الْجَمِيلِ لَأَرْزِه
 أَوْ مَا تَرَى شِعري كَأَنَّ خِلالَهُ
 وَجِسانَ لُبْنانٍ مَنْحَتُ قِصائِدي
 أَهْدِيْتُهُنَّ عُيُونَهُنَّ نَوافِذاً
 فَرَدَدْتُهُنَّ مِنَ الْأَسَى وَجِراحِهِ
 وَرَجَعْتُ أَدْرَاجِي أَجْرُ غَنيمَةٍ
 لِعِنَ الْقِصِيدُ فَأَيُّ مُثَرِّ شامِخٍ
 رَدَّتْ مَطامِحُهُ البِعادَ دَوانِياً

وَضَـفَـرته لَجِـيـنـه إِكـلـيـلا
 ظِلًّا أَفْءاءَ بِهِ عَلَيَّ ظَلِـيـلا
 نَسِي النَّسِيمُ جِناحَهُ المَبْلُولا
 فَسَحَبْنَهُنَّ كَـدَـهْنًا ذُيُولا
 كَعِـيُونَهُنَّ إِذا رَمَـيْنَ قَتِـيـلا
 كِـسَـراً.. فَـرُحْتُ أَلْهُنَّ فُلُولا
 مِنْ ((بِنتِ بَـيـروتِ)) جَوِيَّ وَغَلِـيـلا
 سَـرْعانَ ما اسْتَجَدِي الحِسانَ ذَلِـيـلا
 وَكثِيرَ ما خَدَعَ الحَيالَ قَلِـيـلا

ناغيتُ ((لُبْناناً)) وَهَلْ أَبقى الهوى
 طارِحُتُهُ النِّغَماتِ فِي أَعْيادِهِ
 وَمَسَحْتُ دَمْعَ الحُزَنِ فِي أَتراجِهِ
 وَكَذاكَ كُنْتُ وَما أَزالُ كَما بَنِي

بَقِـيـاعاً عَلَيَّ قِـيـارِتي لَتَقُولا
 بِأَرْقٍ مِنْ سَجِّ الحِمامِ هَدِـيـلا
 وَجَعَلْتُ مَحْضَ عَواطِفي مِندِـيـلا
 أَهـلِي أَجـازِي بِالْجَمِـيـلِ جَمِـيـلا

يا شَيْخَ ((لُبْنانَ)) الأَشَمِّ فَوارِعاً
 مِثْلَتَهُ فِي كَلْهُنَّ فَلَمْ يُرِدْ

وَشَمائِلاً وَمَناعَةً وَقَبِـيـلا
 بِسِـوَاكَ عَنكَ، وَلَنْ يَريـدَ بَدِـيـلاً

إِنَّ الْعِرَاقَ وَقَدْ نَزَلَتْ رُبُوعَهُ
 بُشْرَى ((بِشَارَةٌ)) أَنْ تَجُوسَ خِلَالَهَا
 قَفَ فِي ضَفَافِ الرَّافِدِينَ وَنَاجِهَا
 وَاسْمَعْ غِنَاءَ الْحَاصِدِينَ حُقُوقَهَا
 سَتْرَى الْقَرِيضَ أَقْلَ مِنْ أَنْ يَجْتَلِي
 وَتَلَمَّسِ الْآهَاتِ فِي نَبَاتِهِمْ
 وَاسْتَنْطِقِ ((الرَّمَلَاتِ)) فِي جَنَابَتِهَا
 وَاسْتَوْحِ ((كُوفَانًا)) وَ((بَصْرَةً)) إِذْ هُمَا
 يَسْتَوْرِدَانِ حَضَارَةً وَمَوَاهِبًا
 وَتَقَرَّ ((بَغْدَادًا)) فَإِنَّ دُرُوبَهَا
 سَتْرِيكَ كَيْفَ إِذَا اسْتَمَّتْ دَوْلَةٌ

إِلَيْهِ ((بِشَارَةٌ)) لَمْ تَكُنْ لِتَحُدَّ مِنْ
 إِنِّي رَصَدْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ لَمْ أُرِدْ
 وَدَخَلْتُ نَفْسَكَ لَمْ أَزَاحِمْ حَاجِبًا
 وَخُلِقْتُ لَا أُؤْذِي الْمَلُوكَ وَلَا أُرَى
 مَهْوَى النُّفُوسِ وَلَمْ تَكُنْ لِتَحُولَا
 إِذْنًا عَلَيْكَ وَلَا بَعَثْتُ رَسُولَا
 عَنْهَا، وَلَمْ أَلِجِ ((الرَّوَاقَ)) فَضُولَا
 ظِلًّا عَلَى بَابِ ((الْأَمِيرِ)) ثَقِيلَا

صَوْنٌ لِمَجْدِ الشَّعْرِ أَوْ هَمَّ خَاطِئاً
 وَلرَبِّمَا ظَنَّ الرُّوَّاجِمُ أَنَّهُمْ
 وَعَرَفْتُ فَضْلَكَ قَبْلَ كَوْنِكَ عَاهِلاً
 تَلِجُ العُقُولَ عِبَاقِراً، وَنَوَابِغاً
 وَوَجَدْتُكَ المُعْطِي السِّيَاسَةَ حَقَّهَا
 وَالمُسْتَجِيرَ بِظَلِّهَا مِنْ ظَلِّهَا
 وَلمَسْتُ يَوْمَكَ حِينَ ضَجَّ ضَجِجُهَا
 تَسْتَعْدِمُ المْتَفَجِّراتِ لِدَافِعِ
 وَعُقَابُ ((لَبْنَانِ)) تَضُمُّ جَنَاحَهَا
 وَبِنُوكِ أَسَدِ الغَابِ فِي لِبْدَاتِهِمْ
 حَتَّى إِذَا انجَلَّتِ العَجَاجَةُ وَارْتَمَى
 وَتَخَلَّتِ الأَقْدَارُ عَنِ مُتَجَرِّئِ
 وَبِرَزَتَ مِثْلَ السِّيفِ لَا مُسْتَسْلِماً
 وَتَزَاحَمَتْ بِالمُهَاتِفِينَ شِعَابُهَا

أَيُّ خُلِقْتُ عَلَى قَلْبِي مَجْبُولاً^(١)
 سَيَرُونَ مِنْ هَذَا ((الْمُنْخَل)) غُولاً
 تُرْخِي عَلَيْكَ حِجَابَكَ المَسْدُولاً
 وَتُحْصِصُ المَعْقُولَ وَالمَنْقُولاً
 تَرعى النُّصُوصَ وَتُحَسِّنُ التَّأْوِيلَ
 تَتَخَيَّرُ التَّحْوِيرَ وَالتَّحْوِيلَ
 وَمَشَتْ تَدُكُ رَوَائِباً وَسَهُولاً
 عَنِ حَقِّهِ، وَتُسَخَّرُ ((الْأَسْطُولاً))
 تَحْمِي الفِرَاحَ، وَتَحْرُسُ الزُّغْلُولَ
 عُبْلُ السَّوَاعِدِ يَمْنَعُونَ الغِيلَ^(٢)
 شَلُوءاً رَيْبُ ((فَجَارَةَ)) مَنخُولاً^(٣)
 مَلَأَ البِلَادَ وَأَهْلَهَا تَنكِيلاً
 جُبْنَاءَ، وَلَا نِكْسَاءَ وَلَا غِذُولاً^(٤)
 يُزْجُونُكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ

(١) القلى: البغض.

(٢) ساعد عبل: ممتلئ.

(٣) الشلو (بالكسر): العضو.

(٤) النكس: الجبان.

كنتَ الجديرَ بكلِّ ذاكِ وفوقه إذ كنتَ سيفَ جهادِها المسلولا

يا شيخَ ((لبنانِ)) وحسبُكَ خِبرَةً رَفَعَتْكَ شيخاً في الملوكِ جليلاً
جَرَبَتْ حنْظَلَةَ الدخيلِ وطعمَها وصمِيمَها، وطلّاءَها المعسولا
ولمستَ من هَبِّ السِّياطِ ووقَعِها فوقَ الظهورِ على الطُّغاةِ دليلاً
ورأيتَ كيفَ ((العِلاجِ)) يُسَمِّنُ أهله يُقري بنيه شِعْبَكَ المهزولاً^(١)
وعرفتَ قدرَ العاملينَ مَبْجَلاً شكراً، وحظَّ العاملينَ جزيلاً
رَنَتِ العيونُ اليكُ تُكَبِّرُ موقفاً من ((شيخِ)) لبنانَ النّيبِلِ نبيلاً
وتُريدُ منكِ وقد تقلَّصَ ظلُّهم ألا تَمَيِّزَ على الدخيلِ دخيلاً
فلقد خَبَرنا نحنُ قبلكِ مثلهُ وأشرَّ في لغةِ الطُّغاةِ مثيلاً
فإذا بـ ((حنْظَلَةِ)) مَحْنٌ لأختِها وإذا بـ ((شَدَقَمِ)) يستظلُّ ((جديلاً))^(٢)
وإذا بأولاءٍ تفرَّقُ بينهم شتى الدُّروبِ، ويلتقونَ سَبيلاً
فاوضَ فقد غَدَتِ العوالمُ عالماً ما زالَ حَبْلُ صَلاتِهِ موصولاً
وسيجرِفُ التاريخُ في تيارِهِ شعباً يظَلُّ مُجَانِباً معزولاً
وتُراثُ ((لبنانِ)) قديمٌ نشرُهُ في المشرقينَ مواهباً وعقولاً
لكنْ تَوَقَّ من الوعودِ سلاسلأُ بَرّاقَةً، ومن العهودِ كُبولاً

^(١) العليج: يريد به الأجنبي.

^(٢) شدقم: فحل من الإبل للنعمان بن المنذر. والجديل: فحل له أيضاً.

فَاوْضُ وَخَلُّ وِرَاءَ سَمْعِكَ مُغْرِيَاً وَأَمَامَ عَيْنِكَ شَامِتَاً وَعَذُولَا
وَلَأَنْتَ أَعْلَمُ إِنَّ تُزْحِرِحْ عِنْدَهُمْ شَبْرَاً، فَسَوْفَ يُزْحِرِحُونَكَ مِيلَا
وَإِذَا ارْتَحْتُ عُقْدُ تَيْسَرَ حُلُّهَا جَدُّوَا لَكُمْ عُقْدَا تُرِيدُ حُلُولَا

((عَبْدَ الْإِلَهِ)) وَلَيْسَ عَابَاً أَنْ أَرَى عِظَمَ الْمَقَامِ مُطَوِّلاً فَأَطِيلَا
كَرَمْتُ ضَيْفَكَ يَسْتَثِيرُ جَلَالَهُ نُطْقَاً، وَيُدْفَعُ قَائِلَاً لِيَقُولَا
يَا ابْنَ الَّذِينَ نَزَلَتْ بِيوتِهِمْ سُورُ الْكِتَابِ، فَرْتُلْتُ تَرْتِيلَا
الْحَامِلِينَ مِنَ الْأَمَانَةِ ثِقَلَهَا لَا مُصْعِرِينَ وَلَا أَصَاغِرَ مِيلَا^(١)
وَالنَّاصِبِينَ بِيوتِهِمْ وَقُبُورَهُمْ لِلسَّائِلِينَ عَنِ الْكِرَامِ دَلِيلَا
وَالطَّامِسِينَ مِنَ الْجَهَالَةِ غَيْهَبَاً وَالْمُطَّلَعِينَ مِنَ النَّهْيِ قِنْدِيلَا^(٢)
مَلَكُوا الْبِلَادَ عَرُوشَهَا وَقُصُورَهَا وَاسْتَعَذَبُوا وَعَثَ التُّرَابِ مَقِيلَا^(٣)
يَا ابْنَ النَّبِيِّ وَلِلْمَلُوكِ رِسَالَةٌ مَنْ حَقَّهَا بِالْعَدْلِ كَانَ رَسُولَا
يَرْجُو الْعِرَاقُ بَظْلَ رَايَةٍ فَيُصَلِّ أَنْ يَرْتَقِيَ بِكَمَا الذُّرَى وَيَطُولَا
لَا شَكَّ أَنْ وَدِيعَةً مَرْمُوقَةً عَزَّ الْكَفَيْلُ لَهَا فَكُنْتَ كَفِيلَا

(١) المصعر: المائل بخذه كبيراً. والأصاغر الميل: الأذلاء.

(٢) الغيب: الظلام.

(٣) وعث التراب: المكان السهل تغيب فيه الأقدام ويشق السير فيه.

وکیان مُلکِ فی حدائِةِ عہدِہ
وسیاسۃً حضنتُ دُعاءَ ہزیمۃِ
تُغری المثقَّفَ أنْ یکونَ مُہادِناً
أَلقتِ علی کِتفیکَ من زحمتِہا
شدَّت عروقکَ من کرائمِ ہاشم
وَحَنَّتْ عَلیکَ من الجُدودِ ذُوَابَةٌ
یتطلَّبُ التلطیفَ والتدلیلاً
وتبنَّتِ التفریقَ والتضلیلاً
وابنَ الجہالۃِ أنْ یظَلَّ جہولاً
عبءاً تنوءُ بہِ الرِّجالُ ثقیلاً
بیضُ نمینَ خدیجۃً وتولوا
رَعَتِ ((الحسین)) وجعفرأ ((وعقیلاً))

قَدَّتِ السَّفینۃَ حینَ شَقَّ مِقادُہا
أَعطتکَ دَقَّتہا فلم تَرَجِعْ بہا
وَمَنَحَتَہا والعاصفاتُ تووَدُہا
أُعطیتَ ما لم یُعطَ قبَلکَ مثلہ
إِنَّ العِراقَ یُجِلُّ بَیعۃَ ہاشمِ
ہذی مِصارِعُ مُنجبیکَ ودورُہم
ما کانَ حِجُّہمُ وطوفُ جموعِہم
حُبُّ الألی سکنوا الدیارَ یشفُہم
وتطلَّبَتْ رَبَّائِہا المسؤولاً
خوفَ الرِّیاحِ، ولا اندفعتَ عَجولاً
مَتناً أزلَّ وساعداً مفتولاً^(۱)
شعباً علی عِرفانِکُم مجبولاً
من عہدِ جدِّکَ بالقرونِ الأولى
یملأنَ عَرَضاً للعِراقِ وطولاً
لقبورِ أهْلِکَ ضَلَّةً وفُضولاً
فیعاودونَ طلوہا تقبیلأ

^(۱) المتن الأزل: أي الشديد القوي.

يا شيخ (لبنان) شكية صارخ
كنا نريدك لا القلوب ((مغيمة))
لنريك أفراح العراق شماله
جئت العراق ومن فلسطين به
والمسجد المحزون يُلقى فوقه
ذهبت فلسطين كأن لم تعترف
وعفت كأن لم يمش في أرجائها
و ((المسجد الأقصى)) كأن لم يرتفع
وثرى ((صلاح الدين)) ديس وأنعلت
و ((الحنظلي)) بجلفه وعوده
لم يرع شرع الكافرين، ولا وفي
أعطى ((النبي)) أهلها فاستامهم
واليوم يفخر ((بالحياد)) كفاخر

تتخلل الترحيب والتأهلاً^(١)
فينا، ولا خصب النفوس تحيلاً
وجنوبه، وشبيبة وكهولا
وجع مطيبه يعود عليلاً
ليلاً - على الشرق الحزين - طويلاً
من كافيها ضامناً وكفياً
((عيسى))، و ((أحمد)) لم يطر محمولا
فيه أذان بكرة واصيلاً
منه جيوش الواغين خيولا
ما زال كاذب وعده ممطولا^(٢)
حقها القرآن والإنجيلاً
((بلفور)) فاستوصى بهم عزريلاً^(٣)
بالقتل إذ لم ((يسلخ)) المقتولا

بغداد، عام ١٩٤٧

(١) التأهيل: الترحيب بـ ((أهلاً)).

(٢) الحنظلي: يريد به المستعمر البريطاني. ومطل حقه: أجل وفاءه.

(٣) النبي: القائد البريطاني المعروف وفتح القدس في الحرب العالمية الأولى. بلفور: هو الوزير البريطاني صاحب الوعد المعروف بتهويد فلسطين.

الشهيد قيس

٢٧٣

ديوان الجواهري

والشهيد قيس هو ((قيس الأوسي)) أحد الشهداء الأوائل في وثبة كانون، الذي استشهد في معركة الجسر يوم

.١٩٤٨/١/٢٧

يا قسطنطين! يا أطفلسف الرضيع ورفسذ ورويسه الشمسيوي
يا قسطنطين! يا قسطنطين الخبيثه بسفوفت ل سسندع الخبيثه
يا قسطنطين! يا قسطنطين الرضاة بسفوفت ل قسطنطين الخبيثه



يا قسطنطين! يا قسطنطين الرضيع ورفسذ ورويسه الشمسيوي
يا قسطنطين! يا قسطنطين الخبيثه بسفوفت ل سسندع الخبيثه

قائمة التبر

الغريفة الفلوطيه، والجمعية الصانحة الفلوطيه

الجمعية الإيمانية

٢٧٥

ديوان الجواهري

يا قيسُ! يا لُطْفَ الرِّبيعِ ووقدَ رَوَّقِه الشَّبُوبِ
 يا قيسُ! يا هَمْسَ الحبيبِ يذوبُ في سَمْعِ الحبيبِ
 يا قيسُ! يا هَزَجَ الرُّعَاةِ يَشيعُ في الحقلِ الخصبِ
 يا قيسُ! يا شَجْوَ ((الهزارِ)) يُيبُ بالغصنِ الرطيبِ
 يا قيسُ! يا حُلْمَ ((العذارى)) يزدجمنُ على ((القليبِ))^(١)
 يا قيسُ! يا ذَوْبَ ((الغضارة)) قُطِّرت بأرْقِ كُوبِ
 يا قيسُ! يا حُنَّ الحِياةِ ونغمةِ الأملِ الرطيبِ
 يا قيسُ! يا مَلْحَ السَّنا يا قيسُ! يا نَفْحَ الطُّيُوبِ
 يا قيسُ! هل تَدري بما؟ خَلَّفْتَ بَعْدَكَ مِنْ نُدُوبِ
 وبما غَمَرْتَ البَيْتَ مِنْ فَيْضِ الصَّبَابَةِ وَالوَجِيبِ
 وبما جَلَبْتَ لـ ((ثاكل)) حَرَى، وَمُحْتَسِبِ حَرِيبِ^(٢)
 الوالدان - عليك يا قيسُ المدللُ - في لُغُوبِ^(٣)
 يستعللانِ بلمح وجهِك في الشُّروقِ وفي الغُروبِ
 ويغالطانِ النَّوْمَ عَنْكَ بِطَيْفِكَ الْمَرْحِ الطُّرُوبِ

(١) القليب: البئر.

(٢) الحريب: المسلوب، والمحتسب: الصابر على البلوى.

(٣) اللغوب: الإعياء

ویراجع ان تلاؤم انفسیہما، صُنع المریب
یتبادلان أساهما شکوی الغریب إلى الغریب
یا قیس! أمک لا تزال تعیش بالأممل الكذوب
تهفولقزع الباب فی الجیئات منک و فی الذُهب
وتظللُ تسألُ تخدعاً لك عن هجوعک والهبوب

یا قیس! یارمز الفتوة عطرَت بدمِ خضیب
کرمت بالکفنِ المخضب منک و الخد التریب
وطناً بمثلک من بنیه یستجیر من الخطوب
ویرد أنصبه إلیهم ما حَبَّوه من نصیب
بالمجد تلعه الحقوب علیهم تلوا الحقوب^(۱)
و الغار تضره لهم ریان من طَفَح القلوب
یا قیس! یا قیس الملووح فی شبابک بالحروب
الشعب یثار من ((رُماتک)) فی بعید أو قریب

بغداد، عام ۱۹۴۸

^(۱) الحقوب: جمع حقبة، وهي المدة من الزمن.

قف بأجدات الضحايا

٢٧٩

ديوان الجواهري

نظمت إثر البيان الرسمي الذي صدر عن البلاط الملكي الذي أنهى معاهدة بورتسموث بعد سقوط العشرات من الشهداء في انتفاضة كانون الثاني ضدها.

حَضَنَ ((التاجُ)) بنيه فتعالَى
وتعالَت أُمَّةٌ لم تنحرفُ
أُمَّةٌ تَكَرَّرَهُ مِنْ مُسْتَعْمِرٍ
أوطأت أقدامها ((عارمة))
وتخطَّت جَمْرَةَ الغَبيظِ إلى
ومشَت ((للهُلكِ)) تدري أَنه
عرفتُ أَن الذين استفرشوا
نُعِمتُ أظفارُهُم من ((رقية))
ثمَّ شأوا المجدَ فيما يُقتنى
كَتَبَ الدهرُ على أبوابهم
هَهنا يرقُدُ من ظلُّوا على
والذين استنزفوا طاقتهم

و تعالی ((حارسُ التاج)) جَلالا
عن مدى الحقِّ، ولا زاغَت ضلالا
فَرَضَهُ النَصْرًا وتأبى الانخِذالا
حَسَكَ الجور، وشاءته انتعالا^(١)
((وقدة)) الموتِ فزادتها اشتعالا
يسألُ الرُوحَ عن الدنيا زوالا
حُلَّ الدِيباجِ غَنجاً ودلالا
فهي لا تقوى عن اللحم انفصالا
حِليةٌ تُضفي على البيتِ جمالا
هَهنا يرقُدُ من عافوا النضالا
هامِسِ ((التاريخِ)) كَلاً وعيالا
في المشقاتِ هُم كانوا الرجالا

حَضَنَ التاجُ بنيه حِضْنَةَ الليثِ لا يبغى عن ((السُّبلِ)) انفصالا
وتحدَى من تحدَى مُعلِناً أَنه يقبلُ في الحقِ النزالا

(١) الحسك: ضرب من الشوك.

وانبَرَّتْ كَفُّ هِيَ الْبُرَّةُ مَشَى
تَمْسُحُ الدَّمْعَةَ سَالَتْ حَرَّةً
وَرَمَى ((نَسْرُ قُرَيْشٍ)) فَوْقَهُمْ
يَسْتَجِمُّ الْمَجْدُ فِي أَفْيَئِهَا

يَا حُمَاةَ الطُّهْرِ فِي مُعْتَرِكِ
كَرْفِيفِ الزَّهْرِ فِي رَيْعَانِهِ
نَسَلُوا مِنْ كُلِّ حَذْبٍ، نَسْوَةٌ
يَا شَبَاباً صَبَغُوا الْأَرْضَ دَمَاءً
مَنْحَ الْبَاغِي هَوَاناً وَصَغْيً
أَكْثَرُوا مِنْ دَمِكُمْ تَسْتَكْثِرُوا
فَهُوَ ظَمَّانٌ إِلَى أَمْثَالِهِ
وَكَتَبُوهَا صَفْحَةً إِنْ ذُكِرَتْ
لَيْلَةٌ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ ثِقْلَهَا!
وَاخْتِمُوا عَهْدَ ((زَعَامَاتِ)) عَفَتْ
جَامِعَاتٍ - كُلُّ مَا لَا يَلْتَقِي

رَحِمَ الطُّهْرَ بِهِ الرَّجْسُ فَمَا لَا
لَمْ تُدْنَسْهُ يَدُ الْجَانِي ابْتِدَالاً
وَرَجَالاً، وَجَنُوباً وَشِمَالاً
كَانَ فِي ((وَجْنَةَ)) سِفْرَ الْمَجْدِ خَالاً
وَحَبَا الْأُمَّةَ زَهَوَا وَاخْتِيَالاً^(١)
مَنْ فَمَ التَّارِيخِ مَجْداً وَابْتِهَالاً
لَا دَمَاءً خَثَرَتْ فَهِيَ كُسَالَى
كَنْتُمْ الْأَمْثَالَ فِيهَا وَالْمِثَالاً
وَلِيَالٍ سَوْفَ تَأْتِيكُمْ ((حُبَالَى))!
كَاذِبَاتٍ لَفَقُوهُنَّ انْتِحَالاً
مَنْ نَقِيضَيْنَ - شَنَاراً وَاحْتِفَالاً

^(١) الصغى: مصدر صغى بصغى: مال.

من حُطامٍ لم من كلِّ خناً
و مُدِلِّين بأن قد قرَنوا!
وادعاء صارخ قبلاً وقالوا
بالحننا جاهاً وبـ ((الخطوة)) مالا

قف بأحداث الضحايا، لا تُسَلُّ
لا تُذَلُّ عهدَ ((الرجولات)) التي
وتلقف من ثراها شمة
وَضَع ((الإكليل)) زهراً يانعاً
ثم خَفُضْ من جناحيك بها
أيها الثاؤون في جَولاتكم
كُنَّا نحسُّدُكم أن نلُتُم
كُنَّا نمشي على آثاركم
كُنَّا ممتثلٌ من وحيكم
فإذا شِئتم مَشِيناها ونى
وإذا شِئتم صِبعناها دماً

يا ((حفيظ)) العهد للوادي ويا
وصليب العودِ يَأبى غمزةً
هُرَع الشعب إلى مُنقذه
أمل الوادي فتواً واقتبالا
ورفيع الرأسِ يَأبى أن يُطالا^(٣)
مُلقياً في الساحة الكبرى الرجالا

(٣) ونى: في الاصل اتنادا.

(٣) يطال: يسبق.

كَذَبَ الْمَلَقُونَ فِي رُوعِكُمْ
 قَلْ لَأَوْلَاءِ الَّذِينَ اسْتَأْتَرُوا
 وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا أَنَّهُمْ
 كَمْ وَكَمْ ثَاوٍ بِجُحْرِ مُظْلِمٍ
 كَانَ أَصْفَى نِيَّةً فِي حُبِّكُمْ
 وَالَّذِينَ افْتَخَرُوا أَنَّهُمْ
 وَالَّذِينَ اسْتَنْفَرُوا مَنْ حَوْلَهُمْ
 لَيْسُدَّ ((السُّوطُ)) مَجْرَى فِكْرَةٍ
 قَلْ لَهُمْ: لَسْتُمْ رِفَاقِي فَاذْفَرُوا
 إِنَّهُ يَشْجُبُ مَنْ حُكَّامِهِ
 وَيُرِيدُ الْعَدْلَ فِي أَحْكَامِهِ
 لَا ((يُقَالُ)) الشَّعْبُ، لَكِنْ طَغَمَةٌ
 أَنَّهُ يَطْلُبُ أَمْرًا لَنْ يُنَالَا
 بِالْمَلَذَاتِ وَبِالْحَكْمِ احْتِيَالَا
 وَحَدَّهُمْ مَدُّوا إِلَى الْعَرْشِ حَبَالَا!
 وَحَرِيْبٍ يَأْكُلُ الْمَاءَ الزَّلَالَا^(١)
 مِنْ مُدْلِيْنَ نِفَاقًا وَافْتِعَالَا
 يَلْبَسُونَ ((الشَّعْبُ)) مَا شَاؤُوا نِعَالَا
 زُمْرًا عَبَّأَهَا الشَّرُّ رِعَالَا^(٢)
 وَتُعِيْقَ ((النَّارُ)) قَوْلًا أَنْ يُقَالَا
 إِنَّ هَذَا الشَّعْبَ لَا يَبْغِي مُحَالَا!
 خُطَّةَ الْعَسْفِ وَيَأْبَى الْاِغْتِلَالَا^(٣)
 وَالْمَسَاوَاةَ وَإِنْ عَزَّتْ مَنَالَا
 تَسْتَرْقُ الشَّعْبَ أَوْلَى أَنْ تُقَالَا^(٤)

بغداد، عام ١٩٤٨

^(١) الحريب: المعدم الفقير.

^(٢) الرعل: جمع رعيل وهو الجيش.

^(٣) الاغتلال: من اغتل، واستغل.

^(٤) يقال: يعزل، من الإقالة.

أخي جعفر

٢٨٥

ديوان الجواهري

ألقاها الشاعر مساء يوم ١٤ شباط ١٩٤٨ في الحفل الكبير الذي أقيم في جامع الحيدر خانة ببغداد، بمناسبة مرور
سبعة أيام لاستشهاد أخيه محمد جعفر الجواهري وإخوانه من الشهداء في معركة الجسر الباسلة يوم ٢٧ كانون الثاني عام
١٩٤٨، ثورة على معاهدة ((بورتسموث)). وكان يوم تشييع جنازته يوماً لم تشهد بغداد مثله في تاريخها الحديث.

نشرها الشاعر في جريدته الرأي العام يو ١٥ شباط ١٩٤٨ ومهد لها في عدد الجريدة الصادر في ١١ شباط ١٩٤٨

بكلمة عنوانها.

((أحب أن أخبرك يا جعفر))

هي:

- أحب أن أخبرك يا ((جعفر)) إن القلوب كلها عليك حرى. والعيون عليك كلها دامعة.
- وإن بيوتنا بعدك يغمرها الظلام، وتعاودها الأشباح. وأطفالنا وهي تلعب تعتزل ناحية ثم تبكي.
- وأحب أن أخبرك يا ((جعفر)) أن ((الشعب)) هو الذي سيأخذ بثأرك. فقد بدا أن المسؤولين لا يجروون على ذلك. توثق
يا ((أخي)) إن دمك ودماء رفاقك ((تفرون)) وستظل حتى يثلجها دم الخونة المراق!!
- وأحب أن أخبرك يا ((جعفر)) أن الوغد ((تفرج)) من شرفة ((ديوانه)) وأنت تخر صريعاً. وأن آخرين ممن لطحوا اسم
الأدب والشعر بالعار من أذنا به ومن أبناء بلدك تفرجوا على القلوب كلها وهي تسيل عليك شعراً ونشراً دون أن يجدوا فيها
ما يحركهم. ولكنهم وجدوا في مجالس المداعبات، واستقبال الموظفين وتوديعهم، وأهازيج المديح المتبصص محرراً
وباعثاً و ((رابطة)) تربطهم بـ ((العلم)) و ((الأدب))!! وتجرهم إلى...
- أحب أن أخبرك يا ((جعفر)) بأشياء، وأشياء، هي ((التاريخ)) كله! وهي ((البشرية)) كلها!! وهي ((الحياة)) بنقائضها!
سأصعبها قرياً في مسمعك بكل خشوع وأدب ووقار تليق بك أيها الحدث الطاهر. ولكنها، بكل صراحة ممزقة، تليق
بأخيك. سأصعبها يا أخي ((جعفر)) على مسمعك، بكتاب مصبوغ بدمك. ملتهب بما في قلبي من شرر يقدحه هذا
((الدم)) على مر الدهور، وكر الأزمان..
- أحب أن أخبرك يا أخي ((جعفر)) أن جماعة من أهلك يخشى بل ((يرجى))! أن يلحقوا بك حزناً عليك، وشوقاً إليك.
- أحب أن أخبرك يا أخي ((جعفر))، يا أعز الناس كلهم، بأنني سأخبرك..

أخوك ((مهدي))

أَتَعَلَّمُ أَمْ أَنْتَ لَا تَعَلَّمُ
فَمُ لَيْسَ كَالْمُدَّعِي قَوْلَةَ
يَصِيحُ عَلَى الْمُذْقِعِينَ الْجِيَاعَ
وَيَهْتَفُ بِالنَّفَرِ الْمُهْطِعِينَ
بَأَنَّ جِرَاحَ الضَّحَايَا فَمُ
وَلَيْسَ كَأَخْرَى يَسْتَرْحِمُ
أَرِيقُوا دِمَاءَكُمْ تُطَعَمُوا^(١)
أَهِينُوا لِئَامِكُمْ تُكْرَمُوا^(٢)

أَتَعَلَّمُ أَنْ رِقَابَ الطُّغَاةِ
وَأَنَّ بَطُونَ الْعُتَاةِ التِّي
وَأَنَّ الْبَغْيِي الَّذِي يَدَّعِي
سَتَنْهَدُ إِنْ فَارَ هَذَا الدَّمُ
فِيَا لَكَ مِنْ مَرِّهِمْ مَا اهْتَدَى
وِيَا لَكَ مِنْ بَلْسَمٍ يُشْتَفَى
وِيَا لَكَ مِنْ مَبْسَمٍ عَابَسِ
أَثْقَلَهَا الْغَنَمُ وَالْمَاءُ
مِنْ السُّحْتِ تَهْضُمُ مَا تَهْضُمُ^(٣)
مِنْ الْمَجْدِ مَا لَمْ تَحْزُ ((مَرْيَمُ))
وَصَوَّتَ هَذَا الْفَمُ الْأَعْجَمُ^(٤)
إِلَيْهِ الْأُسَاءَةَ وَمَا رَهَّمُوا^(٥)
بِهِ حِينَ لَا يُرْتَجَى بَلْسَمُ
تَغَوَّرُ الْأَمَانِي بِهِ تَبْسَمُ

أَتَعَلَّمُ أَنْ جِرَاحَ الشَّهِيدِ
تَظَلُّ عَنِ الثَّارِ تَسْتَفْهِمُ

(١) المدقع: الفقير المعدم.

(٢) المهطع: الذليل.

(٣) السحت: المال الحرام.

(٤) ستنهد: الفاعل يعود على الأشياء في الأبيات الثلاثة السابقة.

(٥) رهموا: استعمال اشتقه الشاعر من الرهم.. والأساءة: جمع أسى وهو الطبيب.

أَتَعْلَمُ أَنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ
تَمَّصُّ دِمَائِهِمْ تَبْغِي دِمَاءَ
فَقُلْ لِلْمُقِيمِ عَلَى ذَلِكَ
تَقَحُّمٌ - لُعْنَتٌ - أَزِيرَ الرَّصَاصِ
وَحُضَّهَا كَمَا خَاضَهَا الْأَسْبِقُونَ
فَأَمَّا إِلَى حَيْثُ تَبْدُو الْحَيَاةَ
وَأَمَّا إِلَى جَدَثٍ لَمْ يَكُنْ
مِنَ الْجُوعِ تَهْضِمُ مَا تَلَهُمْ
وَتَبْقَى تُلْحُحُ وَتَسْتِطْعِمُ
هَجِينًا يُسَخَّرُ أَوْ يُلْجَمُ
وَجَرَّبٌ مِنَ الْحِظِّ مَا يُقَسَمُ^(١)
وَأَنَّ بِمَا افْتَتَحَ الْأَقْدَمُ
لِعَيْنَيْكَ مَكْرُمَةً تُغْنِمُ
لِيَفْضُلَهُ بَيْتُكَ الْمُظْلِمُ

تَقَحُّمٌ، لُعْنَتٌ، فَمَا تَرْتَجِي
أَأُوجِعُ مَنْ أَنْكَ الْمَزْدَرِي
تَقَحُّمٌ فَمَنْ ذَا يَخْوُضُ الْمَنُونَ
تَقَحُّمٌ فَمَنْ ذَا يَلُومُ الْبَطِينِ
يَقُولُونَ مَنْ هُمْ أَوْلَاءُ الرَّعَاعِ
وَأَفْهَمُهُمْ بِدَمِ أُمَّهُمْ
وَأَنْكَ أَشْرَفُ مَنْ خَيْرِهِمْ
مِنَ الْعَيْشِ عَنِ وِرْدِهِ مُحْرَمٌ؟
وَأَقْتُلُ مَنْ أَنْكَ الْمُعْدِمُ؟
إِذَا عَافَهَا الْأَنْكَدُ الْأَشْأَمُ؟
إِذَا كَانَ مِثْلَكَ لَا يَقْحَمُ؟^(٢)
فَأَفْهَمُهُمْ بِدَمِ مَنْ هُمْ
عَبِيدُكَ إِنْ تَدْعُهُمْ يَخْدُمُوا
وَكَعْبُكَ مِنْ خَدِّهِ أَكْرَمُ

^(١) من الحظ: في رواية أولى: من الأمر.

^(٢) البطين: كبير البطن وهو هنا من شدة الشبع.

أخي ((جعفراً)) يا رِواءَ الربيع
ويا زهرةً من رياض الخلود
ويا قَبساً من هيب الحياة
ويا طلعة البشر إذ ينجلي
لثمتُ جراحك في ((فتحة))
وقبَلتُ صدرك حيث الصَّميم
وحيثُ تلوذُ طيورُ المنى
وحيثُ استقرتُ صفاتُ الرجال
وربَّتُ خدّاً بسماء الشباب
ومسّحتُ من خصلٍ تَدلي
وعلّلتُ نفسي بذوبِ الصيد
إلى عَفْنٍ باردٍ يُسَلِّمُ^(١)
تغوّها عاصفٌ مُرزمٌ^(٢)
خبأ حين شبَّ له مَضْرَمٌ^(٣)
ويا ضحكةَ الفجر إذ يسيمُ
هي المصحفُ الطُّهرُ إذ يُلثمُ^(٤)
من القلب، مُنخِرَقاً، يُحْرَمُ
به، فهي - مُفزعَةٌ - حُومٌ
وَضَمٌّ معادِتها مَنجَمٌ^(٥)
يرفُّ كما نور البرعمِ^(٦)
عليه كما يفعلُ المغرمُ
كما علّلت واردةً ((زمزم))

^(١) العفن البارد: يراد به هنا القبر. ورواء الربيع: بهاؤه ولطفه.

^(٢) المرزم: المرنان الصخاب.

^(٣) مضرم: فاعل لشب وهو مصدر ميمي بمعنى الضرام كأنه يقول: شب ضرامه.

^(٤) الفتحة: هنا إشارة إلى فوهة الجرح المفتوحة.

^(٥) حيث استقرت صفات الرجال يراد به القلب الذي منه تنبعث عناصر القوة.

^(٦) ربت بتشديد الباء: أي ضرب بلطف.

ولَقَطْتُ مِنْ زَبَدِ طَافِحٍ
وعَوَّضْتَ عَنْ قُبُلَتِي قُبْلَةً
عَصَرْتَ بِهَا الذِّكْرِيَّاتِ الَّتِي
أَخِي ((جَعْفَرًا)) إِنَّ رَجَعَ السَّنِينَ
ثَلَاثُونَ رُحْنَا عَلَيْهَا مَعًا
نَكَافِحُ دَهْرًا وَيَسْتَسْلِمُ

بَشَغْرِكَ شَهْدًا هُوَ الْعَلَقَمُ^(١)
عَصَرْتَ بِهَا كُلَّ مَا يَوْمُ
تَقَضَّصْتُ كَمَا يَحْلُمُ النَّوْمُ
بَعْدَكَ عِنْدِي صَدَى مُبْهِمُ
نَعْدَبُ حِينًا وَنَسْتَنْعِمُ^(٢)
وَنُغْلِبُ طَوْرًا وَنَسْتَسْلِمُ

أَخِي ((جَعْفَرًا)) لَا أَقُولُ الْحَيَالَ
وَلَكِنْ بِمَا أَهَمَّ الصَّابِرُونَ
أَرَى أَفْقًا بِنَجِيْعِ الدَّمَاءِ
وَحِبْلًا مِنَ الْأَرْضِ يُرْقَى بِهِ
إِذَا مَدَّ كَفَّأ لَه نَاكُثٌ
تَكْوَرُ مِنْ جُنْثٍ حَوْلَهُ
وَكَفَّأ تُمُدُّ وَرَاءَ الْحِجَابِ
وَجِيْلًا يَرُوحُ وَجِيْلًا يَجِيءُ

وَذُو الثَّأْرِ يَقْظَانُ لَا يَحْلُمُ
وَقَدْ يَقْرَأُ الْغَيْبَ مُسْتَلِيمُ
تَنْوَرُ، وَاخْتَفَتِ الْأَنْجُمُ
كَمَا قَذَفَ الصَّاعِدَ السُّلْمُ
تَصَدَّى لِيَقْطَعَهَا مُبْرِمُ
ضِيخَامٍ وَأَمْجَادُهَا أَضْخَمُ
فَتْرُسُمُ فِي الْأَفْقِ مَا تَرُسُمُ
وَنَارًا إِزَاءَهُمَا تُضْرَمُ

أُنْيَيْكَ أَنْ الْحِمَى مُلْهَبٌ
وَوَادِيَهُ مِنْ أَلْمِ مُفْعَمُ

^(١) البيت وما بعده إشارة إلى واقعة حال كان فيها الشاعر ينحني على أخيه وهو في الرمق الأخير

ليقبله وكان من الشهيد أن قبله هو أيضاً.

^(٢) ثلاثون: إشارة إلى الثلاثين عاماً التي هي عمر الفقيه.

ويا وَيَحَ خانقةٍ مِن غدٍ
وَأَنَّ الدماءَ التي طَلَّها
تَنْضَخُ مِن صدرِكَ المُستطاب
ستبقى طويلاً تُجَرُّ الدماء
وَأَنَّ الصِّدورَ التي فَلَّها
وَنَثَرَ أَضلاعها نُثْرَةً
سَتَحْضُنُها مِن صُدورِ الشباب

أخي ((جعفراً)) إِنَّ عِلْمَ اليقين
صُرِّعَتْ فحامتْ عليك القلوب
وَسُدَّ الرُّواقُ، فلا تُخْرِجْ
وأبلغَ عنكَ الجَنوبُ الشَّمال
وَشَقَّ على ((الهاتفِ)) الهاتفون
تعلَّمتَ كيفَ تَموتُ الرجال
وكيفَ تُجرُّ إليك الجموعُ
أنيِّبَكَ إن كنتَ تستعلمُ
وَحَفَّ لَكَ الملائُ الأعظُمُ
وضاقَ الطريقُ، فلا تُحْرِمُ^(١)
وعزَّى بِكَ المَعْرِقُ المُشثِمُ^(٢)
وضجَّ مِن الأسطرِ المِرْقَمُ^(٣)
وكيفَ يُقامُ لهم ما تَمُ
كما انجرَّ لِلحَرَمِ المُحَرِّمِ

^(١) ظل الدم: أراقه. و ((المعرم)): المتجبر الذي يأخذ الناس بالظنة، وبما لم يجنوا، من فعل ((أعرم)).

^(٢) المحرم: طريق في الجبل يريد به أي طريق.

^(٣) المعرق والمشثم: أي العراقي والشامي.

^(٤) المرقم: القلم.

ضحكتُ وقد همَّهم السائلون وشقَّ على السمع ما همهموا^(١)
يقولون مُتَّ وعند الأُساةِ غيرَ الذي زعموا مَزَعُمُ
وأنتَ مُعافى كما نرتجى وأنتَ عزيزٌ كما تعلَّمُ
ضحكتُ وقلتُ هنيئاً لهم وما لفقوا عنك أورجموا
فهم يبتغون دماً يشتفي به الأرمدُ العينِ والأجذمُ^(٢)
دماً يُكذبُ المخلصونَ الأباةُ به المارقينَ وما قسَّموا
وهم يبتغون دماً تلتقي عليه القلوبُ وتستلمُ^(٣)
إلى أن صدقتَ لهم ظنَّهم فيالك من غارمِ يَغْنَمُ
فهم بك أولى فلما نزل كجذيرٍ على عَدِدٍ يُقْسَمُ
وهم بك أولى، وإن رُوِّعت ((عجوز)) على فلذةٍ تَلْطِمُ
وتكفُرُ أن السَّما لم تُعدُّ تُغيثُ حريباً، ولا تَرْحَمُ^(٤)

^(١) الهمهمة: الكلام الخفي.

^(٢) الأجذم: المجذوم المصاب بالجذام.

^(٣) تستلم: تتجمع.

^(٤) الحريب: المحزون.

وأختٌ تُشَقُّ عليك الجيوب
 تناشدُ عنك بريقَ النُّجوم
 وتزعمُ أنك تأتي الصَّباحَ
 ليُسمَخَ بفقْدِكَ أنفُ البلادِ
 فيُغرِّزُ في صدرها معصمٌ^(١)
 لعلَّك مِن بينها تنجمُ^(٢)
 وقد كذَّبَ القبرُ ما تزعمُ
 وأنفي؛ وأنفُهُم مُرغمُ

أخي ((جعفراً)) بعهود الإخاءِ خالصةً بيننا أقسمُ
 وبالدمعِ بَعْدَكَ لا يتثنى
 وبالبيتِ تغمُرُهُ وحشةٌ
 وبالصبحِ والأهلِ ((يستغربون))
 يميناً لتنهشُني الذكرياتُ
 إذا عادني شبحٌ مُفْرِحٌ
 وأني عُودٌ بكفِّ الرياحِ يسألُ منها متى يُقَصِّمُ
 أخي ((جعفراً)) وشجونُ الأسي
 أزح عن حشاك غُشاءَ الضميرِ
 فإن كانَ عندك مِن مَعْتَبٍ
 تصدَّى له شبحٌ مؤلِّمٌ
 ستصيرم حبلي ولا تُصرمُ^(٤)
 ولا تكتمَنِّي، فلا أكتمُ^(٥)
 فعندي أضعافُه مُندَمٌ

^(١) الجيب: صدر الثوب.

^(٢) تنجم: تطلع.

^(٣) الأرقم: الأفعى.

^(٤) صرم: قطع.

^(٥) الغشاء ما يخالط الضمير من كدره. وأزح: أي صرح.

وإن كنت في ما امتحننا به
تُخْرِجُ عُذْرًا يُسَلِّي أَخَا
عصارةُ عمرٍ بشتى الصنوف
به ما أطيقتُ دفاعاً به
وما مسنا قَدْرَ مُحْكَمٍ
فأنت المُدِلُّ به المُنْعِمُ
مليءٌ، كما سُجِنَ المُعْجَمُ
وما هولي مُحْرَسٌ مُلْجِمُ
أسالتُ ثراكَ دموعِ الشباب
ونورَ منك الضريحِ الدمُ

بغداد، عام ١٩٤٨



٢٩٥

ديوان الجواهري

يوم الشهيد

٢٩٧

ديوان الجواهري

نظمت بمناسبة الذكرى الأربعينية لاستشهاد الشهيد ((جعفر الجواهري)) الذي جرح في معركة الجسر الشهيرة يوم ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٤٨، واستشهد متأثراً بجراحه يوم ٤ شباط.

ألقى الشاعر قسيماً منها، وهي لما تكمل في الحفل الذي أقيم في النجف لهذه الذكرى حول قبر الشهيد.

ألقاها، كاملة، في أول مؤتمر عام للطلاب العراقيين، نظمه اتحاد الطلبة العراقي العام في ١٤ نيسان ١٩٤٨، وأقيم في ((ساحة السباع)) ببغداد.

يومَ الشَّهيد: تحيةً وسلامٌ
بك والضحايا الغرِّيزهو شامخاً
بك والذي ضمَّ الثرى من طيبهم
بك يُبعث ((الجيل)) المحتَّم بعثه
وبك العتاة سيُحشرون، وجوههم
صفاً إلى صفِّ طغاماً لم تذُق
ويُحاصرون فلا ((وراء)) يحتوي
وسيُسالون من الذين تسخروا
ومن استُبيح على يديهم حقُّها
ومن الذين عدوا عليه فشوهوا
خَلَصَ النعيمُ لهم فهم من رقة
وصفا لهم فلِكُ الصبا فتلاً أو
يتدلَّلون على الزمان كما اشتَّهت
ومَدَّسُ أرجلهم ونهبُ نعالهم

بك والنضالِ تُوَرِّخُ الأعوامُ
علمُ الحساب، وتفخرُ الأرقامُ
تتعطَّرُ الأرضونَ والأيامُ
وبك ((القيامة)) للطغاة تُقامُ
سُودٌ، وحشُو أنوفهم إرغامٌ^(١)
ما يجرعون من الهوان طغامٌ^(٢)
ذنباً، ولا شُرطاً يحوز ((إمام))
هذي الجموع كأنها أنعامٌ^(٣)
هدراً، وديست حرمةٌ وذمامُ
وجه الحياة فكدرُوا وأغاموا
وغضارة بيضُ الوجوه وسامُ
فيه كما تتلألاً الأجرامُ
شهوأتها قُبُّ البطون وحامٌ^(٤)
شعبٌ مهيضُ الجانحين مُضامُ

^(١) من الرغام: وهو التراب.

^(٢) الطغام: السفلة من الناس.

^(٣) تسخروا: أي سخروا بالضعيف.

^(٤) القب: جمع أقب وهو البطن الضخم. وحام: من الوحم وهو ما يعرض للمرأة الحامل من شهوة.

يُمسي ويُصبح يستظلُّ بِخِدْنِهِ بِقَرِ الزَّرِيبِ، وَيَرْتَعِي وَيَنَامُ
سِيحَاسِبُونَ، فَإِنْ عَرَّتْهُمْ سَكْتَةٌ مِنْ خَيْفَةٍ فَسَتَنْطِقُ الْأَثَامُ
سِيئَكُسُ الْمُتَذَبذِبُونَ رِقَابَهُمْ حَتَّى كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ أَقْدَامُ

يَوْمَ الشَّهِيدِ! وَمَا الْخِيَالُ بِسَادِرِ بئسَ الْخِيَالُ تَقْوِذُهُ الْأَوْهَامُ^(١)
الشَّعْرُ - يَا يَوْمَ الشَّهِيدِ - تَجَارِبُ وَبِلَاؤُهَا، لَا لَوْلَا وَنِظَامُ
كَذِبًا يُجَيِّلُ أَنَّ بَارِقَةَ الْمُنَى تَنْجَابُ مِنْهَا وَحِشَّةٌ وَظَلَامُ
أَوْ أَنَّ بِالتَّزْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الدِّمَا سَيِّلٌ مِنْ عَطَشِ الطُّغَاةِ أَوْامُ^(٢)
أَوْ أَنَّ مَتَعُوبًا سَتَسْعَى نَحْوَهُ عَمَّا قَرِيبٍ رَاحَةٌ وَجِهَامُ^(٣)
حُسْبَانُ ذَلِكَ لِلشَّهِيدِ خِيَانَةٌ وَلِمَا تَفَجَّرَ مِنْ دَمِ إِجْرَامُ
وَلَتلكَ مَدْعَاةٌ سَيُنْصَرُّ عِنْدَهَا عَارُ النُّكُوصِ وَيُحْذَلُ الْإِقْدَامُ
وَلَذَاكَ إِيهَامٌ يَضِلُّ أُمَّةً وَسَلَاخُ كُلِّ مُضَلَّلٍ إِيهَامُ
عَظُمَتْ مَحَاوِلُهُ وَجَلَّ مَرَامُ أَفْبَالِيسِيرِ مِنَ الْعَنَاءِ تُرَامُ

يَوْمَ الشَّهِيدِ! طَرِيقُ كُلِّ مَنَاضِلِ وَغَرٌّ، وَلَا نُصُوبٌ وَلَا أَعْلَامُ
فِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ تَلُوحُ بَلِيَّةٌ وَبِكُلِّ مُفْتَرِّقٍ يَدِبُّ جِهَامُ
وَحِيَاضُ مَوْتٍ تَلْتَقِي جَنِبَاتُهَا وَعَلَى الْخِيَاضِ مِنَ الْوُفُودِ زِحَامُ

^(١) السادر: المتحير.

^(٢) الأوام: شدة العطش.

^(٣) المتعوب: أراد به المتعب.

وَقِبَاحُ أَشْبَاحٍ لَمُرْتَعِدِي الْحَشَا
 بِكَ بَعْدَ مُحْتَدِمِ النِّضَالِ سَيْنَجَلِي
 سَيُجَازُ شَهْرٌ بِالْعَنَاءِ وَآخِرُ
 سَتَطِيرُ فِي أَفْقِ الْكِفَاحِ سَوَاعِدُ
 سَتَثُورُ مِنْ رَهَجِ اللَّهَاطِ عَجَاجَةٌ
 سَيُعَالِجُ الْبَاغِي بِنَضْحِ مَنْ دَمٍ
 لَا بُدَّ مِنْ نَارِ يَرُوحُ وَقُودُهَا
 وَتُنِيرُ مِنْهَا الْخَابِطِينَ دُرُوبَهُمْ
 إِذْ ذَاكَ يُصْبِحُ بَعْدَ طُولِ مَتَاهَةٍ
 بَرَمٌ بِهَا، وَلْمَحْرِبِينَ هِيَامٌ^(١)
 مِمَّا ابْتَدَأَتْ مِنَ النِّضَالِ خَتَامٌ
 وَيُحَاضُّ عَامٌ بِالدَّمَاءِ وَعَامٌ
 وَتَطْيِخُ فِي سُوحِ الْكِرَامَةِ هَامٌ
 وَيَهْبُ مِنْ وَهَجِ الشُّكَاةِ قَتَامٌ^(٢)
 حَتَّى تُسَكِّنَ شَهْوَةً وَعُورَامٌ^(٣)
 مَنَّا وَمِنْهُ غَارِبٌ وَسَنَامٌ^(٤)
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ جَذْوَةٌ وَضِرَامٌ
 بِيَدِ الشُّعُوبِ مَقَادَةٌ وَزِمَامٌ

تَبَّأً لِلدَّوْلَةِ عَاجِزِينَ تَوَهَّمُوا
 وَالْوَيْلُ لِلْمَاضِينَ فِي أَحْلَامِهِمْ
 وَإِذَا تَفَجَّرَتِ الصَّدُورُ بَغِيظَهَا
 أَنَّ ((الْحُكُومَةَ)) بِالسِّيَاطِ تَدَامُ
 إِنْ فَرَّ عَنْ ((حُلْمٍ)) يَرُوعُ مَنَامُ
 حَقَّقَا كَمَا تَتَفَجَّرُ الْأَلْغَامُ

^(١) المحرب: المحروب والحريب أي الذي نزل به الحرب وهو الهلاك والحرب أن يؤخذ مال الرجل كله.

^(٢) الرهج: الغبار، والقتام: الغبار أيضاً.

^(٣) العرام: القسوة والشدة.

^(٤) الغارب: ما بين السنام إلى العنق أو الكاهل.

وإذا بهم عَصُفاً أكَيْلاً يَرْتَمِي وإذا بما ركنوا إليه رُكَّامُ
وإذا بما جَمَعَ الغُواءُ خُشارةً ((وإذا عَصَارُهُ كُلُّ ذاكِ أُنْثامُ))^(١)

يومَ الشَّهِيدِ! لَسَوْفَ تُعَقِّبُ فِي غَدِ يوماً نَحَارُ بِكُنْهه الأَفْهَامُ
ولسوفَ نَجْهَلُ ما يَقْلُ بِصُلبِه قَدَرٌ، وما تَمَخَّضُ الأَيَّامُ
ولسوفَ يُصْبِحُ ما نَحَارُ بِكُنْهه إن حانَ حِينٌ، واستتمَ تَمَامُ
أمرأُ كما قالَ البديهةَ قائلٌ: ((النورُ نورٌ، والظلامُ ظلامٌ))

إني لَيُخَنِّقُنِي الأَسَى وَيُهْزِنِي ما لَاحَ طِفْلٌ يَحْتَبِي وَغُلامُ
علماً بأنَّ دِمَاءَهُمَ لَيْسَتْ لَهُم وبأنها لِلجائِعِينَ طَعَامُ
لِلناسِ بَعْدَ اليَوْمِ مِيلادُ الفَتَى ومما تُثَه، وَرِضاعَةٌ وَفِطامُ
يومَ الشَّهِيدِ! بِكُلِّ جارِحَةٍ مَشَى داءٌ تَعَاوَرَهُ الزَّمانُ عِقامُ
تَعَبَ الأَساءَةِ بِهِ، وَجافَى أَهْلَهُ يَأْساً نِطاسِيٌّ بِهِ عَلامُ^(٢)
وَتَعَسَّرَ الإِبْلالُ حَتى تَنْتَفِي مِنْهُ الجُذورُ، وَتُقَطَّعَ الأَجْدامُ^(٣)
يومَ الشَّهِيدِ! بِكَ النُّفوسُ تَفْتَحُ وَعِياً، كما تَفْتَحُ الأَكْمامُ
كَادَ الضَّعيفُ يَشُكُّ فِي إِيمانِهِ وَالصَبْرُ كادَ يَشْلُهُ اسْتِسلامُ

^(١) الخشارة: الرديء من كل شيء والعجز تضمين من بيت لأبي النواس.

^(٢) الأساة: جمع آس وهو الطبيب. والنطاسي: الخاذق الماهر.

^(٣) الأجدام: جمع جذم (بكسر الجيم)، وهو الأصل.

طاح البلاءُ بخائِرٍ في مَعْرَكِ
وانجاب عن متردِّدين طِلاؤُهُم
وأغصَّ قومٌ بالسكوت، وأفصحتُ
وتمسَّك المتشبِّثون بجاحِمِ
وتراكم الصبرُ الجميلُ بساحةِ
من حولها تراكمُ الآلامِ
أشِبَّ تطيسُ بهوله الأَحلامُ^(١)
وانزاحَ عن مُترَبِّصينَ لِشامِ
عن غير ما عُرِفَتْ به أقوامُ
جَمَراتُه تُشوى بها الأقدامُ
من حولها تراكمُ الآلامُ

شعبٌ يُجاعُ وتُستدَّرُ ضروعُه!
وأمدَّ للمُستهترِّينَ عِناهُم
وتعطلَّ الدستورُ عن أحكامه
فالوعى بغيٌّ، والتحرُّرُ سُبَّةٌ
وُمدافعُ عما يدينُ محرَّبٌ
ولقد تمارُ لتُحلبَ الأَغنامُ^(٢)
في المُخزِياتِ فأزتعوا وأساموا^(٣)
من فرطِ ما ألوى به الحُكَّامُ
والهُمسُ جُرمٌ، والكلامُ حَرامٌ
ومطالبُ بحقوقه هَدَّامٌ

ومشى بأصلابِ الجموعِ يهزُّها
وهوت كراماتٌ تولت أمرها
الجهلُ والإدقاعُ والأسقامُ
خِطَطٌ، تولَّى أمرها إحكامُ

(١) الأشب: المختلط.

(٢) تمار: ثقات وتغذى. والمعنى أنه حتى الأغنام والمواشي ثقات وتغذى جيداً قبيل أن تحلب.

(٣) ارتعى وأسام: بمعنى رعى.

فكرامةٌ يُهزى بها، وكرامةٌ يُرثى لها، وكرامةٌ تُستامُ^(١)
وانصاعٌ يغزو أهله ودياره
وتصافقتٌ حُجزٌ على مُتحرِّرٍ
ولكلُّ مُحْتطِبٍ الخنا مداحةٌ
وكرامةٌ يُهزى بها، وكرامةٌ يُرثى لها، وكرامةٌ تُستامُ^(١)
وانصاعٌ يغزو أهله ودياره
وتصافقتٌ حُجزٌ على مُتحرِّرٍ
ولكلُّ مُحْتطِبٍ الخنا مداحةٌ

ومُعائبٍ والسَّوطُ يُلهِبُ ظَهْرَهُ
ومُعائبٍ والسَّوطُ يُلهِبُ ظَهْرَهُ
مما أشاعَ البغيُّ من إرهابه
مما أشاعَ البغيُّ من إرهابه
ومطارِدونٌ تعجَّلوا أيَّامهم
ومطارِدونٌ تعجَّلوا أيَّامهم
ومشكِّكونٌ وقد تعاصتِ مِحْنَةٌ
ومشكِّكونٌ وقد تعاصتِ مِحْنَةٌ
ومعدَّبٌ بجراحه ويُلامُ
ومعدَّبٌ بجراحه ويُلامُ
وبما استُطِيبَ الخوفُ والإحجامُ
وبما استُطِيبَ الخوفُ والإحجامُ
ومشرِّدونٌ من المذلَّةِ هاموا
ومشرِّدونٌ من المذلَّةِ هاموا
صلُّوا على شرفِ الخلاصِ وصاموا
صلُّوا على شرفِ الخلاصِ وصاموا

ولقد تَرَقَّرَقَ في العيونِ تساؤلٌ
ولقد تَرَقَّرَقَ في العيونِ تساؤلٌ
أعفا القطينُ فما به مُتَنَفَّسٌ
أعفا القطينُ فما به مُتَنَفَّسٌ
أفوعدُ مُرتقبٍ ((القيامةِ)) خُلبٌ
أفوعدُ مُرتقبٍ ((القيامةِ)) خُلبٌ
أو يكثُرُ الأبطالُ حينَ سلاحهم
أو يكثُرُ الأبطالُ حينَ سلاحهم
وعلى الشفاهِ تحيَّرَ استيفهامُ
وعلى الشفاهِ تحيَّرَ استيفهامُ
وخلالِ العرينِ فما به ضِرغامُ؟
وخلالِ العرينِ فما به ضِرغامُ؟
وبريقِ مُنتظرٍ ((النُّشورِ)) جهامُ؟^(٢)
وبريقِ مُنتظرٍ ((النُّشورِ)) جهامُ؟^(٢)
بينَ الجموعِ قصيدةٌ وكلامُ؟
بينَ الجموعِ قصيدةٌ وكلامُ؟

^(١) استامه: سامه ذلاً.

^(٢) النثا: ما أخبرت به عن الرجل شراً أو خيراً.

^(٣) الجهام من السحاب: الذي لا مطر فيه.

ذابوا، فلا بطلٌ ولا مقدامٌ^(١)
ما قَعَقَعَ الإسراجُ والإجامُ؟
وعلى فَمِ المتحرِّرينَ لجامُ؟
ورَمَت بأشبالٍ لها الأجامُ^(٢)
فضلاً ولم يُبَطِّرْهُمُ الإنعامُ
وملامةً لشبابها فالأموا^(٣)
بصدورهم، إذ عزَّهن دِعَامُ
فعلى الصدور من الدماءِ وسامُ
إنَّ الحمى من فوقه قَوَامُ
صَمْتاً، فلا صَحْبُ، ولا إِرْزَامُ
فلهم دماءٌ يغتلبن سِجَامُ^(٤)
تركوا الحمى للطائرات وناموا

سُتْرِيهِ كَيْفَ الْجُودُ وَالْإِكْرَامُ
وَلِكُلِّ عَصِيرٍ دَوْلَةٌ وَنِظَامُ

فإذا استحرَّ الخطبُ واحتدَمَ الأذى
أفلا تكون مغارةٌ؟ أو ما انتهى
أعلى ضمير المخلصين غشاوة
حتى إذا قَذَفَ الحمى بحماته
وتنافسَ ((الفادون)) لم يتمنَّوا
وجدوا عتاباً للبلاد فأعتبوا
ومشوا إليها يدعمون صفوفها
حملوا الرصاصَ على الصدور وأوغلوا
تابَ الغويُّ وثاب كل مشكك
نكروا النفوسَ وفجَّروا أعراقها
وأبوا سِجَامَ الدمع شيمة نائح
ناموا وقد صانُوا الحمى، ومعاشرُ

يَوْمَ الشَّهِيدِ: وَكُلُّ يَوْمٍ قَادِمٌ
دَالَ الزَّمَانُ وَبُدِّلتْ نُظْمٌ بِهِ

(١) استحر الخطب: اشتد وعظم.

(٢) الأجام: جمع أجم وهو الغاب والشجر الكثيف.

(٣) الأموا: بمعنى لاموا.

(٤) السجام: الدمع الغزير.

وَمَضَى الحُدَاةُ ((بِحَاتِمِ)) وَبِرَهْطِهِ
فَهُمْ وَقَدْ حَلَبُوا ((الصَّرِيحَ)) أَمَا جَدُّ
وَهُمْ لِأَنَّ الضَّيْفَ يَنْزِلُ سَاخِمَهُمْ
وَأَتَى زَمَانٌ مِنْ مَكَارِمِ أَهْلِهِ
وَالسُّوْطُ يَحْتَرِشُ الظُّهُورَ وَوَقَعَهُ
وَكَأَنَّهُ ((لِلْمُسْتَعِيثِ)) إِغَاثَةٌ
جِيلٌ يَرَى أَنَّ الضِّيَافَةَ وَالْقِرَى
يَقْرُونَ جَائِعَةَ الْبِلَادِ نَفُوسَهُمْ
وَيُرُونَ ضَيْفَهُمُ الْكِرَامَةَ تُزْدَرَى
يَتَقَامَرُونَ عَلَى الْمَنَايَا بَيْنَهُمْ

لَاهُمْ عَفْوَكُ، لَا الشَّجُونَ قَلِيلَةٌ
عِنْدِي، وَلَا أَنَا أَخْرَسٌ تَمْتَامُ
قَلْبٌ يَذُوبُ أَسَى، وَشَعْرٌ كُلُّهُ
ضَرَمٌ، وَبِيَّتٌ كُلُّهُ آلَامُ

^(١) الصريح: الخالص من اللبن. الجزور: الناقة المذبوحة.

^(٢) ألم: نزل.

^(٣) يحترش: يريد به يلهب الظهر.

^(٤) الإدام: الطعام.

^(٥) يتقامرون: يتسابقون. الأيسار والأزلام: القداح التي يضرب بها الجاهليون يستطلعون بها الفال.

أخنى بوحشته على جيرانه
ويكاد يشهق بالعويل بلاطه
ودم أريق على يدي يهزني
وخبئة في الصدر نفث دُخانها
لا هم ما قدر البيان إذا انزوى
وإذا استوى فيه الثكول وغيره
أكبرت شعري أن تُهين كريمه
أو عاثون على الهوامش مثلما
والمتلون كأنهم كل الدنى
والصادعون بما يرى مُستعمر
والمولعون بفاجرات مطامع
ماذا يُحطمُ شاعرٌ من صاغِر
لكن بمختلطين في نياتهم
من كل هاوٍ بُرجه وكأته
يؤذيه أن الشمس تطلع فوقه
الليل عندهم التعلّة والمنى

^{١١} غفل وسوام: من صفات الدواب المهملّة التي لا قيمة لها ومن الناس من لا يرجي خيره ولا يخشى شره ولا حسب له.

وإذا النهار بدا فكلُّ حديثهم
حتى إذا حميت وغي وأدارها
وتلقفتهم كالرَّحى أشداقها
زحوا الصُّفوفَ ((مشيِّعين)) كأثمهم
ومشوا على جُثثِ الضَّحايا مثلياً
ثم استداروا ينفخون بطونهم
عنه بكيفَ تفسِّرُ الأحلامُ
كأساً ((إياس)) مرةً و ((عصام))
مضغاً همَّامٌ يقتضيه همَّامٌ^(١)
بين المواكبِ قادةَ أعلامُ
يمشي بمقتنصِ النِّعَامِ نِعَامُ
نَفْخَ الطُّبُولِ، وأقعدوا وأقاموا!!

يومَ الشهيد: وما تزال كعهدِها
قَصَرُوا عن العَلِيَا فلم يتناوَشُوا
وتقطَّعتْ بِالْمَكْرَمَاتِ جِبَاهُهُمْ
وعنَاهُمْ أَخَذُ الكِرَامِ عِنَائَهَا
وتجاهلوا أن ليس تربُّ مسامح
هُوجٌ تدنُّسُ أمةً ولئامٌ^(٢)
ما احتازَ منها فارعونَ جِسامٌ^(٣)
وبما ابْتَنَّتْ هِمَمٌ فَهَنَ رِمَامٌ^(٤)
من بعد ما داروا عليه وجاموا
بدمائه نَهَّازَةٌ غَنَامٌ

^(١) شرط الحرب يقتضي أن يقابل همام هماماً. ولكن هؤلاء لا يعرفون هذا الشرط لأنهم - كما سيأتي - لئام جبناء.

^(٢) الهوج: جمع الأهوج وهو الأخرق الأحمق.

^(٣) يتناوَشون: يتناولون.

^(٤) الرمام: جمع رمة، بضم الراء وكسرها - القطعة من الحبل بالية.

وبأنَّ أمَّاتِ المآثرِ برزَّةُ
فهُمُ وقد ذكَّتِ الحزازةُ عندهم
يُسْقَوْنَ جَذوتِها وفيها يجتلي
حتى إذا ألقى الكريمُ بوجهه
وتَضَوَّرَتْ جُوعاً فلم تَرَ عنده
ومشى الفَعَال لهم صريحاً لم يُشَبَّ
وتخارَسوا وعمَّوا فملءُ عُيونِهِم
لجأوا إلى ((الأنسابِ)) لو جَلَى لهم
وتنايَزُوا بالجاهليةِ شَجَّها
فأولاءِ أعرابٍ! فكلُّ مُحَرَّمٍ
وأولاءِ ((أغمارِ)) فلا رأسٌ ولا
وأولاءِ ((أشرازِ)) لأنَّ شعارهم
عملاقة، وبأنهم أقزامٌ^(١)
((كوبٌ)) من الحقدِ الدفينِ وجامٌ
تربُّ الندى لأوارِها إضرارُ
فتمايَزُ الإِشراقُ والإِظلامُ
ما تأكُلُ الأوغارُ والأوغامُ^(٢)
آياتِه عِيٌّ، ولا إعجامُ
رَمَدٌ، ومثلُ حُلوقِهِم إفحامُ
((نَسبِ)) ولو صدقتْ لهم أرحامُ
من قبل نورِ ((الفكرِ)) و((الإسلامِ))^(٣)
حِلُّ لهم! وأولئِكَم أعجامُ
كعبٌ ولا خَلْفٌ ولا قُدامُ^(٤)
بين الشُّعوبِ محبَّةٌ وسلامُ

^(١) البرزة من النساء الكاملة العظيمة. أمات المآثر - هنا - أهل الفضل.

^(٢) الأوغار جمع وعر (بالتحريك) وهو الحقد. والأوغام: جمع وغم (بسكون الغين) وهو الترة والحقد والغيط.

^(٣) تنايَزا: تعايروا. شج: قطع وحرَم.

^(٤) الأغمار: جمع غمر وهو الرجل من سواد الناس.

وكأَنَّ ((أرحاماً)) تُرْصُّ! فريضةٌ
وكأنَّ من لم يَحِمْ تِلْكَ وهذه
نُكِرَ لو استَعلى، لما استَعَلَّتْ يَدُ
ولما تَمَايزَتِ النُّفُوسُ بِخَيْرِهَا
لِزْكَ ((أبو هَلَبٍ)) وكان مُرْجَمًا
قَبْلَيَّةٌ يَلْجَا إِلَيْهَا مُقْعَدٌ
وبها تَسْتَرُّ عَن صَغَارَةِ نَفْسِهِ
بل قَدْ نَفِيًّا ظَلَّهَا مَنْ حَطَّه
من كَلِّ مُعَدِّ فِي الصَّغَارِ كَأَنَّهُ
((سَلْمَانُ)) أَشْرَفُ من أَبِيكُمْ كَعْبُهُ
و ((مُحَمَّدٌ)) رَفَعَتْ رِسَالَةَ رَبِّهِ
وَلَقَدْ يُذِلُّ مُسَوِّدًا أَعْقَابُهُ

^(١) لزه: شده وألصقه.

^(٢) الإعزام: يريد به العزم، من تنبيهات الشراح في ((طبعة بغداد)).

^(٣) الشذاة: الحدة، وهي هنا حدة الحرب وشدتها.

^(٤) سلمان: سلمان الفارسي. وعصام مصدر الثناء على العصامية لمحا للبيت الشهر:

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما

^(٥) المسود: الذي أعطيت له السيادة.

أُخَيَّ: لو سَمِعَ النَّدَاءَ رُغَامٌ
مُنِّي عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ
وَاللَّهِ لَوْلَا طَائِفٌ مِنْ سَلْوَةٍ
وَرِسَالَةٌ نَدَعُو لَهَا وَأَدَاؤُهَا
وَبَنِيَّةٌ لِلسَّالِكِينَ طَرِيقَهُمْ
وَدَعَاةٌ حَقٌّ يَخْرُجُونَ سِوَاهُمْ
لَعَكَفْتُ حَوْلَكَ لَا أَرِيْمُ وَلَمْ يَكُنْ
يَا نَائِمًا وَالْمَوْتُ مَلَأَ جُفُونَهُ
وَمُلَائِمًا بِيَدِ الْمَنُونِ جِرَاحَهُ
قَدْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تُظَلِّكَ بِهَجَّةٍ
أَوْ أَنْ يَرِفَّ عَلَيْكَ فِي رَيْعَانِهِ
لَوْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ الْحَيَاةَ زِمَامَهَا
لِتَضُمَّكَ الْغُدْرَانُ فِي أَحْضَانِهَا
وَشَقِيقُكَ الْقَمَرُ الْمُدِلُّ بِلُطْفِهِ

ولو استجابَ إلى الصرِيخِ جِمَامٌ
ولذكركَ الإِجْلَالُ والإِعْظَامُ
ولأُمَّةٍ مِنْ مُسْكَةٍ تَعْتَامُ^(١)
فَرَضٌ، وَرَعْيٌ حَقُوقِهَا الإِزَامُ
وَالقَادِمِينَ عَلَى الطَّرِيقِ تُقَامُ^(٢)
عَارًا إِذَا لَزِمُوا الْبَيْوتَ وَذَامُ
إِلَّا بِحَيْثُ أَقَمْتَ أَنْتَ مُقَامُ
أَعْلَمْتَ مِنْ فَارَقْتَ كَيْفَ يَنَامُ؟
جُرْحُ المُقْسِمِ عَلَيْكَ لَا يَلْتَامُ^(٣)
وَنَضَارَةٌ، لَا ظُلْمَةٌ وَرَغَامُ^(٤)
هَذَا الرِّبِيْعُ - كَوَجْهِكَ - البَسَامُ
وَلَهَا عَلَى كَفِّ الشَّبَابِ زِمَامُ
وَتُقَلِّكَ الْهَضْبَاتُ وَالْأَكَامُ
نَشْوَانُ، يَصْحُو تَارَةً وَيُغَامُ

^(١) مسكة: بقية. تعتام. تعرض وتمنع.

^(٢) بنية: بناء يكون علامة ومناراً للهداية.

^(٣) ((ملائمًا)): أي مضمداً ومداوى.

^(٤) الرغام: التراب.

لو شئت، عن شرفٍ أردتَ فصدته
ولجئتُ مُقتنصَ الشباب ولا رمتك
لو شئت؟ لكن شاءَ مجدك غيرها
ردَّ البُكاءَ عليك أنك قائدٌ
تمشي الجموعُ على هُداك كما هدى الضُّلالَ برقٌ في الظلامِ يُشامُ^(١)
لو غيرُ ذاك أطاحَ رأسك لارتمى
بشراك نعلك طائحاً ((هَمَامُ))^(٢)
ولما استقلَّ برأس ((مُرة)) خنصرٌ
لك، واستفادَ بوجهه إبهامُ

قد كان يعطيني عليك ملامُ
أن لو سلمت فلا شباي مُزَنَدُ
لو لم تُجيني من رُفاتك هامةٌ
ما كنت ((نَحَاماً)) بنفسك للورى
أن لو ذخرتُك أيها الصمصامُ
أسفاً، ولا حدي عليك كهامُ^(٣)
صبراً جهيلاً أيها اللوامُ^(٤)
أفأنت بي من أجلهم نَحَامُ^(٥)

^(١) شام: لمح، رأى.

^(٢) إشارة إلى همام بن مرة في حرب البسوس.

^(٣) الشبا: حد كل شيء وكأنه يقصد الرمح - مقابلة للسيف في عجز البيت - . والمزند: المنقصر، وهو

هنا: الباخل بالأسف والحزن. والكهام: السيف الكليل (الذي لا يقطع).

^(٤) الهامة: في أساطير العرب طائر يلازم قبر القتيل لا يفارقه حتى يؤخذ بثأره.

^(٥) النحام: البخيل.

نحن الضحايا: للشعوب فقارةٌ
هذي القبورُ قنابرٌ مَبْثُوثَةٌ
ما كانَ جيلٌ تستقيمُ قناتُه
فالتُّكُلُ والعَيْشُ السَّوِيُّ سَوِيَّةٌ
ولكلِّ ما يبني الشعوبَ قِوامٌ^(١)
للكابرِ، وحفِيرُها الغامُ
إلا وموتٌ يستقيمُ زُؤامُ
ودمُّ الضحايا والحياةُ تُؤامُ^(٢)

يومَ الشهيد! ونعمتَ الأيامِ
لو يرَعَوِي المتنابدونَ وكلُّهم
ولو التقى من بعدِ طُولِ تَفَرُّقِ
ولو اتفقنا كيف يهتَفُ هاتِفٌ
وبمن يقودُ الزاحفينَ أخالدٌ
هي أمةٌ خافَ الطُّغاةُ شذاتِها
وإذا بها والذلُّ فوق رؤوسها
يحتازها والجوعُ ينهشُ لحمها!
لو تستتيمُ أختوةٌ ووئامُ
بهمومهم وشُعورهم، أرحامُ
الشيخ والقسيسُ والحاخامُ
فينا، وكيف تُحرِّزُ الأعلامُ!
ومحمدٌ، أم أحمدٌ وهشامُ؟
فسَعوا بها، فإذا بها أقسامُ^(٣)
قُببٌ له مَضْرُوبَةٌ وخيامُ
باسم ((الرغيف)) مَعْرَةٌ وصدامُ

بغداد، عام ١٩٤٨

(١) الفقارة: خرزة الظهر التي يستقيم بها، وقوام الشيء: مادته ونظامه.

(٢) التوام: جمع التوام.

(٣) الشذاة: الحدة.

دم الشهيد

(في وثبة كانون)

٣١٥

ديوان الجواهري

خُذُوا مِنْ يَوْمِكُمْ لَعْدٍ مَتَاعَا وَسِيرُوا فِي جِهَادِكُمْ جَمَاعَا
 وَكُونُوا فِي أَدْرَاءِ الْخُطْبِ عَنْكُمْ يَدَا تَبْنِي بِهَا الْعِضْدُ الدَّرَاعَا
 ذَرُوا خُلْفَاءَ عَلَى رَأْيٍ وَرَأْيٍ إِلَى أَنْ يُلْقِيَ الْأَمْرُ الْقِنَاعَا
 وَخَلُّوا فِي قِيَادَتِكُمْ حَكِيمَا يَدْبُرُّهَا هُجُومًا أَوْ دِفَاعَا
 رَحِيبَ الصَّدْرِ يَنْهَضُ بِالرِّزَايَا وَيُحْسِنُ أَنْ يُطِيعَ وَأَنْ يُطَاعَا

حَمَلْتُمْ ثِقْلَ جَائِرَةٍ عَسُوفٍ تَمِيلُ بِمَنْ يَجَاوِزُهَا اضْطِلَاعَا
 وَنَادَيْتُمْ بِذَائِعَةٍ هَتُوفٍ نَمَى خَبْرٌ بِهَا لَكُمْ وَذَاعَا
 تَعَلَّقَتِ الْعُيُونُ بِهَا احْتِفَاءً وَأَتَلَعَتِ الرِّقَابُ لَهَا اِطْلَاعَا^(١)
 وَأَوْجَفَتِ الشُّعُوبُ عَلَى صِدَاهَا وَقَدْ عَابَ الْعِيَانُ بِهَا السَّمَاعَا^(٢)
 تَرَاهِنٌ بَيْنَهَا عَنْ كُلِّ شَوِّطٍ بِحُبْلَتِكُمْ، وَتَقْتَرِعُ اقْتِرَاعَا
 فَقَدْ وَعَظْتِكُمْ سُودُ اللَّيَالِي وَلَمْ تَعْرِفْ بِمَا تَعِظُ الْخِدَاعَا
 بَأَنَّ أَشَقَّ مُطَلِّبٍ رَأَتْهُ ضَعِيفٌ طَالِبٌ حَقًّا مُضَاعَا
 فَلَا تَكِلُوا الْأُمُورَ إِلَى قِضَاءٍ فَمَا كَانَ الْقِضَاءُ لَكُمْ رِضَاعَا

^(١) أتلت الرقاب: امتدت واستطالت.

^(٢) أوجفت: أي أسرع، وحشت خطاها. أوجف الفرس: إذا أسرع.

ولا تنسوا بأن لكم عدواً
يلوِّي كلَّ يومٍ من قنائةٍ
وأنكم بكعب السوطِ منكم
قرعتم رأسٍ مختبِطٍ رؤوساً
طويلاً، في ازدراع الخلفِ، باعا
ويتدع الشقاقُ بها ابتداعاً
قرعتم ((رأس)) من سنِّ القِراعِ
مماكرةً، ومالكها صداعاً^{١١}
شديد البطش يأبى الانصراعاً
تهزُّ الصُّلبَ منه والنخاعاً
وجرّوا منه أنياباً شناعاً
وسلّوا حقّكم منه انتزاعاً
مسكتم من خناقة أفعوانٍ
تعاصى والدنى من كلِّ حدبٍ
فمدوا كفكم هوناً فهوناً
وفكّوا شدق مؤتذبٍ خبيث

ولا تنسوا بأن له عبيداً
حباهم شرّاً ما يُجبي خؤونٌ
وعوّضهم عن الشرفِ المبقى
أحلّ لهم دماءكم مخاضاً
شراهم بابتسامته وباعاً
يغذي من كرامته الطمّاعاً
حطامَ المالِ يذهبُ والضّياعاً
وبوأهم ((حقوقكم)) رباعاً^{١٢}
تملكها، وذو خورٍ أطاعاً
ذعاف الهون والذلّ اجتراعاً^{١٣}
وملكهم رقابكم فآبٍ
فسقّوهم بكأسهم دهاقاً

^{١١} المختبط: الضارب.

^{١٢} رباع: جمع ربع أي جعل حقوقكم ملكاً لهم.

^{١٣} الدهاق: المثلثة، ذعاف وصف للسم وهو القاتل.

وَجُرَّوْهُمْ عَلَى حَسَكِ الْخَطَايَا
وَزِيدُوا بِالْدمِ الْعَبِيقِ اتِّشَاحاً
وَكَانُوا فِي احْتِرَاشِهِمْ ذُنَاباً
وَرُدُّوا كَيْدَهُمْ بِالصَّاعِ صَاعاً^(١)
وبالوحي الذي يُوجِي اذِّراعاً
فكونوا في ضَرَاوتِكُمْ ضِبَاعاً^(٢)

شَبَابَ الْيَوْمِ إِنْ غَدَاً مَشَوْقُ
يُمَدُّكُمْ بِرُوحٍ مِنْ خُطُوبِ!
وَأَنْ يَعْتَاضَ عَنْ جِيلٍ بِجِيلِ
رِصَاصُ الْبَغْيِ يَفْجُرُكُمْ لِيَجْرِي
وَيُحْصِبُ مِنْ رِيَاضِ الْمَجْدِ حَقْلُ
و ((سَوَطُ)) الْفَاجِرِينَ يُعِيدُ لِحْنًا
وَقَعْرُ السَّجْنِ حَيْثُ مَشَتْ ((فَرْنَسَا))
وَأَلْوَانُ مِنْ ((التَّعْذِيبِ))! تُهْدِي
وَأَشْبَاحُ تُرَاوِحُكُمْ قِبَاحُ
هِيَ الْأَشْبَاحُ مِنْ عَهْدِ تَرَامِي

يَمُدُّ لَكُمْ لِيَحْضُنَكُمْ ذِرَاعَا
تَعُوذُ أَنْ يَمُدَّ بِهَا الصِّرَاعَا
بِهَا، وَيَفْضُ بَيْنَهُمَا النِّزَاعَا
دَمٌ يَزْكُوبُهُ الْوَطَنُ اذِّرَاعَا^(٣)
يُيرَاحُ الْقَادِمُونَ! بِهِ انْتِجَاعَا^(٤)
لَهُ تَتَرَنَّحُ الدُّنْيَا اسْتِجَاعَا
مِنْ ((الْبَسْتِيلِ)) تَرْتَفِعُ ارْتِفَاعَا
سَجَلًا ((الثُّورَةَ)) الْكَبْرَى شُجَاعَا
تَرُوعُ حَصَاتِكُمْ سَاعَا فَسَاعَا^(٥)
عَلَى عَهْدِ فَرْتَجِفُ ارْتِيَاعَا

(١) الحسك: الشوك.

(٢) الإحتراش: الصيد.

(٣) الإزدراع: الزرع.

(٤) يراح: ينزل به القادمون طلباً للخيره.

(٥) الحصاة: العقل والحلم.

شبابَ اليوم إنكمُ ثمارُ
سَيَقْطُفُهَا الغدُ الآتي سِراعاً
جَنَى جيلٍ يعبئُ للرزايا
مصايرَه وللذُّلِّ اقتناعاً
على جيلٍ كأنَّ عليه مما
بنى البانون من وزرٍ قلاعاً
بدؤوبِ الفكرِ يفتحُ القضايا
ويختمها بمهجته اندفاعاً

دَمَ ((الشهداء)) لا تذهب هباءً
ولا تحمُّد بقارعة ضياعاً^(١)
ولا تشكُّ الظِّماءَ فإن فينا
دماءً سوفَ تشرُّبها تباعاً
ولا تحلِّ الجفَاءَ فلم تُغيَّبْ
يدُ تُرعى، ولا ذمُّ تُراعى
فما كدمِ ((الشهيد)) إذا نادى
كثيرٌ ناصروه وإن تداعى
وماتهَّبُ الصنائعُ للبرايا
كما يهبُّ ((الشهيد)) لها اصطناعاً
أنفقَ دُكم! ولا ترعى حفاظاً
وترعى البيتَ فاقدة صواعاً^(٢)
إذن! فالثارُ تنشُدُه كِذاباً
وصوتُ الحقِ نسمعهُ خِداعاً
إذن! فسَيوسِعُ التاريخُ رجماً
كَلينا، مَنْ ((أطلَّ)) وَمَنْ أضاعاً^(٣)
ونحن - إذن - نسومُ دماً زكياً
بعاجليةِ شراءٍ وابتِباعاً

^(١) القارعة: للدار سياحتها، وتستعمل للطريق.

^(٢) الصواع: إناء للشرب.

^(٣) من أطل: أي من هدر دماء الشهداء، من طل الدم وأطله.

فأئي ((زكاً)) يُصان-إذن- ويُقنى
ونحن-إذن- على الأشلاء نُرْجِي
فليتَ الحزنَ تُطَبِّقُ فوقَ سَالِ
وليتَ الليلَ يغمُرُه دخاناً
وليتَ مُنَى يُراودها فِجَاراً
وليتَ ضميرَه يثبِ افتزاعاً
وليتَ العارَ يبرُحُ مستفيضاً
وليتَ أمَامَ عَيْنِيهِ احتراقاً
وليتَ خيالَ ماضِيهِ مَسِيخاً!

وأئي شذاة طُهرٍ لن تُباعاً^(١)
رغائبنا ونُسَمُنُها رِتاَعاً^(٢)
سحابته، وتأبى الانقشاعا
وليتَ الصبحَ يُمطرُه التباعا
تعاوده لتنهشه ضِباعا
من الذكرى وينتفضُ التذاعا
سريرته اصطيافاً وارتباعا
جَري كَالشَمعِ حاضرُه وماعا
يلوح على ملامحه انطباعاً^(٣)

دم ((الشهداء)) أنتَ أعزُّ مُلكاً
وأنتَ الخُلْدُ بالأنهارِ يَجري
دمَ الشهداءِ كنتَ النارَ شَبَّتْ

وقاعك أشرفُ الدنيا بِقاعا
وبالمسك انتشى أَرَجاً وِضَاعاً^(٤)
على الباغين تَدَلِّعُ اندلاعاً

(١) الزكا: النماء اي المال، يقنى: يقتنى. وشذاة الطهر: جوهر الطهر واسماه.

(٢) الرتاع: الشبع والرغد في العيش.

(٣) المسيخ: المشوه.

(٤) الأرج: الرائحة الطيبة. وضاع: انتشر.

تَلْفُ طَغَامَهُمْ نِكْسًا فَنِكْسًا
إلى يَوْمِ تُطَيِّحُ بِمَا أَقَامُوا
إلى يَوْمِ تَلْفُهُمْ جِمَاعًا^(١)
وما اخْتَطَّوْا فَنَسِيفُهُ اقْتِلَاعًا

دَمٌ ((الشهداء)) إهدِ الجمعَ يُبْصِرُ
أهْبَبْ له الحواضرَ والبوادي
طريقاً منك يزدهرُ التبعاعا
وعرّفه المشارفَ والتلعا^(٢)
فأقجمه بسؤرته قطاعا
وجدد من قواه إذا تداعى
وان طال الطريق به، متاعا
فزده ما استطعت بك انتفاعا
وعما يغضبُ الوطنَ امتناعا
وحول شعارك الألقِ اجتماعا
حيث الخطوي أبى الإرتجاعا
به يتعللُ الشيخُ ارتضاعا
وعن حُكم يُلاثُ بها ارتداعا
وسدد من خطاه إذا توانى
وكن - إن لفته ليل - شعاعاً
دفعت بما استطعت الضر عنه
وزده ما استطعت لك انصياعا
وزده في الخطوب بك اعتزازاً
وكن في ما اندفعت شعار جيل
وأعلن بانفطامك عن شباب
عن الشهوات في الحكم ازدجاراً

دَمٌ ((الشهداء)) مهما استطعت فادفع
وحسبُ الحُرِّ جُهداً ما استطاعا

^(١) النكس: الحقير.

^(٢) أهبه: هزه ونبهه.

إلى الغمّرات أفئدة تنزى
تُحِبُّ الموتَ تغمُرُهُ التحايا
وتُحْشَى الخلدَ، مُفزَعَةً، نفوساً
وما انفكت على رِجْلِ وأخرى
فأكرهها وقل سيري بسوطٍ
بسوطٍ من جلودٍ ملزَماتٍ
توكّل أن يسودَ الناسَ حكمٌ
ويُسقطُ من شفاههمُ ((سواداً))
من ((الغمّرات)) تُحْشَى الانخِلاعا
وتأبى أن تطيرَ به شعاعاً^(١)
وتهواه، مُكرِّمةً طباعاً
تُخالفُها نُكوصاً وانصياعاً
يُدَمِّي من أبى سيراً وطاعاً^(٢)
بهدي الناس يُقتطعُ اقتطاعاً
يساوي من أجيحَ بمن أجاعاً
ويمحو من معاجهمُ ((زعاغاً))

وَقُلْ سِيرِي وَلَا تَقْفِي انْتِكَاصاً
وَقُلْ سِيرِي فَمَا يَغِيَا دَلِيلٌ
وَقُلْ سِيرِي اتِّبَاعَ أَخِي افْتِدَاءِ
جَلِبْتُ لَهَا ((السُّمُوَّ)) فَأَوْسَعْتَنِي
وَذُقْتُ الْوَحْشَةَ الْكَبْرَى فَكَانَتْ
وَكُنْتُ لَهَا أَنَا ((الْمَجْهُولُ)) عِلْماً
وَأَنْتَ فَسَلْ وَلَا تَقْفِ انْقِطَاعاً^(٣)
حَدَا مَنْ قَبْلَكُمْ فَهَدَى وَضَاعاً
مَشَتْ مِنْ خَلْفِهِ الْأُمَمُ اتِّبَاعاً
مِنَ النُّكْرَانِ مَا يَصِمُّ انْتِضَاعاً
أَنْيَسَ النَّاعِمِينَ بِهَا اضْطِجَاعاً
وَأَخْلَاقاً وَحِكْماً وَاشْتِرَاعاً

^(١) شعاع (بفتح الشين): متفرقة.

^(٢) طاع: مثل أطاع.

^(٣) الإنتكاص: النكوص أي الرجوع إلى الوراء. والضمير في ((أنت)) هو دم الشهداء المخاطب.

وَمُخْتَرِعِ يَتِيهِ عَلَيَّ كِبْرًا
وَفَذُّ ((عَبْقَرِيٍّ)) مِنْ نَتَاجِي
تَجَاهَلَنِي وَكُنْتُ لَهُ خِيَالًا
وَآخِرَ ذِي فَتُوحٍ أَشْجَعِيٍّ
تَنَاسَى مِنْ لَهُ اقْتِنَادَ السَّرَايَا
وَيَا أَكْفَاءَهُمْ كَوْنِي لِوَاءٍ
وَسُدِّي ثُلْمَةً مِنْ كُلِّ خَرْقٍ
وَزَيْدِي فِي خِضْمِ الْمَجْدِ مَوْجَاً
وَلَوْ لَمْ أَجِرْ لَمْ يَجِدِ اخْتِرَاعَا
تَرَعْرَعٌ ((صَيْتُهُ)) وَنَمَا وَشَاعَا
وَأَهْمَلَنِي وَكُنْتُ لَهُ يِرَاعَا
سُفِحْتُ لَهُ لِيَرْتَبِي الْيَفَاعَا^(١)
وَمَنْ كَانَ الشُّجَاعَةَ وَالشُّجَاعَا
وَسَيَعاً يَحْضُنُ الْهَمَمَ الْوِسَاعَا
يَزِيدُ الْخَرْقَ شَقَّتَهُ اتَّسَاعَا
وَكُونِي مِنْ سَفَائِنِهِ شِرَاعَا

بغداد، عام ١٩٤٨

^(١) أشجعي: قوي. سفحت له: هدرت. يرتبي: يعلو. اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

ذكريات

(وثبة كانون)

٣٢٥

ديوان الجواهري

يا ((ذكريات)) تحشدي فرقا
وتأهبي زمرأ تجهزني
هُزِّي الرِّتاجَ عليَّ أَحِكْمُه
الليلُ صُبِّي في قرارتهِ
والريحُ خَلِيهَا إذا صَفِرَت
خَلِي الصغار من الأسي فزَعاً
ودَعِي الكبارَ يَرُونَ مِدْخَنَةً
والنومَ من فزَع ((الرؤى)) يسأ
ليعودَ مما ((تنفُسين)) به
والصبحُ رُدِّيهِ لِبَسِمِهِ
ثمَّ اطلِعي من كلِّ زاوية
حتى إذا انتصف الأصيلُ به
ثمَّ اسكُبي نَضْحَ الدماءِ به
وتمزّقي قِطْعاً مضرّجَةً
فكانَ فيها الصُّلْبُ منغلِقاً

تَسْعُ الخيالَ وتملأُ الأفقا
محضَ الأسي والدُعرَ والقلقا
وتقحّمي البابَ الذي انغلقا
من وحشةٍ ما يُفزعُ الغسقا
في البيت من به فرقا^(١)
يتساءلون: من الذي طرّقا
فيه ولا يجردون محترقا
رُدِّيهِ، أو بدمائها غرقا
مسخاً فلا نوماً ولا أرقا
شرقاً وبالعبرات مُحْتِنِقاً^(٢)
ذاك الجبينَ ووجهه الطلقا
فتكوري في صُلبه شفقاً
ثم ابعثي من نشرها عبقا
تمتصُّ من نَضْحَاتِهِ علقا^(٣)
بجراحِهِ، والصدرَ منخرقا

(١) الفرق: الخوف.

(٢) الشرق: الذي يغص بالماء.

(٣) العلق: الدم.

يا ذكريات تجسدي بدنًا
عريان: لا حَتلاً ولا وَغراً
لم تتركي من كل شاردة
ثم ابلهيني كل آونة
يا ذكريات كلها حرق
من لي بشعر خالق شجنًا
هي صورة حمراء من شجني
ليرى الذين تجاهلوا برماً
من لي بأطراف تراوحني
متسلسلات كلها وجدت
مستجمعات كل خاطرة
ما كان مثل القبر محتفياً
فرحاً، ومكتئباً ومختلطاً
غص الصبا، وتعطري خلقاً
ضحيان: لا صلفاً، ولا ملقاً^(١)
نمطاً، ولا من نامة نسقا^(٢)
منها بما يستأمني رهقاً
تطأ الفؤاد، وتلهب الحدقا
للناس يعجزهم بما خلقها
تدمي اليراع وترعب الورقا
أسيان: كيف يكابد الحرقا^(٣)
بالهم مصطبحاً ومغتبقا
فيها فراغاً، أفرغت حلقة
ما جد من عهد وما خلقها
تبديه مثل النجم منبثقا
بهما، ومُتحداً ومفترقا

(١) الوغر: الحقد.

(٢) النامة: الحركة.

(٣) أسيان: حزين.

من لي بها وكأثمها بشرٌ
 من لي بأشباح أنوء بها
 حتى إذا انصرمت بدا شبحٌ
 طوراً نروح معاً على ظمياً
 يوماً بقعر البيت يُوغرنا
 وهنيهة نرتاد مُرتفعاً
 من لي بها تَعْتَادُ قارئها
 وتردٌ - مثلي - عيشه رنقاً

من لي بشعر خالق حرقاً
 ليريم القلبين قد لصقاً
 وإذا هُما - والموتُ بينهما -
 وتساءلاً: ما ضرَّ لو سلكا
 حتى إذا استبقى أحرهما

((تطأ الفؤاد وتلهبُ الحدقا))
 صنوين، كيف إذا هُما افترقا
 مدّاً من الجيدين فاعتنقا
 كفنأ معاً، وبجلسه علقا
 رَمَقاً، وأسلمَ خدُّه رَمَقاً

(١) الرسف: مشي المقيد.

(٢) الغدق: الماء الكثير.

(٣) الرنق: الكدر.

وَحِثَّ التُّرَابَ بِوَجْهِهِ قَدْرٌ
وَأَندَاحَتِ الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ
وَمَضَى حَسَابُهَا بِرُمَّتِهِ
صَفَقَ اليَدَيْنِ كَأَنَّ مَرْتَجِعاً
وَكَأَنَّمَا يُعْطَى الشَّقِيقَ دَمًا
وَكَأَنَّمَا انشَقَّ الضَّرِيحُ لَهُ
عَبَّالِكُلِّ مُفَارِقٍ طَبَقًا
حَتَّى لَفَظْنِ رَحَابِهَا نَفَقًا
مَا انْفَكَّ مِنْ دَيْنٍ وَمَا انْغَلَقَا
يَرْجُو لِصَاحِبِهِ بِمَا صَفَقَا
إِنَّ الشَّقِيقَ بِدَمْعِهِ شَرِيقَا
بِـ ((رَعَى السَّحَابُ ضَرْيَحَهُ وَسَقَى))

بغداد، عام ١٩٤٨

عرت الخطوب

٣٣١

ديوان الجواهري

أشهر المتاجرون بدم الشهداء - بعد وثبة كانون المجيدة وبعدها باعوا أهدافها الوطنية بحفنة من المناصب وكراسي الحكم - حرب المهاترات في الصحف ضد موقف الشاعر الصامد، فكانت هذه القصيدة ثورة غضب واستنكار. ونشرت في جريدة الحضارة في ١٤ تموز ١٩٤٨ مع مقدمة وبيان من الشاعر حول الموضوع وقدمتها: ((هذه قطعة ملتهبة ينتزعها الشاعر الجواهري من هذه الحياة الماكرة الساخرة. فيتصاعد من شررها لهب يحرق به نفوساً صغيرة سخرت من الحق واستسلمت للباطل، فكان جزاؤها هذه الثورة الشعرية الخالدة وهي آية من آيات الجواهري. ومعجزة خالدة من معجزاته. وها هو ((بيان الأستاذ الجواهري)) بمناسبة ما نشر في صحيفة أسبوعية بغدادية : ((أجل استغللت دم أخي. فأصبحت وزيراً. وغدوت نائباً. وتصرفت بما عهد إلي من مسؤولية الحكم أسوأ تصرف، وأكثره غمراً للمصلحة العامة، وغنماً لنفسي ولأتباعي. واستغللت في المظاهر الفخمة والسيارات المطهّمة. واستغللت بطبيعة اشتراكي في الحكم لتمشية المعاملات الباطلة، والشفاعات الشخصية، وهذّدت بالاستقالة إن لم تخرج الحكومة نواباً من أصحابي. ولست أنا الذي زهد في كل ذلك. واكتفى بالجوّ المكمل بالسواد والدموع، وبذل كل ما يملك من حطام لمحاولة إنقاذ أخيه، أولاً، من الموت، وللقيام، ثانياً، بمراسيم الموت. وغيري كان ممن صدف متعمداً عن كل الأبواب الذي كانت مفتحة في وجهه. وعطلّ نفسه حتى عن مصلحة عمله الشخصي، ومورد رزقه الوحيد. وغيري - ولست أنا - من اكتفى عن دم أخيه ودم قلبه أيضاً المراقين في سبيل هذا البلد. اكتفى: أن يعتزل المجتمع كله. وأن يكون حلساً للمقاهي وحيداً يتفرج على مواكب المستغلّين. إن التاريخ القريب وليس البعيد سيحارب بكل قساوة المستغلّين دم الشهداء من أخٍ وغير أخ، وأنا في طليعتهم. سيكافئ الآخرين ممن عداي، والذين ضربوا حولهم نطاقاً قاسياً من الحرمان يتجانس والعالم الكئيب الذي يعيشون فيه، والجوّ القدسي الحزين الذي يلفّهم. وعندما يثار الشعب لدم جعفر ورفاقه سيثار أيضاً من مستغلي هذا الدم.))

محمد مهدي الجواهري

عَرَّتِ الخُطوبُ وكيف لا تعرفو
وصبرت أنت وأنت ذو ثقة
لانجاب عُسرٍ من فرائسه
ولدرّ ضرعٍ رُححت تحلبه
وصبرت أنت ودرعك الصبرُ
أن لو تشاء لرحزح الأمر
صيدُ الرجال ولا رمى اليسر^(١)
إن كان أعوزَ غيرك الدرُّ

عَرَّتِ الخُطوبُ فما خَفَضَتْ لها
ومَضَيْتَ تَنْتَهَبُ السَّما صُعداً
وعلى جَنَاحِيكَ ارْتَمَتْ كِسرًا
فتجاوَزَتْكَ وراح مَهَبَتْها
النَّفْعُ رَحوٌ لست صَاحِبُه
أجررتَ والدنيا فما سَطَرْتُ
ومضِيَّتْما كُؤُلُ بوطأَتِه
من جانحٍ وكذلك النَّسرُ
لك عند غُرِّ نُجومها وَكرُ
مثل الضَّبَابِ عواصفُ صِرُّ^(٢)
نَخْبُ الفؤادِ وخامِلُ غَمْرُ^(٣)
وأخوكَ هذا الشامِخُ الضُّرُّ
إلا وعندك فوقها سَطْرُ^(٤)
فَرَسِي رهانٍ أنتَ والدهرُ

(١) صيد الرجال: كرامهم.

(٢) الصر: الشديدة.

(٣) نخب الفؤاد: الجبان.

(٤) في المعجم: عناه فأجره أغاني كثيرة: إذا أتبعه صوتاً بعد صوت ويريد به الشاعر أنه في سباق مع

الدنيا.

عَرَبِ الخُطوبُ وكيف لا تَعرو
وَطريقُ مِثْلِكَ - صامِداً - وِعُرُ
عَدَتِ الضُّبَاعُ عَلَيْكَ عاويَةً
ظَنّاً بِأَنَّكَ مَأْكُلٌ جَزُرُ
فَتَذَوِّقْتِكَ فَقَالَ قائلُهَا:
إِنَّ العَضَّ نَفَرَ لِحُمِّهِ مُرٌّ
وَوَجُوهُهُمْ مَطْموسَةٌ عُفْرٌ^(١)
وَنَحَلَصْتَ حُرَّ الوَجْهِ ذَا أَلْقِ
مُتَجَبِّراً، وَلنَعْلِكَ الفَخْرُ
حَسَدُوكَ أَنَّكَ دُسْتَ هَامَهُمْ
مِنَ ضِغْنَةٍ وَعِيوَتِهِمْ خُزْرُ^(٢)
وَحَقَرْتَهُمْ فَقُلُوبُهُمْ وَغُرُ
غُفْلٌ، وَكُلُّ حَيَاتِهِمْ خَمْرُ^(٣)
لَا أَمْرَ عِنْدَهُمْ فَهُمْ هَمَلٌ

و ((زَعِيمٌ)) قَوْمٍ كَالْغُرَابِ بِهِ
صِغَرٌ وَفِي خُطُواتِهِ كِبَرٌ
يَغْتَرُّ فِي مَا لَا يُشْرَفُهُ
جَهْلَ المَغْفَلِ كَيْفَ يَغْتَرُّ
يَغْتَرُّ إِنْ أَلْقُوا بِمَعَدَتِهِ
عَفِنَ الطَّعَامَ فَرِاحَ يَجْتَرُّ
بِالظَّنِّ لَا خَبْرٌ وَلَا خُبْرُ
أَضْحَى ((وَزيراً)) فَاغْتَدَى رَهَقاً
مِثْلَ ((الحَمَارِ)) يُوودُهُ الوِزْرُ

^(١) مأكَل جزر: سهل، هين.

^(٢) الوغر: الحقد.

^(٣) الهمل الغفل: غير المعروفين.

أنت مطيئة عريبت
 ودريئة يرمي الأبي بها
 والتف عن أطرافه همج
 وتحلبوه ففي أكفهم
 من ((فاجرين)) بكل قارعة
 ومفرقين ((مذاهبا)) جمعت
 مثل اللصوص يلثم شملهم
 يا عبد سوء في مزاعمه
 قبليّة والكون وحده
 أفأنت كون يستظل به
 منها الشوى، وتأكل الظهر^(١)
 وغد، ويصمي البرة الفجر^(٢)
 مثل النعام يسودها الذعر
 شطر: وفي أفواههم شطر
 حلوا، تحدث عنهم العهر
 وحناء عليها الآي والذكر
 خيط الدجى ويحمله الفجر
 يشتط حيث تحرر الفكر
 فكر، وخط مصيره ذر؟!
 أم أنت يا ابن ((جهالة)) عصر؟

قل ((للصحيفة)) أنت قائدها
 إني - ولي في المجد مسع -
 لم أذخر منه سوى نشب
 سفها وأنت زعيمها الحر
 عفا عن استغلاله بر
 هو للبلاد وأهلها دخر^(٣)

^(١) الشوى: الأطراف.

^(٢) الدراية: هنا السلاح. الفجر: الفاجر.

^(٣) النشب: المال (المعنوي - هنا)

غَنَيْتَ بِهِ الْأَجْيَالَ طَاعِمَةً مِنْهَا السَّمِينُ، وَعَضَّضَنِي الْفَقْرُ
لَا أَسْتَعِزُّ فَأَنْتَ لِي عِظَةٌ فِيمَا أَتَيْتَ، وَأَنْتَ لِي زَجْرٌ!!

بغداد، عام ١٩٤٨

يا ثمر العار

أَيَّ جَرَبٍ أَتَجَرَّبِي تَكْتَلِي تَحْزِي
كَإِبْرَةِ الْبَحَّارِ فِي عَاصِفَةِ تَذْبِي
وَكَالطُّيُورِ فِي السَّمَاءِ حُرَّةً تَقْلَبِي
أَيَّ جَرَبٍ أَوِيحُكَ مَا أَصْلَفَ وَجْهَكَ الْغَيْبِي

أَكُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعِينَ لِلْوَرَى بَكُوكِبِ
مَذْنِبٍ مِنْ فَضْلِ مَا أُعْطِيَتْهُ مِنْ ذَنْبِ
فَتَارَةً بِمَشْرِيقِ وَتَارَةً بِمَغْرِبِ
أَيَّ جَرَبٍ أَوِيحُكَ مَا يَوْمِ حُلَّةٍ تَجَلْبِي
أَيَّ جَرَبٍ أَوِيحُكَ مَا تَدْعِينَ عَفَّةً لَمْ تُوَهْبِي
إِذْ أَنْتَ لِلْفَجْرِ تَمْتَطِينَ شَرَّ مَرَكِبِ

أَيَّ جَرَبٍ أَوِيحُكَ مَا ((بَهْلَوَانَ)) الْمَلْعَبِ الْمُجَرَّبِ
يَا ضُحْكَةً جَادَ بِهَا الدَّهْرُ عَلَى مُكْتَبِ

يا فرجة لعدمين: فرجة عن كسب
يا حكة من جرب
يا ثمر العار ويا
يا ((هرة)) تريد أن
يا ((أمة)) مغلوبة
يا بومة خائفة
من سارق متهم
في دمي ملي ملتهد
جريمة التسيب
تحكي دهاء نعل
لأجذم مغلأب
من خائف مرتقب
وخائف مرتكب!

عام ١٩٤٨م

فلسطين والأندلس

ناشدتُ جنديكَ جنديَّ الشعبِ والحرسا
ناشدتُكَ اللهُ أن تسقي الدماءَ غدًا
تلمسِ الجُدْفَ الزاكي تجدُهنا
ناشدتُكَ اللهُ والظلماءُ مطبقةً
أن لا تعودَ فلسطينُ كأندلسا
عُرساً لجُدِّكَ في أرجائها عُرسا
من الشكَاةِ وتسمعُ للصدى نَفْساً^(١)
على فلسطين أن تُهدي لها قَبْساً

بغداد، تموز ١٩٤٨م

^(١) الجدْف: القبر.

فلسطين

فلسطين

(في معارك فلسطين)

٣٤١

ديوان الجواهري

دَلالاً في مَيادينِ الجِهَادِ
 ورَشفاً بالثغورِ من المَواضي
 وَعَباً من نَميرِ الخُلدِ يَجري
 وَتَوطِيناً على جَمَرِ المَنايا
 وإقْداماً وإن سَرَتِ السَّواري
 وبذلاً للنفيسِ من الضحايا
 وتِيهاً بالجِراحِ وبالضُّمادِ
 وأخذاً بالعِناقِ من الجِياذِ
 لِمُنزَفَةِ دماؤهم صَوادي
 وإخْلاذاً إلى حَرِّ الجِلاذِ^(١)
 بما يُشجِي، وإن غَدَتِ الغوادي
 فأنفَسُ منهم شَرَفُ البِلادِ

مُحاةِ الدارِ مَسَّ الدارَ ضُرٌّ
 أَرادْتُكُمْ لِتَكفُوهَا فُلُولا
 وِشاءِ تُكُمُ لِتَنهَطِوا عليها
 وطافَ عليكم حُلْمُ العَداري
 يَشوقُ الذائدينَ على المَنايا
 تَطَلَّعتِ العيونُ إلى خيولِ
 خَبْرَنَ رَحَى الوغى فعن اعتِسافِ
 ونادى بافتقادكمُ المُنادي
 مُغرِّزةً كأرتالِ الجِرادِ
 هُطولَ الغيثِ في سَنةِ جَمادِ
 مُروعةً كُجِلنَ مِنَ الشُّهادِ
 نداءً العاجزاتِ عَنِ الذِياذِ
 مُحجَّلةً مُنثَّرةً الهِوادِ^(٢)
 يَدُزْنَ مدارَها وَعَنِ اعتِماذِ

(١) الإخلاء: الإقامة. والجلاد: القتال.

(٢) الهوادي: جمع الهادي وهو العنق.

إذا الرجلانِ مَسَّها لُغُوبٌ
عليها كلُّ أَعْلَبَ أَرْقَمِيٍّ
زَوَتْ ما بينَ جَفْنَيْهِ هُمُومٌ
وَشَدَّتْ خافقيهِ فلن يرفقا
وكلُّ مُسَعَّرِ الجُمُرَاتِ يُكسَى
تَمَرَّسَ بالخُوفِ فلا يُيالي
شأتُ بهما اليدانِ عن ارتدادٍ^(١)
يَيسِ العَينِ، رَيانِ الفؤادِ
نَفَتْ عن عينه دَرَنَ الرُّقادِ^(٢)
إذا التقيا على الكُربِ الشُّدادِ
من الغَبراتِ ثوباً من رمادِ^(٣)
أحادثُ عنه أم عَدَتِ العوادي

ويا جُثّاً يَفُوحُ المجدُ منها
سَقَتِكَ الصائباتُ مِنَ التَّحايا
أعزُّ الناسِ في أعلى مماتِ
ويا مُتَقَرِّبينَ إلى المنايا
رأيتُ الجُودَ مَلهاةً يُجَازِي
وَمُتَّجِراً يَدُرُّ المجدَ رِبحاً
فَتَعَبَقُ في الجِبَالِ وفي الوهادِ
مُعْطَرَةً فما صَوَّبُ العِهادِ^(٤)
وَخَيْرُ الزرعِ في خيرِ الحِصادِ
يُشُقُّ عليهمُ وطءُ البِعادِ
بها اللاهي بِحَمْدِ مُستفادِ
لُكُلِ مُسَلِّفٍ بيضَ الأيادي

(١) اللغوب: التعب. شأى: سبق.

(٢) زوت: حجبت وباعدت.

(٣) مسعر الجمرات كناية عن تلهب نفوس الفرسان في الحرب كما تلهب الجمر وأن هؤلاء الفرسان

يكتسون غبرة الحرب كما تكتسي الجمر الرماد.

(٤) الصائبات: الممطرات. العهاد: المطر.

يُؤدِّي الناس ما وَهَبَتْ كِرَامٌ
ولكنْ نَمَّ للبلوى مَحْكٌ
هُنَالِكَ إِذْ يَشُقُّ عَلَى المَفْدَى
تَفِيضُ النَفْسُ لا تَدْرِي جِزَاءً
ولا يَخْتَالُ - صَاحِبُهَا أَزْدِهَاءُ
وتدفعُهُ المَحَافِلُ والنَّوَادِي
تَمَيَّزُ بِهِ البَخِيلُ مِنَ الجَوَادِ
فَكَأَنَّ إِسَارِهِ مِنْ كَفِّ فَادِي
- ولا تَبْغِي - إِلَى يَوْمِ المَعَادِ
بِما أُسْدَى - عَلَى هَامِ العِبَادِ

وَرُوحٍ مِنْ ((صَلاحِ الدِّينِ)) هَبَّتْ
تَسَاءَلُ هَلْ أَتَتْ دَوْلٌ ثَمَانِ
وما أَضْفَى الحَدِيثُ عَلَى قَدِيمِ
وما عِنْدَ الدُّهَاءِ مِنْ انْتِقَامِ
وهل ضَاقُوا وَهَمٌ كَثُرَ ذِرَاعاً
مَشَيْتُ بِطَبَّهَا عَجَلاً فَطَابَتْ
بلى كانوا وَمَنْ عَادُوا تَبِيعاً
وَمُعْتَدّاً وما تُجَدِي حَيَاةً
من الأَجْدَاثِ مُقَلَّقَةَ الوِسادِ
ضِخَامٌ ما أَتَاهُ عَلَى انْفِرَادِ
وما ألقى الطَّرِيفُ عَلَى تَلَادِ؟
ومَنْ أَخَذَ بِثَأْرِ مُسْتَقَادِ؟
بِداهيَةِ نَهَضَتْ بِها دَادٌ^(١)
عواقِبُها، وساروا بِاتِّتَادِ
وكنْتَ المَسْتَقِلَّ وَمِنْ أَعَادِي
إِذا خَلَّتِ النَفوسُ مِنْ اعْتِدادِ

حِماة الدَّارِ لَمْ تَتْرُكْ لَشِعْرِي
فِلَسْطِينَ سِوَى كَلِمِ مُعَادِ

(١) الدَّادُ: الدَّاهِيَةُ الدَّهِيَاءُ.

بَكَيْتُ مَصَابِيهَا يَفْعَاءُ وَوَأَفْتُ
 قَدَحْتُ لَهَا رَوِيًّا مِنْ زِنَادِي
 وَأَلْقَيْتُ الظَّلَالَ عَلَى الْقَوَافِي
 وَهَلْ عِنْدِي سِوَى قَلْبِ مَرِيرِ
 حِمَاةِ الدَّارِ إِنِّي لَا أُمَارِي
 وَلَيْسَ تَمَلُّقُ الْجُمْهُورِ مِنِّي

تَقَضَّتْ فَاتِنَا يَوْمَ التَّنَادِي
 وَثَلَّثَ صَائِحُ الْبَلَدِ الْمُدَادِ
 دِمَاءٌ فِي قَرَارَةٍ كُلِّ وَادِي
 تَرَاوَحُ بَانْتِقَاصِ وَأَزْدِيَادِ
 قَدَدْنَا مِنْ الصُّمِّ الصُّلَادِ
 كَلِيلِ السَّيْفِ لِمَاعِ النَّجَادِ^(١)
 وَيَدْعُرُ وَهُوَ يَزْفُلُ فِي الْحِدَادِ
 فَلَسَطِينًا إِلَى يَوْمِ اصْطِيَادِ

(١) صاداه: جاره وداراه.

(٢) ناداه: فاخره.

(٣) النجاد: حائل السيف.

وكانت دَلَوْتَهَازين مَدَوَا
وَ عَدَنَاهَا بِشَارٍ مَسْتَقَادٍ
بِتَصْرِيحٍ وَصَاحِبِهِ مَفَادٍ
وَمَوْتَمِرٍ تَعَجَّجَلٍ عَاقِدُوهُ
حِمَاةَ الدَارِ مَا النَّكْسَاتُ سِرٌّ
وَلَا لُغْزٌ يَمَارُ المَرءُ فِيهِ
وَلَكِنْ مِثْلَمَا وَضَحَتْ ذُكَاةٌ
فَمَا ذَهَبَتْ فِلَسْطِينُ بِسَحْرِ
وَلَا طَاخَ البِنَاءُ بِلَا انْحِرَافٍ
وَمَا كَانَتْ فِلَسْطِينُ لِتَبْقَى
وَسِئَتْ جِهَاتِهَا أَخَذَتْ بِجُوعٍ
شُعُوبٌ تُسْتَرَّقُ فَمَا يُبْقَى
تُسَاطُ بِهَا المَوَاهِبُ وَالمَزَايَا
وَتَطْلُعُ بَيْنَ آوْنِيَةٍ وَأُخْرَى

بِهَا وَاسْتَنْفَدُوا مِلءَ المَزَادِ^(١)
وَمَجْدٍ قَدْ أَضَعْنَا مُسْتَعَادٍ
وَتَصْرِيحٍ يَظَلُّ بِلَا مَفَادٍ
وَمَوْتَمِرٍ سَيُؤْذِنُ بِانْعِقَادٍ
وَلَا شَيْءٌ تَلْفَأُ فِي بِجَادٍ^(٢)
فَيَجْهَلُ مَا سُدَّاسٌ مِنْ أَحَادٍ
وَنَوَّرَ حَاضِرٌ مِنْهَا وَبَادِي^(٣)
وَلَا كُتِبَ الفَنَاءُ بِلَا مِدَادٍ
وَلَا بَنَتْ اليَهُودُ بِلَا عِمَادٍ
وَجِيرَتْهَا يُصَاحُ بِهَا بَدَادٍ
وَجَهْلٍ وَاحْتِقَارٍ وَاضْطِهَادٍ
عَلَى أَثَرٍ لَهَا ذُلُّ الصُّفَادِ^(٤)
وَتُحْتَجَزُ العُقَائِدُ وَالمِبَادِي
(بِحَجَّاجٍ) يُزَيِّفُ أَوْ ((زِيَادٍ))

(١) المَزَادَةُ: الرَاوِيَةُ (القَرْبَةُ).

(٢) البِجَادُ: نَوْعٌ مِنَ الأَكْسِيَةِ الَّتِي يَتَغَطَّى بِهَا.

(٣) ذُكَاةُ: الشَّمْسُ.

(٤) الصُّفَادُ: القَيْدُ.

فيذوي الخوف منها كل خاف
وئتهب البلاد ومن بنيتها
وتنطلق المطامع كاشرات
وتنطبق السجون مزجرات
ويصمي الجور منها كل بادي
يؤوب الناهبون إلى سناد
تهدد ما تلاقي بازدراد
على شبيه وظن واجتهاد

حماة الدار، ما ميدان حرب
فمثلكم من الأرواح جسم
وأخلاق تضيق بمغريات
تكاد تطيح بالعزمات لولا
رجولة صائمين ولو أرادوا
ومعركة يظل الحق فيها
وميدان وليس لنازليه
وكانت في الشطوح مزعزعات
فهاهي فرط ما جنت الجواني
لقد شبت عن الطوق المخازي
بأعنف من ميادين اعتقاد
تقاسي الموت من عنت الجهاد
شداد في خصوصيتها لداد
رجولة قادرين على العناد
لكانوا الطاعمين بأي زاد
يسالم أو يهادن أو يبادي
سوى الصبر المثلم من عتاد
خطوط يرتسمن من الفساد
إلى عمق تغور وامتداد
وكانت بنت عام في مهاد

حماة الدار، لولا سُم غاو
ولوغ في دم الخلل المصافي
أساغ شرايه فرط التهادي
فقل ما شئت في الجنب المعادي

وَلَبَّاسٌ عَلَى خَتَلٍ وَغَذْرٍ
وَحَبٌّ لَا يُرِيكَ مَتَى يُوَاتِي
تَطْلَعُ إِذْ تَطْلَعُ فِي رَحِيٍّ
وَلَوْلَا نَازِلُونَ عَلَى هَوَاهُ
نَسُوا - إِلَّا نَفُوسَهُمْ - وَهَامُوا
أَجْرَهُمْ عَلَى ذَهَبٍ، فَجَرُّوا
وَقَادُوا هَالَهُ كَبْشَ افْتِدَاءٍ
لَكُنْتُمْ طِبَّ عِلَّتِهَا، وَكَانَتْ

ثِيَابَ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْحِيَادِ
فَتَأْمَنَ شَرُّهُ وَمَتَى يُصَادِي^(١)
وَتَقَرَّعُ حِينَ تَقَرَّعُ فِي جَمَادِ
سُكَارَى فِي الْمَحَبَّةِ وَالْوُدَادِ!
غَرَاماً حَيْثُ هَامَ بِكُلِّ وَاذِ
فَلَسْطِيناً عَلَى سُوكِ الْقَتَادِ^(٢)
صَنِيعَ الْهَارِيِّنَ مِنَ التَّفَادِي
بِكُمْ تُحْدِي عَلَى يَدِ خَيْرِ حَادِي

حُمَاةَ الدَّارِ لَمْ تَزَلِ اللَّيَالِي
وَلَا تَنفَكُ دَاجِيَةٌ بِأُخْرَى
وَلَا تَأَلُو الضَّلَالَةَ وَهِيَ سَقَطُ
حَمَاةِ الدَّارِ كُلِّ مَسِيلِ ظُلْمِ
وَكُلِّ مُحْشَدٍ فإِلَى انْفِضَاضِ
فَصَبْرًا يَنْكَشِفُ لَيْلٌ عَمِيٍّ
وَتَتَضَحُّ النُّفُوسُ عَنِ الْخَبَايَا

يُطَوِّحُ رَائِحٌ مِنْهَا بَغَادِي
تَعْتَرُّ لَمْ يُنْزَهَا هَدْيِي هَادِي
تُكَابِرُ أُمَّهَا أُمَّ الرَّشَادِ
وَإِنْ طَالَ الْمَدَى فإِلَى نَفَادِ
وَكُلُّ مُفَرِّقٍ فإِلَى احْتِشَادِ
وَيَنْحَسِرُ الْبِيَاضُ عَنِ السَّوَادِ^(٣)
وَيُفْصِحُ مَنْ يَرِيدُ عَنِ الْمَرَادِ

^(١) الخب: المراوغ الخداع.

^(٢) أجر: مثل جر. وأجر ((الحبل)) أو ((الرسن)) أي أسحبه مثل سحبه.

^(٣) ليل عمي: يريد به شديد الظلام.

وتندفع الشعوب إلى محج
وتؤذن جذوة إلى انطفاء
ومهما كانت العقبي فلستم
مبين الرشيد موثق السداد
يؤول مألها أم لا تقاد
بمسؤولين عن غيب مراد

بغداد، عام ١٩٤٨

أطل مكثا

(إلى السجناء السياسيين في العراق)

٣٥١

ديوان الجواهري

نظمت صيف عام ١٩٤٨، وكان الشاعر يسكن بيتاً قريباً من بناية السجن المركزي في بغداد، مما كان يلزمه أن يمر على أفواج من المعتادين إلى السجن وهم مكبلون بالسلاسل وبأفواج من ذويهم وعوائلهم المتكدسين على باب بناية السجن لمواجهة أبتائهم وأقاربهم.

وكان الاستعمار وأذناؤه من حكام العهد البائد، وقد أذهلتهم وثبة كانون المجيدة، قد أشاعوا حكماً إرهابياً بوليسياً فظيماً، لسلب مكاسب الوثبة، مستخدمين الأحكام العرفية التي اعلنت بحجة حماية مؤخرة الجيوش العربية المحاربة في فلسطين، سلاحاً لإشاعة هذا الحكم.

عسى أن لا يطول بك الوقوف
وأن ينجاب عنك غبارُ بؤسٍ
أقيم كَتِفَيْكَ لا يُثْقَلُكَ ذُلٌّ
ولا يَقْلِبُ السَّرِيَّ هنا شقيُّ
تقدّم إن خلفك راسفاتِ
صُفوفاً للسُّجونِ بها تُعبأ
وأجنحةً وإن طويّت فيها

أطل مُكثاً فإنك عن قريبٍ
وطُف دَهراً فقد كرت دهورُ
ولم يَبْرَحْ بَحيثُ نزلت ضيفاً
هنا الرأي العنيدُ أقام سداً
ولا تَحْجَلُ فحيثُ وقفت ظلّت
ومن حيثُ احتجرت مسى طليقاً

سَتَنَقُصُ في الضّحايا أو تُضَيِّفُ^(١)
على الدُّنيا، وأحراراً تطوفُ
يُنِخُّ الرِّحْلَ حُرّاً مستضيفُ
عليه البغي والفكرُ الحضيفُ
إلى غاياتها تقفُ الألوْفُ
يَهْرُ الكونَ جِارَ عَصوفُ

(١) الرسيّف: المقيّد الذي يمشي بأغلاله ويرسف بها.

(٢) المكث: بضم الميم وفتحها.

وأولاء الذين لهم وجوه
وأجفان ترف على عيون
وأسمال لهم منها فراش
هم المتقحمون الدهر بأساً
فلا يخذل بمظهرك الأليف
مُجَبَّبٌ أو تُعَطَّفُ أو تُخَيَّفُ
تغورُ كما تغورَتِ الكهوفُ
يُلمُّ بها الثرى، وهَمُّ سُفوفُ
به من وقع أرجلهم وجيف^(١)
ولا يطمع برُفقتك ((العريف))

أطل مكثاً فسوف يزاح ليل
ومن هذي الكوى سيطل فجر
ولم تزل الدنى من ألف ألف
تمرغت الخدود مصعرات
وظل ابن ((المطاحن)) مشمخراً
يدور الفكر جباراً عنيداً
يقض مضاجع الباغين منه
وأنى عرسوا أسرى إليهم
وتستاق الجيوش مسخرات
تلقك منه والدنيا سُجوفُ
ضحوك يملأ الدنيا كسوفُ
يُصرف من أعتتها ((الرغيف))
به، واسترغمت منها الأنوفُ
عليه الهام من فزع عكوف^(٢)
بحيث يدور والقلم الرهيفُ
لكل منامة طيف يطوفُ
يطيل عذابهم وجهه مخيف^(٣)
ها من خوف زحفت زحوفُ

^(١) الوجيف: الاضطراب.

^(٢) ابن المطاحن: الرغيف.

^(٣) عرسوا: نزلوا (في آخر الليل).

وكم جَرَتِ الدَّمَاءُ، لها هَدِيرٌ
وكم أَلَوِي بِهَا هَذَا النَّحِيفُ
سَلِ التَّارِيخَ كَمْ زَخَرَتْ شُجُونُ
وكم غَادَى ربيعَ الفِكرِ فِيهِ
وكم ألقى على حَيِّ نَزِيلِ
وهل بِالرَّغْمِ مِنْ هَذَا وَهَذَا
وهل دَهْرٌ أَتَى لَمْ يَسْرِ فِيهِ
ولم تَسْحَبْ بِهِ الحَطَرَاتِ ذِيلاً
على حَبَاتِهِ، وبها نَزِيفُ
وهذا المَسْتِيدُ بِنَا العَنِيفُ^(١)
بَدَقْتَهُ وَكَمْ شُحِنَتْ حُتُوفُ؟
من النَّزَعَاتِ عَابِرَةً خَرِيفُ؟
غُبَارَ كِفَاجِهِ حَيٌّ خَلُوفُ؟
تَأَبَّتْ مِنْهُ - دَانِيَةً - قُطُوفُ؟
يَفِيءُ ظِلَالَهُ فِكْرٌ وَرِيفُ؟
لَهُ فِي مَسْمَعِ الدُّنْيَا حَفِيفُ؟

أَطْلُ مَكْنَأً إِلَى يَوْمِ تُوقِي
وَدَعِ رُسُغَيْهِمَا لِلْقَيْدِ نَهْباً
فَمِنْ تَارِيخِكَ الأَلِقِ المَدْمَى
وَمُلْكُ الدَّهْرِ أَنْتَ بِمَا تُوقِي
وَلَسْتُ مُحَيَّرًا فِي زَمهرِيرِ
بِهِ كَفَيْكَ، أَوْ تُلَوِي كُفُوفُ
لِنَابَيْهِ بِلِحْمِهِمَا صَرِيفُ^(٢)
تَبِينُ بِهَذِهِ النُّقْطِ الحُرُوفُ
مِنَ الأَلَمِ الذَّبِيحِ وَمَا تُعِيفُ^(٣)
تُشَتِّي، أَوْ بِجَاهِمَةٍ تَصِيفُ

^(١) هذا النحيف ((إشارة إلى)) الرغيف ((في البيت السابق:)) ((ولم تزل الدنى...))، وكل الأبيات

التالية تتعلق به أي بـ ((الرغيف))

^(٢) صريف: صوت.

^(٣) في اللسان: أعاف القوم أعافة عافت إيلهم الماء فلم تشرب.

ولا في أن يَمَسَّ ذَوِيكَ ضُرٌّ
ولا أيُّ المصايرِ يحتوِيهم
ولا أيُّ الجنينِ تُدِرُّ أمُّ
ولا أيُّ الأَكْفِ بهاتِهاوى
يحيقُ بهم، ومظلمةٌ تحيفُ
وأيُّ نوىٍ تعاوَرُهُم قذوفُ
رؤومٌ في مراضٍ عِها رَؤوفُ
ولا أيُّ السُّمومِ لها تديفُ

أطلُّ مكنأً فلم يبرحْ أنيقُ
يتيهُ بحيثُ تلتجِمُ الرزايا
مَشَى فتعجَبَ ((الطاووسُ)) منه
كأنَّ لم تَضوِ إخوتَهُ سِياطُ
بلى، وكانَ بُؤسَهُم تليداً
أطلُّ مكنأً إلى يومٍ تلاقى
أطلُّ مكنأً، وفاخرُ أنَّ خصماً
ونصَّبَ من جبينك فالليالي
عسى أن لا يطولَ بك الوقوفُ
رَشيقُ في تَأطِرِهِ ظريفُ
عليك، بحيثُ تلتجِمُ السُّقوفُ
فقد ألوى بِمَشِيَّتِهِ الرِّيفُ
ولم تتحدَّ أهلَهُم الصُّروفُ
له ولأهلِهِ جُحدُ طريفُ
عليك بساحةِ الألمِ الصُّفوفُ
عسوفاً خضمُهُ بغِي عسوفُ
تُحاولُ أن تُخوِّفَ مَنْ يُحيفُ
ومهما طالَ فالدنيا ظُروفُ

بغداد، عام ١٩٤٨

باريس

٣٥٧

ديوان الجواهري

عند أول زيارة لباريس، نظمت قطع عديدة منها في باريس وأكملت في بغداد.

تعاليتِ ((باريسُ)).. أمّ النضال
وأمّ الجبال.. وأمّ النغم
تَذَوَّبَ فوق الشِّفاهِ الألم
وسال الفؤادُ.. على كلِّ فم

تضيغ الحرارةُ بينَ الوصال
وبينَ التنائي وبينَ المسلال
كأتك شمسُك بينَ الجبال

تُغازلُ حين.. تلوح القمَمُ
وتبدو الغيومُ لها.. من أمم
فتخفي كما يتخفى النَّدَم

تعاليتِ ((باريسُ)).. كم تلعبينُ
وكم تُلهمينَ.. وتستلهمين
وكم تؤثرين.. وتستاثرين
تعاليتِ ((باريسُ)).. كم تشتهين

« الأمم: القرب.

تَصَيِّحُ مِنَ الْجُوعِ مِنْكَ الْعِيُونَ
وَتُطْوَى عَلَى الْحُبِّ جُمْصُ الْبُطُونَ
وَتَنْسَيْنَ مَا كَانَ أَوْ مَا يَكُونُ
بِمَا أَنْتَ فِي جُودِهِ مِنْ فُتُونِ
تَعَالَيْتِ ((بَاريسُ)) إِنَّ الْجُنُونَ
جُنُونَ الْعَوَاطِفِ مَا تَصْنَعِينَ

تَعَالَيْتِ ((بَاريسُ)).. إِنَّ السِّنِينَ
بِمَا تَعْلَمِينَ.. وَمَا تَجْهَلِينَ
وَمَا تَسْتَلْذِينَ إِذْ تَحْلُمِينَ
بَوَقْعِ الشَّكَاةِ.. وَرَجْعِ الْأَنِينِ
وَنَثْرِ الزُّهُورِ عَلَى الْفَاتِحِينَ
وِثْلِ الْعُرُوشِ.. وَضَرْبِ الْيَوْتِينَ^(١)
وَمَا سَنَّ ((روسو)).. و ((لامارتين))

أَنَاخْتُ طَوِيلًا عَلَى عَاتِقَيْكَ
وَأَلْقَيْتُ بِرِيقًا عَلَى نَاطِرَيْكَ

(١) الوتين: عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه.

وهذه دت الموج من ناهدك

تعاليت ((باريس)) في وجنتيك

يلوح جميلاً.. دم الثائرين

جلت منك ((باريس)) كف الدهور

فتوناً مضمخة بالعطور

ودنيا تفور.. بنار ونور

بما يتقى ويرجى تمور

صراع مريـر فوق الثغور

لنوح الأسى.. وابتغال الحبور

تكاد جراحاتك المتخنة

تصفق منها.. كؤوس المدام^(١)

ويبدو على حجر المدخنه

مواعيد حب.. وشكوى غرام

مخال نجاواك خلف الستور

لفرط الجوى.. قصة في سطور

ويوشك ما اخترنته.. الصـدور

يرف على.. ((لافتات المرور))

(١) تصفق! تمزج.

تَكَادُ الْأَحَاسِيْسُ فَوْقَ الْوَجْهِ
تُشِيْعُ الْهَوَى.. وَالرُّؤَى. وَالْمَنَى
وَتُوشِكُ مَكْبُوتَةً.. أَنْ تَفْوَهِ
مَجْلُ الَّذِي يَعْقِدُ.. الْأَلْسُنَا
كَأَنْ طُيُوفَ الْخَطَايَا.. تَتَوَه
مَدَى.. ثُمَّ تَحْتَضِرُنُ الْأَعْيُنَا
كَأَنَّكَ ((بَارِيْسُ)) كُلُّ الدُّنَى
بِكُلِّ ((الْغَمُوضِ)).. بِكُلِّ السَّنَا

عَلَى كُلِّ خَضِرٍ تَلَاقَتْ يَدَانُ
أَلَانَا مُتَّقَفَةً فَاسْتَلَانُ
وَكُلُّ فِيمِ حَشْوُهُ وَرَدْتَانُ
هَمَا الشَّفْتَانُ.. هَمَا الْجُمُرْتَانُ
أَرَاقَ الزَّمَانُ دَمَاءَ الشَّبَابِ

خفـاً فـيـهـما^(١) وهـمـا يـلـهـثـان

تَمَسَّحَ خَدُّ بَخْدٍ يَلُوبُ
مِنَ الْحُبِّ فِي وَجْتِيهِ نُذُوبُ
وَلَاخَ كَمَا لَاخَ فَوْقَ الشُّهوبِ
رَوَى شَفِيقٌ فِي الْوَجْوِ الشُّحُوبِ
كَأَنِّي رَأَيْتُ فَوَادًا يَنْذُوبُ

عَلَى مِثْلِهِ بِبَدْمٍ يَقْطُرُ
وَأَمْوَاجَ عَاطْفِيَّةٍ تَزْخُرُ
بِصَدْرَيْنِ كَالْبَحْرِ مُسْتَسْلَمَيْنِ
لِكَيْفَ تُرِيدُ رِيَاخُ؟ وَأَيْنَ؟

تَعَالَيْتَ ((بَارِيسُ)).. مِنْ فَاتِنُهُ
يُدْغِدْغُ فِيهَا النِّعِيمُ الْعَذَابُ
يُزِيحُ بِأَجْوَاهِهَا الدَّاكِنُهُ
شَفِيفُ السَّنَا.. مِزْقًا مِنْ سَحَابِ

تَعَالَيْتَ ((بَارِيسُ)) مِنْ مَا جَنَّهُ!!

^(١) في طبعة وزارة الإعلام العراقية (٣/ ٣٤١) وطبعة دمشق (٥/ ٢٥٣): ليرويهما وهما يلهثان.

وما في مجانتها ما يُعابُ
سوى أنها في.. كؤوسِ الشرابِ
وجمرِ الشفاه.. وبردِ الرُّضابِ
تري كاذبَ العُميرِ مثلَ الحَبابِ^(١)

يخادعُ آونةً.. آونةً
وينسَلُّ كالعُهرِ تحتَ الثيابِ

إلى الآنَ ((باريسُ)) في مسـمعي
صدي مَرِحٍ ((العابثاتِ)) الحسانُ
ولمـحُ العُيونِ لها الشرعُ
وزحفُ الصحفِ.. وعزفُ ((الكمـانِ))
ومقهـى تكـوّرَ كالبُعـبُعِ
تـماوَجُ جُدرانُهُ.. بالدُّخانِ

ومُعـتـرِكُ.. بيـذيءِ الشُّجارِ
تصارخُ.. ثمَّ انتهـى بالحوارِ
كما اسـاقتُ بالحصاةِ الثُّمارِ

^(١) الحباب: الفقايع.

وعاد ((الشجار)).. لنجوى سرار

وَقَرَّ دَمٌ فَارَ كَالْمَوْقِدِ
بِمَسْحِ الشَّفَاهِ.. وَعَصْرِ الْيَدِ
وَمَاتَ الَّذِي خِيَلَ.. لَمْ يُوَلِّدْ
وَعُودِرَ ((أَمْسِ)).. لِمَثْوَى غَدِ

وفاحت عطوؤُ.. من المضجِعِ
تَنَزَّى لَهَا قَفْصُ الْأَضْلَعِ
وَدَبَّ الضَّرَامُ.. عَلَى الْأَذْرَعِ

فَرَا حَتَّ تَشَابِكُ نَارًا بَتَا زُ
وَأَزَّ الْوَقِيدُ.. وَسَارَ الْقِطَارُ

سَجَا اللَّيْلُ ((بَارِيسُ)) سَجْوَ الْحَمَامِ
تَدَلَّى ((الْجَتَا حَانَ)) مِنْهُ فَنَامِ
وَلَا حَتَّ كُؤَى.. مِنْ خِلَالِ الظَّلَامِ
تَرِقُّ عَلَيْهَا.. ظِلَالُ الْغَرَامِ
رَقِيفَ الْعَوَاطِفِ.. فِي الْمُقَلَّتَيْنِ

و حَامِ رَهِيْبًا عَلَيْهَا الْغَدُ
خَلِيقًا بِإِنْجَازٍ.. مَا يُوعِدُ
فَمُدَّتْ.. إِلَى كُلِّ بَابٍ يَدُ

فَأَرَخْتُ سِتَارًا.. مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ
عِذَارِي مِنَ النُّورِ.. مُسْتَحْيِيَّاتِ

و رَاحَتِ.. حَنَائِيَا ضُلُوعِ تَمُوجِ
بِمَا لَمْ تَمُجْ فِي الرِّبِيْعِ الْمَرْجِ
وَضَمَّتْ شَتَاتَ النُّجُومِ.. ((الْبُرُوجِ))

فَكَلُّ ((طَوَالِ الْعَهَا)) أَسْعَدُ
عَلَى الْحَبِّ تَنْزِلُ.. وَلَا تَضْعَدُ
وَيَحْنُو عَلَى ((فَرْقِدِ)).. فَرْقَدُ
كَأَنَّ مَدَارَهُمَا مَعْبَدُ
يَنْجَا جِي بِأَحْلَامِهِمَا شُرْدُ
فَلَا ((الزَّاجِ)) مِنْهَا.. وَلَا الْمَرْصَدُ

وَتَمَّ بَصِيصٌ ضِيَاءٍ.. يَلُوحُ

ونفحةً عطيرٍ ذكيٍّ .. تفوح
وصدرٌ يجيءُ لصدرٍ يروح
وحاشيةٌ من غطاءِ السرير
وأصداءِ نجوى كسحبِ الحرير
ونهدانٍ قاما على الشاطئين
يُمَدَّانِ نحوَ غريقِ الغرام
يَدَيْنِ يُلِحَّانِ بالبرِّعَمين

تعاليتِ ((باريسُ)).. كلُّ الدُّروبِ
تفأيضُ مُفعمَةً بالقُبُلِ
تعلمتِ كيفَ يشقُّ الغَزَلِ
طريقَ الحياةِ إذا أظلمَا
من اليأسِ، والتاكِّ فاستجها

وكيفَ تُجِدُّ الشفاهُ الأملُ^(١)
إذا ما التوى بالمنى عُودهُ
وحلَّ من اليأسِ معقودهُ

(١) تجمد: تشحد، تقوي.

تَعَلَّمْتِ ((بَارِيسُ)) أَنَّ الضَّجْرَ
إِذَا لَمْ يُدْفَعْ.. بِلذِيذِ السَّمْرِ^(١)
وَلَحْنِ الكَوْوَسِ.. وَسَجْعِ الوَتْرِ

وَمَا لَمْ تَغْصَّ بِحُلُوِّ اللُّمَى
شِفَاهُ.. تَعَوَّدُ لِتَشْكَو الظَّمَا
وَمَا لَمْ يَجِدْ مِعْصَمٌ.. مِعْصَمَا
لَهُ فِي جِمَى مَسْتَبَاحٍ.. جِمَى
أَمَاتِ الضَّمِيرِ.. وَلَا ثَ الدَّمَا

وَدَبَّ دَيْبُ الرَّدَى.. فِي المَقْلِ
وَجَسَّرَ عَدَوَاهُ.. حَيْثُ انْتَقَلَ
تَعَلَّمْتِ ((بَارِيسُ)).. كَيْفَ المَلَلِ
إِذَا لَمْ تُقَطِّ بِكَفِّ رَفَلِ
عَلَى سُؤْمِهِ.. قَطْرَةٌ مِنْ عَسَلِ
لِتَقْتُلَهُ بِمِزَاجٍ.. قَتَلِ!

^(١) ذاف الشيء يديفه ويدوفه: خلطه.

تعلّمت ((باريسُ)).. كيفَ الفروض
تؤدّي. وكيفَ تُوفّي.. القروض
تعلّمت: كيفَ بوشمِ العضوض

على أذرعِ بضّةٍ يُستدلُّ
وكيف.. نُخصّيلةُ شعرٍ تُسَلُّ
إذا الشّعُرُ عِثَّ به فانسَدَل
بها عن ((سبائك)) تبرِ بَدَل
وأن (حسيساً) كلفٌ يُفل
لفرطِ الونى.. أولفرطِ الجَدَل

ووجداً تناهى لأوجِ الغموض
لأوجِ الوضوح.. لأوجِ الوجَل
فريض.. ودنيا سواه نفل

تعاليت ((باريسُ)) إنَّ الصباح
أطلَّ فألقى عليكِ الوشاح
وضمّك تحتَ خضيبِ الجناح
وأفلاكِ غافيةً فاستراح

على صدركِ العطرِ الناعمِ

وَأَنْفَاسِ بُرْعَمِكَ الْحَالِمِ

تَعَالَيْتِ ((بَارِيسُ)) مِنْ نَائِمِ

كَأَنَّ الدُّنَا كُلَّهَا نَائِمَةٌ

بِمُقَلَّتِهِ، وَبِهِ حَالِمُهُ

تَعَالَيْتِ ((بَارِيسُ)) هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟

عَلَى مَا لَدَيْكَ وَهَلْ مِنْ جَدِيدٍ؟

وَمَاذَا تَرَكْتِ لِهَذَا الْوَجُودِ؟

إِلَى الْمَوْتِ يَرْجِعُ أَوْ لِلْخُلُودِ

وَلِلْكَائِنَاتِ سِوَى أَنْ تُعِيدِ

نَمَاذِجَ مِنْ حُسْنِكَ الْمُسْتَفِيضِ

بِمَاذَا يَعْوِضُهَا الْمُسْتَعِيزُ؟

بِمَاذَا يَعْوِضُ هَذَا الْخُدُودُ

مَرْبَرَةَ كَغُصُونِ الْوُرُودِ

وَمَثْقَلَةً بِشِمَارِ النَّهْودِ

بِهَذَا الرُّوَاءِ.. بِهَذَا الْبَرِيقِ

يُفِيضُ عَلَيْهَا سُوَاطَ الْحَرِيقِ

كَأَنَّكَ تَعْرِفُ عُنْوَانَهَا
وَرَأْفَتَ مَنْ قَبْلُ إِنْسَانِهَا
وَأَصْبَحْتَ تَعْرِفُ مَاذَا يَقُولُ
كَأَنَّ عَوَاطِفَهُ وَالْمِيُولُ
خِيُولٌ أَبْيَحَ لَهَا أَنْ تَجُولُ
بِحَيْثُ تُشَاءُ، وَمَيِّدَاتُهَا
صَمِيمُ الْقُلُوبِ، وَصَفْوُ الْعُقُولِ

بغداد، عام ١٩٤٨

أنيّتا

أنيّ وُجِدْتُ ((أنيّت)) لآخ يهزني
ألق (الجبين)) أكاد أمسح سطحه!
ومُنَوَّر ((الشفّتين))، كادت فرجةٌ
وبحيثُ كنتُ تساقطت عن جانبي
نهب العيون يُثيرها ويزيغها
متوزّع الجنبات يرقُبُ قادمًا!
حسبي وحسبك شقوةٌ! وعبادةٌ!
طيبٌ لوجهك رائحُ القسماتِ
بفمي، وأنشِقَ عطره بشذاتي
ما بينَ بينَ تسدُّ من حسراتي
نظراتُ محترسين من نظراتي!
إطراق أشعث زائغ اللفتات
شِقُّ وآخِرُ مال للطرقات
أن ليس تفرغُ منك كأسُ! حياتي

بغداد، عام ١٩٤٨

٥٠) كان حباً عارماً لا يريد - ولا يقدر لو أراد - أن يقف عند حدّ!

كان كأنه يتفجّر عن ((ينبوع)) خفيّ شجاع.

كان سرّ الخفاء في هذا ينبوع.. رغباتٌ!.. وآلامٌ!.. ومطامح!.. ظلّت طوال ثلاثين عاماً هي

عصارة العمر الزاحف! يسحق بعضها بعضاً!..

حتّى لو وجد هذا ينبوع المختنق منفذاً بديلاً عنه لما اختلف الأمر بكثير!

لقد كان هذا الحب من (الفورة!) و (السورة!..) بدرجة أن صاحبه كان لا يرى في ملامح المرأة

التي أحب إلا ما يراه العازف المتجرد في أنغام قيثارته من أنها طريق للتعبير! وشعار للانطلاق..

على هذا الضوء تلتقط الصورة.. الصادقة لقصيدة.. أنيّا! (د. فلاح)

شهرزاد

۳۷۳

ديوان الجواهري

شهرزاد من أجمل ((المراقص)) الفنية في باريس. إنه يمت بخياله الفني الرائع، وبجوه السحري الفاتن وبهندسة الألوان الحاملة فيه، إلى الخيال الشرقي المستوحى من ((ليالي شهرزاد)) المعروفة بـ ((ألف ليلة وليلة)). وقد عالج الشاعر هذه القصيدة في أثناء وجوده في ((باريس)) عام ١٩٤٨م.

إنَّ وجةَ الدُّجى ((أنتِنا)) تجلّى
عن صباحٍ من مُقلَّتَيْكَ أَطْلًا
وكانَ النجومَ ألقَيْنَ ظِلًّا

في غديرٍ مُرقَرِقٍ ضَحَضَاحِ
بينَ عَيْنَيْكَ مُهْبَةً لِلرِّيحِ
وغياضُ المَروجِ أَهدَتِكَ طَلًّا

إنَّ هذا الطيرَ البليـلَ الجناحِ
المُدَوِّيِّ على مُتُونِ الرِّيحِ
والذي أزعجَ الدُّجى بِصَباحِ
عَبَّ في الليلِ من ((ثُغورِ)) الأَقاحِ
رشفةً مَجَّ عِطْرَها وتوَلَّى
حيثُ هذا الرأسُ الجميلُ تدلَّى
والفِراشُ الذي بهِ يَتَمَلَّى

وبحيثُ ارتدَّتْ هَبَاءً نَثِيرًا
تملأُ النفسَ والفضاءَ عبِيرًا

خِصَلاتٌ مِن شَعْرِكَ الذَّهَبِيِّ
كنتِ فيهِ الثريِّ أَيِّ ثريِّ

إسمعي، إسمعي ((أنتا)) فهنا
وهنا، صادِحٌ صَبا فتغنى
والطريقُ المهجورُ عادَ فرنا
من جديدٍ ببعثه يتهنى

فلقد دبَّت الحياةُ إليه
وتمشى المعادونَ عليه

إسمعي وقعَ رائحينَ وغادي
وتملئني من الوجودِ المعادِ
والقطارَ المجلجلَ المتهادي
في سفوحٍ منسابةٍ وهادِ

إسمعي، إسمعي ((أنتا)) صداهُ

تجدي عن صدى الزمانِ بديلا
وترين الدنيا مُجدُّ رحىلا
بالأماني غُدوةً وأصيلا

إنَّ وجهَ الدُجى ((أنتا)) يُلحُّ

والليالي في ((شهرزاد)) تصيحُ

ههنا، ههنا يطيبُ الصُّبوحُ

حُلْمٌ رائِعٌ وطيفٌ لذيذٌ

بهما اليومُ مِن غِدٍ يستعيدُ

والليالي مِن الليالي تلوذُ

فطريدٌ مؤمِّلٌ، وأخيدٌ

حُلْمٌ رائِعٌ كأنَّ الحَيالا

حينَ ضاقتَ به الحياءُ مجالا

مَلَّ أسفارهُ فحطَّ الرِّحالا

ههنا، فهو عن سِوَاهُ صَدُوفُ

وهو في أعينِ السُّقاةِ يَطُوفُ

لجناحيه في الكؤوسِ رفيفُ

ورنينُ الأوتارِ منها حفيفُ

حُلْمٌ رائِعٌ، وجوٌّ لطيفُ

والندامى على الكؤوسِ عكوفُ

والأباريقُ نالَ منها التزيفُ

غيرَ أنَّا - ورُبَّ صفوٍ يُخيفُ -

مَلَكَ الدُّعْرُ نَفْسَنَا والفؤادا

ونسينا حتى المنى والمرادا
وأبْحنا للعاطفات القيادا
أترى أن هـذه ((الشهرزادا))
ذكرتنا أحلامها ((بغدادا))؟

يا حبيبي! وهذه الأطفافُ
عن قريبٍ بيقظةٍ ستُذافُ
وإلى مثلها انقضت، ستُضافُ
يا حبيبي! وهذه الأعطافُ

تثنى على الكؤوسِ دلالا
كلُّ عطف، لولا الحياءُ لسالا
سوفَ تنهدُّ بعدَ حينٍ كلالا
حينَ تستأمها الحياةُ النضالا
حينَ تلقى ما لا تُطبقُ احتيالا

يا حبيبي: وهذه النظراتُ
في مُذابِ الفتورِ منكسراتُ
والوجوهُ الحيَّةُ الحفراتُ

والنَّفوسُ الفِياضَةُ الخِيارَاتُ

والشِّفاهُ النَّدِيَّةُ العَطِرَاتُ

والشُّعورُ المُسترسِلاتُ انسابا

وجفونٌ تَسْتثِقِلُ الأهدابا

والأكُفُّ التي تَذوبُ انجذابا

كُلُّ خَصِرٍ بِكُلِّ كَفٍّ يُكْفُ

وَشِفاهُ عَلى شِفاهِ تَـرِفُ

وَقَلوبٌ مَن صَفوها تُسْتَشَفُّ

كُلُّ هَذا، وَكُلُّ ما غَيرُ هَذا

عَن قَليلٍ سَيَسْتَطِيرُ رَذاذا

فأفريقي فقد تناهى المطافُ

واستردَّتْ هِباتِها الأَطَافُ

هاهُمُ العازِفونَ حَولَكَ طافُوا

يَسْتَعِيدُونَ مِـنْ صَدى الأَجيالِ

وَحَفيفِ الأَحراشِ والأَدغالِ

ما يَحِـالُونَ أَنَّ في مُقلتِـيـكَ

وارتجاجِ المِـيـولِ في وَجنتِـيـكَ

ونشير الجديل عن جانبيك
صلة بينه وبين الخيال

لست أدري ((أنيث)) كيف استحالاً
وجهك المستظل بالأضواء
خافيات كعاطفات المرائي
نغماً سارياً مع الأنغام

يا حبيبي! وللنديم هموم
يقعد ((الكأس)) ثقلها.. ويقيم
يا حبيبي! و((ليت..))، شيء عقيم
ليت أن الحياة ظل مغيم
هكذا:

ليت أن عيشاً يـدوم
مثل هذا،

ليت ((الشقاء)) سراب
يرتعي المرء ظلّه ويهاب
من بعيد،

ليت ((النعيم)) شراب

كلما ألهب السراب النفوسا
هَلَّتْ مِنْهُ، تستزيد، الكؤوسا
ليت ((دمع)) الفجر الحزين الباكي
لفراق الدجى، بعين الورود
وبذوب الندى، يعود فیرقا
ليت أن ((الظلام)) يرتق فتقا

شقَّ الصبح في ((الربى)) والسكاك

ليت أن ((الدجى)) يعود فيسقى

من كؤوس الندمان والأقداح

ليت هذا الظل الخفوق الجناح

يرتمي فوقها من المصباح

مُشعراً بانصرام حبل تبقي

من حبال الدجى يعود فيرقى

يا حبيبي راح ((الظلام)) يُداح

والأباريق ظلها ينزاح

عن مُغدِّ في سيره، وطلح

ومُباح لحكمها، ومُبيح

و ((ظِلَالٌ)) من الدم المسفوح!

بيد ((الصُّبْح)) في الفضاء الجريح!

راعشاتٌ على الثرى، والحقولِ

وعلى الجدولِ الرتيبِ المسيلِ

في مُرِيحٍ أهدى الصَّبَاحُ إليه

قُبْلَةً تَخْلَعُ الدَّلَالَ عَلَيْهِ

وتهادى النَّسِيمُ بين يديه

مُتَعَبًا، نَاعِسًا، بليلاً، كسولاً!

لم يَجِدْ مثله الصَّبَاحُ رسولاً

للقاء السَّنابلِ المُغْفِيَاتِ

في دثارِ ضافٍ من الذُّكْرِيَاتِ؟

ولإيقاظِ تَلَكُّمٍ ((المُغْرِيَاتِ))!

من صبايا الحقولِ، والفتيات!

سالكاً ذلك السَّبِيلَ الجميلاً

في ثنايا الثَّيابِ والطِّيَّاتِ!!

و ((ظِلَالٌ)) من الغُيومِ الرَّقَاقِ

فوق خُضْرِ الرُّبَى، وبين السَّوَاقي

تتلاقى بموعِدٍ للتلاقي!

بظلالٍ كَأَهْنٍ خِيوطُ
يَتَشَابِكْنَ جَيْئَةً، وَذَهَابَا
مِنْ طَيُورٍ تَجَمَّعَتْ أَشْرَابَا
يَتَغَازِلْنَ وَالصَّابَا، وَالصَّابَا
تَحْدَى قِنَاعَهُ وَتُحِيطُ

يا حبيبي ورغبتني ودليلي!
إنَّ لَوْنَ الظَّلامِ حَالٌ فَحُولِي!
والدَّراري بعدَ الصِّراعِ الطويلِ

وسنا الفجرِ ينحدِرُنَ فُلُولا
وبناتُ النِّعشِ المُقِلُّ القَتِيلَا
يَتَذَوِّبْنَ حَسْرَةً وَغُويلا
وَيُجَرِّزْنَ مِنْ حِدَادِ ذِيولا
مُسَبَّلَاتٍ عَلَى المَجَرِّ الذَّلِيلِ

يا حبيبي! مالَ الزمانُ فميلي
وَأَمِيلِي بِمَوْضِعِ التَّقْيِيلِ!

يا حبيبي: لم يبق لي من مآبٍ
من لباناتِ هذه الأطيابِ
و ((الظلام)) المزعزعِ الأطنابِ
ومُجاجاتِ عطْرِه المنسابِ
غيرُ هذا ((الليلِ!)) الفسيحِ الرّحابِ
بين جفنيكِ حارَ والأهدابِ

إني وعينيّكِ والخيالِ الشُّرودِ
إني وهذا الغورِ السحيقِ البعيدِ
بين موقئِكِ يسبقُ الأبعادا
إني و ((صحراء)) صحصح.. تتنادى
عندَها من ((عوالم)) أصدا
إني ولمح..! من السنّاتِ هادي
فتسيرُ الأطيافُ والأهواءُ

خلفه،

إي وصامتِ كالجليدِ
ومدوّ كقاصفاتِ الرُّعودِ

منهما،

إي وذلك ((الإنسان))!
هائبا بالملك، والشيطان:
لامتداد الفضا، وعنف الدياجي
وخضيم من بحره العجاج
دون هذا الطرف الكحيل الساجي

روعة وانيساطة واقتدارا
إي، وعينيك حلفة لا تُمارى

بغداد، عام ١٩٤٨

✕

ذكريات

(أنيثا-القطيعة)

٣٨٧

ديوان الجواهري

هذه القطعة الثانية من قصيدة ((أبيتا)) نُظمت في فترة القطيعة، وهي استعراض وتذكر للفترة السابقة، وتعداد لمظاهر تلك الذكريات.

لا تَمْرِي ((أَنْيْتُ)) طَيْفًا بِيَالِي
مَا لِطَيْفٍ يَسُمُّ لِحْمِي وَمَالِي؟

أَنَا عِنْدِي مِنْ مُوَحِّشَاتِ الْحَيَالِ
الطَّيُوفُ الْمُعْرَّسَاتُ حِيَالِي
كَذَنَابٍ مَسْعُورَةٍ وَسَعَالِي
بَلْ تَعَالِي إِلَى يَدَيَّ، تَعَالِي
فَهُمَا الْآنَ يَحْضُرَانِ الْفِرَاشَا
خَالِيًا مِنْكَ يَسْتَفِيضُ ارْتِعَاشَا

هَهْنَا، هَهْنَا، مَكَانُكَ أَمْسٍ
هَهْنَا، مَسَّ أَمْسٍ رَأْسُكَ رَأْسِي
هَهْنَا أَمْسٍ، أَمْسٍ، ذُوبْتُ نَفْسِي

فِي يَبِيسٍ مِنَ الشَّفَاهِ الطَّوَامِي
تَتَسَاقَى مِنَ الْقُلُوبِ الدَّوَامِي

أَمْسٍ كُنَّا هُنَا هُنَا نَتَسَاقَى
مِنْ كُؤُوسِ الْهَوَى دِهَاقًا وَفَاقَا

أمس كَنَّا رُوحاً بِرُوحِ تَلَاقِي
وَيَدَا تَحْتَوِي يَدَا، وَفُؤَادَا:
لَأَخِيهِ يَبِيتُ نَجْوَى، وَعَيْنَا:
تَرْتَعِي أُخْتَهَا، فَكَيْفَ وَأَيْنَا؟

عَادَ مَا كَانَ أَمْسٍ مِّنَّا طَبَاقَا
وَحَشَّةً وَارْتِعَاشَةً وَفِرَاقَا

أَمْسٍ، أَمْسٍ، التَّقْتِ هُنَا شَفْتَانِ
كَانَتَا مِنْ عَجِيبِ صُنْعِ الزَّمَانِ
ذَوَّبَ الدَّهْرُ مِنْ مَزِيجِ الْأَمَانِ
فِيهِمَا، كَلَّ مَوْحِشٍ وَلَطِيفِ
وَبَلِيدِ وَحَائِرٍ وَعَصُوفِ

أَمْسٍ، أَمْسٍ، التَّقْتِ هُنَا شَفْتَانِ
يَسْتَطِيرَانِ ((وَقَدَّةً)) وَأَوَارَا
وَيَسِيلَانِ فِي الْمَرَاشِفِ نَارَا
وَيُثِيرَانِ مِنْ شَكَاةِ الزَّمَانِ
فِي هُفَاتِ الْأَنْفَاسِ مِثْلَ الدِّخَانِ

وكانَ العيونَ بُلهاً، سكارى
من عِثارِ اللُّهاثِ تُكسى غُبارا

أمس، راحتُ على الشفاهِ تدور
قُبُلاتٌ من قبلُ كانت أسارى
في شِغافِ الفؤادِ، حَيرى، تمورُ
وزوانٍ! كأنهنَّ العذارى

أمس، رُدَّتْ إماؤها أحراراً
وأماطتُ عن ((الضمير!)) السُّتاراً

فبدا ذلك ((الحِمارُ!!)) الصغيرُ
مثقلاً، فوقه الخنا، والفجورُ!
ياكُلُ الشهوةَ الفظيعةَ.. ناراً
ويُعَدُّ الصبرَ القبيحَ فخاراً

ثُمَّ يَطغى سَعيرُها ويشورُ
فوقَ وجهِ يَضوي، وعينِ تغورُ
ثُمَّ يُلوي بِثِقْلِهِ.. ويخورُ

أمس ((نبع)) بين الشفاهِ طهورُ

غَسَلَ الْحِقْدَ، وَالخَنَا، وَالْعَارَا
وَنَهَى (الرَّجَسَ) أَنْ يَكُونَ شَعَارَا
أَمَسِ، رَاحَتِ عَلَى الشُّفَاهِ تَدْوُرُ
هَمَسَاتٌ تُصْغِي لَهْنَ الدُّهُورُ

وبذيل ((المجرِّ)) منها عبيراً!

ههنا أمس، كَانَ خَيْطٌ يَرْقُ
مَنْ نَسِجِ الدُّجَى، وَفَجَرَ يُشُقُّ
دَرْبَهُ، وَالنَّجُومُ شِقُّ وَشِقُّ
ههنا أمس، كَانَ جَرَسٌ يَدُقُّ

ضَرْبَاتٍ ((سِتًّا)) يَبْرُنُ صَدَاهَا
وَتُفِيقُ الدُّنْيَا عَلَى نَجْوَاهَا

أَمَسِ مَدَّ الصَّبَاحِ كَفًّا فَحَلَا
مَنْ نَجُومِ السَّمَاءِ عِقْدًا تَحَلَّى
بَسْنَاهُ الدُّجَى، وَفَرَّقَ شَمَلَا
أَمَسِ، إِلَّا نَجْمًا دَنَا فَتَدَلَّى
يُرْغِمُ الشَّمْسَ أَنْ تَرَى مِنْهُ ظِلًّا

أمس، هذا النجمُ الغريبُ أطلأ
من على شُرفةٍ نُطِلُّ عليها
ونُزَّجِّي همسَ الشفاهِ إليها

أمس، هذا النجمُ المنورُ كانا
يرتبي من ذرى السماء مكانا
أمس، والآن لا يزال عيانا
وسيرتدُّ بكرةً وعشيًا
ماثلا ظلُّه الخفوقُ لديا
يملاً النفسَ لوعةً وحنانا

كان في ظلِّ غيمةٍ تتهرى
ترتديه ظورا، وطورا تعرى
ومشى ((سانح)) إليه، ومرأ
((بارح)) جنبه، وكان جناح
يلتقي جنبَ أخيرٍ ينزاح:
عنه؛ في حين راح يبغى ممرا
بين هذا وذاك حتى استقرأ

أفتدريين أين؟ تدريين أيننا!!

فلقد كنتِ تملئين العين العينا

من جمال ((الشُّجيرة)) الورفاء

تترأى كقُبَّة خضراء

عن يمين الحديقة الغناء

برهة! ثمَّ راح يمشي الهويننا

والهويننا! حتى اضمحلَّ فغابا

وانطوى ثمَّ عادَ أمسِ فأبا

وتمشَّى فُويقَ، ثمَّ دُويننا!

ورآنا - ولا نؤوبُ - انطويننا

ورأى غيرنا يُجدُّ مكاننا

كان في أمسِ مرْتعاً لهواننا

هكذا، هكذا، أردنا فكاننا

فلنحلَّ القضا! ونُغفِ الزماننا

بغداد، عام ١٩٤٩

فراق

(أيننا - التلاقي)

٣٩٥

ديوان الجواهري

رَفًّا جُنْحُ الدُّجَى ((أَيْتُ)) عَلَيَا
رَفَّةً خِلْتُ وَقَعَهَا فِي عِظَامِي
كَانَ أَحْنَى، وَكَانَ أَشْهَى إِلَيَا
لَوْ طَوَانِي عَنْهُ جَنَاحُ الْحِمَامِ
لَوْ تَعَوَّضْتُ نَمَّ عَنْ مُقَلَّتِيَا
مُقَلَّتِي هَانِيءٌ تَعَرَّى فَنَامَا
وَتَنَاسَى اللَّذَاتِ وَالْآلَامَا

خِلْتُ أَنِي مِنْهُ أَنْبَازُ ذُبَابَا
رَجَفْتُ بِالْعُوءِ مِنْهُ الْقِفَارُ
خِلْتُ أَنَّ النُّجُومَ تَنْقُضُ رُعبَا
وَسَمَاءٌ تُقْلَهُهَا تَنْهَارُ
وَالْأَحَاسِيْسُ شَبَّ مِنْهَا أَوَارُ
لَفَّ عَيْنِي وَهَجُّهُ فَاسْتَطَارَا
ضَرَمَا يُمِطُّرُ الْفُؤَادَ شَرَارَا

يَا هَنَائِي وَشَقُوتِي: يَا نَعِيمِي

وجحيمي: يا كوثري وحيمي
يا وقائي من وافدات الهوموم
جنيني رتع الظلام البهيم
في عظامي، بالشعر منك البسيم
وأديلي من حكم هذا الظلوم
بصراط من لطفك المستقيم

يارقادي إذا استطال سُهادي
وسُهادي إذا ذممت رُقادي
يا صمياً أضعته من فؤادي

ثم ألفت في يدك الصميا
لا تهبي علي إلا نسما
ينفخ اللطف والهوى والشبابا
يا يد الله رحمة وعذابا
افتحي لي من الهناء بابا
سامحي سامحي، فإن الليالي
التوالي منهن مثل الخوالي
ناقلات ساعاتها كالظلال

لِسِوَانَا، وَنَحْنُ عَمَّا قَرِيبٍ
نُتْرَأَى مِثْلَ الْخَيْالِ الْمُرِيبِ

سَامِحِي! إِنَّ رَوْعَةً وَشَبَابًا
وَجُلُودًا مَجْلُوءَةً وَإِهَابًا
سَوْفَ تَغْدُو إِذَا أَطَارَ الْغُرَابَا
مِنْكَ هَذَا (الْثَلْجُ!) النَّدِيفُ سَرَابَا

وَسَيَبْقَى عَلَى الزَّمَانِ نَدِيًّا
وَعَلَى لَافِحِ الْمَجِيرِ عَصِيًّا
خَافِقٌ لَا تَرَيْنَهُ الْيَوْمَ شَيًّا

بغداد، عام ١٩٤٩

وداع

(انيتا الرحيل)

٤٠١

ديوان الجواهري

((أنيثُ)) نزلنا بوادي السَّبَاغِ
بوادٍ يُذِيبُ حَدِيدَ الصَّرَاعِ
يُعِيرُ فِيهِ الْجَبَانَ الشُّجَاعِ
((أنيثُ)) لقد حانَ يومُ الوداعِ

إِلَيَّ إِلَيَّ حَبِيبِي ((أنيثُ))
إِلَيَّ إِلَيَّ بِجِيدٍ وَلِيَّتِ
كَأَنَّ عُرُوقَهُمَا النَّافِرَاتِ
خُطُوطٌ مِنَ الْكَلِمِ السَّاحِرَاتِ

إِلَيَّ بِذَاكَ الْجَبِينِ الصَّلِيَّتِ
تَخَافَقَ عَنْ جَانِبِيهِ الشَّعْرُ
يُبْثُّ إِلَيَّ أريجَ الزَّهْرِ

سَيَعْبُقُ فِي خَاطِرِي مَا حَيَّيْتُ
وَيُذَكِّرُنِي صَبُوتِي لَو نَسِيتِ
إِلَيَّ إِلَيَّ حَبِيبِي ((أنيثُ))

إِلَيَّ إِلَيَّ بِذَاكَ الـذُّرَاعِ

أَبْصُرْ تَفَايُضَ مِنْهُ الشُّعَاعِ
أَطْلِي عَلَيَّ بِهِ كَالشُّرَاعِ

فَقَدْ لَفَحْتَنِي سَمُومُ الْعِرَاقِ
فَأَلْهَبَنِي مِنِّْي جُورَ الْفِرَاقِ
إِلَيَّ إِلَيَّ بِبُحْبُوحِ الْعِرَاقِ

لِغَيْرِ الْعِرَاقِ الَّذِي تَعْرِفِينَ
بِحَيْثُ يُلْزَمُ الْوَتِينَ الْوَتِينَ
عَشِيَّةَ أَهْتِفْ أَوْ تَهْتِفِينَ

لِنَجْمِ الْقَضَا، وَلَسَهْمِ الْقَدْرِ
وَالْمُسْتَقَرِّ بِذَلِكَ الْمَقَرِّ!!!

بِأَنْ لَا يُمِيلَ هَذَا السَّفِينُ
إِلَى حَيْثُ أَرَهَبُ، أَوْ تَرَهَّبِينَ
إِلَى وَحَلٍ مِنْ دُمُوعِ وَطِينِ

إِلَيَّ بِبُحْبُوحِ ذَاكَ الْخِضَمِّ
مِنْ الْعَاطِفَاتِ الْعُجَابِ الشِّيمِ
مِنْ الْعَاصِفَاتِ بِلَحْمِ ((وَدَمِّ))

تُلَوْنُ وَجْهَكَ فِي كُلِّ آنٍ
بِمَا لَمْ تُكَلِّمْ فُصُولَ الزَّمَانِ
أَحَاسِيسُ تُعْرِبُ عَنْ كُلِّ شَانِ

كَأَنَّ وُجُوهًا عَدَادًا لَدَيْكَ
تَرِفُ ظِلَالًا عَلَى مُقَلَّتَيْكَ
كَأَنَّكَ تُلَقِّينَ عَنْ عَاتِقَيْكَ
بِتِلْكَ الظَّلَالِ الْقَبَاحِ، اللَّطَافِ
وَأَشْبَاحِهنَّ السَّمَانِ الْعِجَافِ
عِنَاءَ الضَّمِيرِ، وَثِقَلِ السِّنِينَ
وَجَهْلِ الْمَصِيرِ، وَعِلْمِ الْيَقِينِ:
بُطْفِ الْحَيَاةِ وَجُهْدِ الظَّنِينِ:
بِسَاعَاتِهَا أَنْ يَرْوَحَ الْحِمَامُ
إِلَى الصَّمْتِ، يَدْفَعُهَا وَالظَّلَامُ

إِلَى إِلَيَّ حَبِيبِي ((أَنْبِيَتْ))
إِلَى بِنْبَعِ الْحَيَاةِ الْمُمِيتِ
إِلَى بِذَلِكَ النِّظْمِ الشَّتِيتِ

بشغركِ ذاك العبوسِ الطروبِ
يَرفُ إذا ما علاهُ الشُّحوبِ
كأنِّي أقرأ ((سِفر)) الغُيوبِ

على شفَتَيْكَ، و((سِرِّ)) الخفايا

كأنِّي أسمعُ عتبَ الذَّنوبِ

عليك، ووقعَ ديبِ الرزايا

كأنِّي أشربُ كأسَ الخطايا

وسؤَرَ دمٍ مُهدِرٍ مِن سوايا

كأنِّي أمضغُ لحمَ الضحايا

تئاترُ مِن بينِ تلكِ الثنايا

كأنَّ الزفيرَ بنفحِ الطُّيوبِ

إذا امتزجا يكشِفانِ النوايا

ويستصِرِّخانِ أثمياً يتوبُ:

على ما تجرَّمهُ مِن مَنايا

إلَيَّ هَوَانِي، إلَيَّ هَوَايَا

إلَيَّ الْمُنَى تُشْتَرَى بِالْمَنَايَا!

إلَيَّ إلَيَّ بتلكِ البقايا

مِنَ الْمُسَارَاتِ بِتِلْكَ الْجُيُوبِ
إِلَى بَصْرِ النِّعَمِ الْمَشُوبِ
بَلْفَحِ أَوَارِ الْجَحِيمِ الشُّبُوبِ
إِلَى إِلَى أَغْيَاسِي ظَمَائِيَا
فَقَدْ نَالَ مِنْ شَفْتِي اللَّغُوبِ

بغداد، عام ١٩٤٩

برم بالشباب

برمتُ برِيعانِ هذا الشابِ
وجاء خِضَمَّ الحياةِ الرهيبِ
برمتُ فليتَ الردى عاصفُ
أموتُ وجهدُ الحياةِ اللذيدُ
تُهدِهُدُ رُوحِي أمساؤه
أموتُ وبي ظمأ للشَّجا
فمالي وللعيشِ لا تُستثارُ
ومالي وللـموتِ إن لم تُرِفَّ

تخارَسَ في الفجرِ صدأحُه
وكفَّ عن الجدفِ ملاحُه
بهذا الشابِ فيجتأحُه
تطوفُ بعينيَّ أشباحُه
وتُنَعِشُ نفسيَّ أصباحُه
تُهَبُّ فتعصِفُ أرياحُه
بنارِ التحرقِ أطماحُه
عليَّ من الحُزنِ أفراحُه

سيُطربُنِي وَقَعُ زحفِ السنينِ
وتفتَحُ عينيَّ سُودُ الـدياجي يُنورُ منها بريقُ الألمِ
ستُلهِبُنِي عاصفاتُ الرِّياحِ
فقد ملَّ سمعي بريقُ النَّسمِ
أرى الموتَ نبعَ الحياةِ الجميلِ
إذا خَضَّبتَه الليالي بدمِ
وعن وهجِ الكأسِ كأسِ الوجودِ
تُترجمُ عيناي سرَّ العدمِ

أَلدُّ عِناقِ ظِلالِ الحِياةِ تخالطُ فيها سرورٌ بهمّ!
ولا أعرِفُ النومَ حتى ترفاً على جانبيه نُسورُ الخُلُمِ
يُصافقُ منها الجناحُ الجناحَ وتوشِكُ من زحمةٍ ترتطمُ
ولم أدر ما يقظةٌ لا تُثارُ عواصفُها برهيبِ النغمِ!؟

بغداد، عام ١٩٤٩

« كتبت إلى الشاعر إحدى فتيات بغداد كتاباً تبثه فيه آلامها وهي في ريعان شبابها، وتعدد له مظاهر القساوة والجمود والقيود التي تحيطها، وتستثير فيه الشاعرية لتصوير جزعها من مثل هذا الشباب.

هاشم الوتري

٤١١

ديوان الجواهري

ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقيم للدكتور (هاشم الوتري) عميد الكلية الطبية بجامعة بغداد، واستغل الشاعر دعوته إلى هذا الحفل ليعبر عن غضبه على الوضع والنظام القائم، وروى الشاعر ظروف القصيدة وملابسات إلقائها لمجلة المثقف العربي التي نشرتها في عددها الثاني لشهر حزيران عام ١٩٧١ قائلاً: كان الجو السياسي محتدماً، وكنت أشعر أن الواجب يقضي بأن أحدد موقفي. كان كل شيء يدفع إلى الحدية: الجو السياسي، المناسبة، شخص (نوري السعيد)، شخص (الجواهري)، كنت موطناً نفسي حتى الموت.

اتصلوا بي هاتفياً، وطلبوا إليّ بالحاح أن أشارك بقصيدة في الاحتفال، فتظاهرت بالرفض. فألحوا، وأصررت على الرفض. وفي حقيقة الأمر كنتُ أهْلُلُ للطلب، كنتُ أرقص وراء التليفون، وإنما كان الرفض تظاهراً ودلالاً. لأنني أردتُ إلا أَدْع لهم مجالاً للتصل من الدعوة إذا ما علموا بما كنتُ مُزِعماً عليه.

قلت (لإسماعيل ناجي) - سكرتير (الوتري) - إن القصيدة قد توقعهم في مأزق، فقال: لا عليك إن نقابة الأطباء ستتحمل المسؤولية. (وبالمناسبة فالدكتور (إسماعيل ناجي)) هذا هو نفسه الذي أذاع بياناً على الصحف يقول فيه: إنهم لم يدعوني إلى المشاركة في الاحتفال، كل ذلك - والبطاقة ((المذهبة)) بالدعوة إياها كانت وما تزال معي - ولربما كانت حتى الآن بين أوراقتي). على هذا النحو تثبُّتُ، ومن فوزي عرضتُ مطبعتي للبيع، ونشرتُ إعلاناً في الصحف بذلك. أردتُ أن أَدخِر ثمن المطبعة للعائلة ضماناً لها وتحسباً لما قد يحدث فيما بعد. ولا أكتمك أن العائلة كانت يومئذ تشتري حتى الخبز والحليب بالدين!!.

وما إن نُشر الإعلان حتى صادفني في مقهى (حسن العجمي) شاب ذكر أن اسمه ((حسن)). كانت الجريدة مغلفة (يقصد جريدة الرأي العام)، فعرض عليّ حسن - ولم أكن أعرفه من قبل - أن يقرضني ثمن المطبعة دون أن يطلب مني أية ضمانات. فقلتُ الأفضل أن نرهنها، فوافق بعد إلحاح مني وأعطاني في اليوم التالي (٥٠٠) دينار. وقد وفَّتها له بعد ذلك بقليل، أي بعد بيع المطبعة نهائياً.

لقد أُنْعَشني هذا أكثر فأكثر وزاد من عنفي في القصيدة، بخاصة وأنني قد اطمأنتت، لما حصلت عليه من نقود، على مصير العائلة.

وفي الليل. في سطح الدار. كنتُ منبطحاً على حصير، وكنتُ أجدو، كما هي عاداتي بما أنظمه من قصيد. كان صوتي رقيقاً جداً ومؤثراً. وما إن وصلت المورد الذي يبدأ ب ((إيه عميد الدار شكوى صاحب))، حتى سمعت زوجتي وهي خالة فرات تقول ((عوالي أبو فرات)). كنتُ أظنها نائمة، فوجئتُ بها تنصت لي، ولا تضنّ عليّ بالتشجيع. مهما كانت العقبي التي تنتظرها ومن معها.

وقبل الموعد يوم أعطيتهاُ النقود وسفرتهم جميعاً إلى ((النجف)) وهيأت ما يلزم لما قد يقع. وحلّ اليوم الموعود. كانت القصيدة قد اكتملت، فلبستُ بدلة جديدة حُطّتها للمناسبة، وذهبتُ وألقيتُ القصيدة.

كان المكانُ بغصُ بالحضور، وقد احتشد الشباب فيه احتشاداً، غير أن أحداً لم يستعِذ بيتاً واحداً من فرط الرهبة. أما (الوترى) الممتدح المقصود فكان يتلفت حوله مستغرباً أو كالمُستغرب. خائفاً أو كالخائف. متصلاً أو كالممتصل. وأما أقطاب الحكم وكل وجوهه البارزة تقريباً فقد أُخذوا أخذ الدين كفروا!!.

((وأما أنا فقد مضيتُ في الإلقاء حتى النهاية. وبعد أن أكملت مرقت أوراقي وذريتها أمام الجمهور، ثم غادرت المكان سيراً على الأقدام ومضيتُ إلى المطبعة ((حيث كانت هي مقرى بعد سفر العائلة)).

ويختتم القصة:

ومر يومان وثالث ولم يأخذني أحد. وفي صباح اليوم الرابع جاؤوني ففتشوا المطبعة بحثاً عن القصيدة فلم يجدوها ثم اعتقلوني ومكثت في الاعتقال شهراً واحداً. وأطلق سراحى بمناسبة العيد)).

وقد أضاف الجواهري إلى طبعة دار العودة ما يلي:

(وفي معتقلي - في مديرية التحقيقات الجنائية - جاءني وفدٌ من الشباب ومعهم ((قصاصات القصيدة)) الممزقة وقد جمعوها من حديقة المسيح حيث أقيم الاحتفال وذلك لغرض مقابلتها، وأذكر أنها ألصقت بعناية، عدا شطر من أبياتها أطارته الريح فأكملته لهم).

مَجَّدْتُ فِيكَ مَشَاعِرًا وَمَوَاهِبًا
والمُبدعينَ ((الخالقين)) تنوّرتُ
شرفاً ((عميدَ الدارِ)) علياً رُتبيةً
جازتُكَ عن تَعَبِ الفؤادِ، فلم يكن
أعطتُكها كَفٌّ تَضُمُّ نقائضاً
مُدَّتْ لرفعِ الأفضلينَ مكانةً
ومضتُ مُحَرَّرُ ألفِ ألفِ مقالةٍ
في حين تُرهقُ بالتعنّتِ شاعراً
((التيمسيونَ!)) الذينَ تناهبوا
والمغدقونَ على ((البياضِ)) نعيمَهُم
والحاضنونَ الخائنينَ بلادَهُم
يَستصرخونَ على الشُّعوبِ لُصوصها
ويُجَنَّبونَ الكلبَ وَخزاةَ واخزِ
أولاءِ ((هاشمٍ)) مَنْ أروكَ بساعةٍ
فاحمدهمُ أن قد أقاموا جانباً
وتحرَّسَنَ أن يقتضوكَ ثوابها!

لله دُرُكٌ أَيُّ آسٍ مُنْقَضٍ
 سبعونَ عاماً جُلَّتْ فِي جَنَابَتِهَا
 مُتَّحِدياً حُكْمَ الطَّبَاعِ! ودافعاً
 تَتَلَمَّسُ ((النَّبْضَاتِ)) تَجْرِي إِثْرَهَا
 وَمُشَارِفِ النَّسْجِ الْهَلَاكِ ثِيَابَهُ
 وَمُكَايِدِ كَرْبِ الْمَمَاتِ شَرِكَتَهُ
 وَمَحْشَرَجِ وَقْفِ الْجِهَامِ بِيَابِهِ
 كَمْ رُحْتِ تُطْلِعُ مِنْ نَجُومٍ تَخْتَفِي
 هَذَا الشَّبَابُ وَمِنْ سَنَاكَ رَفِيفُهُ
 هَذَا الْغِرَاسُ وَمَلَأْ عَيْنَكَ قُرَّةً
 هَذَا الْمَعِينُ، وَقَدْ أَسَلْتَ نَمِيرَهُ
 هَذِي الْأَكْفُ عَلَى الصَّدُورِ نَوَازِلًا

وَأَوْقَفْتَ لِلصَّرْعِي نَهَاراً دَائِباً
 وَسَهَرْتَ لَيْلًا ((نَابِغِيّاً)) نَاصِباً
 وَحَضَنْتَ هَاتِيكَ الْأَسْرَةَ فَوْقَهَا
 أَسْدٌ مُضَرَّجَةٌ تَلُوبُ لَوَاغِبَا

١١ البيت والأبيات الأربعة بعده إشارة إلى الجيل الجديد من اطباء العراق الذين هم مدينون للسيد ((الورتري))
 بالتعليم والتوجيه.

١٢ القطعة حتى البيت: ((وتعهد الكفن الخضيب...)) إشارة إلى موقف السيد ((الورتري)) المشرف من ((وثبة
 كانون)) وشهادتها، وتقديم استقالته وهو في ((الكلية الطبية)) احتجاجاً على اقتحام ((الشرطة)) إياها.

أرَجَّ من الذِكرى يلفُّك عِطرُهُ
ولأنتَ صُنْتَ ((الدارِ)) يومَ أباَحها
الغَيُّ يُنَجِدُ بالرِّصاصِ مُزْمَجِراً
ولأنتَ أُنخِنتَ الفؤادَ من الأسى
أعراسُ مملكةٍ تُزَفُّ لمجديها
الحاضنينَ جِراحَهُمُ وكأَنَّهُم
والصابرينَ الواهينَ نفوسَهُمُ
غُرْفُ الجنانِ تَصَوَّعَتْ جَنابَتُها
وبحشِرجاتِ الذاهبينَ مُثيرةً
غادى الحيا تلكَ القبورَ وإنْ غدت
وتعهدُ الكفنَ الخضيبَ بمثلِهِ

بغدادُ كانَ المجدُ عندكُ قينَةً
وزِقاقُ خمرٍ تستجدُ مساجِباً
و((الجسرُ)) تمنحُهُ العيونُ من المَها
الحمدُ للتأريخِ حينَ تحوَّلتُ
تلهو وعوداً يَستحثُّ الضاربا
وهشيمَ رَيمانٍ يُذرى جانباً
في الناسِيبِ وشائجاً ومناسِبا
تلكَ المرافِهُ فاستحلنَ متاعبا

«غرف الجنان: يراد بها غرف المستشفى ورحباتها التي ضمت الجرحى والصرعى من شهداء يوم الوثبة.»

الشُّعْرُ أَصْبَحَ وَهُوَ لُعْبَةٌ لَاعِبٍ
والكأسُ عادتْ كأسَ موتٍ ينتشي
و ((الجرُّ)) يفخرُ أنْ فوقَ أديمِهِ
و على بريقِ الموتِ رُحْنٌ سوافراً
إن لم يسألْ صَرمًا وجرماً لاهباً
زاهي الشبابِ بها، ويمسحُ شارباً!
جثثَ الضَّحايا قد تَرَكنَ مساحباً!
بيضُ كواعبُ، يندفعنَ عصائباً

حدّثْ عميدَ الدارِ كيفَ تبدّلتْ
كيفَ استحالَ المجدُّ عاراً يُتَّقَى
ولم استباح ((الوغدُ)) حرمةً من سقى
هُذي الديارَ دماً زكياً سارِباً
بُوراً قِبابٌ كُنَّ أمسٍ محارِباً
والمكرّماتُ من الرّجالِ معايِباً
هذي الديارَ دماً زكياً سارِباً

إيه ((عميدَ الدارِ)) كلُّ لنيمةٍ
ولكلِّ ((فاحشةٍ)) المتاعِ دَميمةٍ
ولقد رأى المستعمرونَ فرائساً
فتعهّدوه، فراح طوعَ بنائهم
أعرَفَت مملكةُ يُباح ((شهيدها))
مستأجرينَ يُخرّبونَ ديارَهُمْ
مُتَنمرينَ يُنصّبونَ صُدورَهُمْ
حتى إذا جدّتْ وغيّ وتضرّمتْ
لزموا ((جحورَهُمْ)) وطارَ حليمُهُمْ
لابُدَّ واجدةٌ لئيماً صاحباً
سوقٌ تُتِيحُ لها دَمياً راغباً
مناً، وألفوا كلبَ صيدِ سائبا!
يَبْرُونَ أنياباً لهُ ومخالباً
للخائنينَ الخادمينَ أجانبا؟
ويكافأون على الخرابِ رواتبا
مثلَ السِّباعِ صراوةً وتكالباً
نارٌ تُلْفُ أباعداً وأقارِباً
دُعرأ، وبُدلتِ الأسودُ أرانبا

إِيهِ ((عَمِيدَ الدَّارِ))! شَكْوَى صَاحِبِ
حُبْرَتُ أَنْكَ لَسْتَ تَبْرُحُ سَائِلًا
وَتَقُولُ كَيْفَ يَظَلُّ ((نَجْمٌ)) سَاطِعٌ
الآنَ أَنْبِيكَ اليَقِينِ كَمَا جَلَا
فَلَقَدْ سَكَتُ مَخَاطِبًا إِذْ لَمْ أَجِدْ
أَنْبِيكَ عَنِ شَرِّ الطَّغَامِ مَفَاجِرًا
الشَّارِبِينَ دَمَ الشَّبابِ لِأَنَّهُ
وَالْحَاقِدِينَ عَلَى البِلَادِ لِأَنَّهُا
وَلَأَنَّهَا أَبْدَأَ تَدْوِسُ أَفَاعِيًا
شَلَّتْ يَدُ المِستَعْمِرِينَ وَفَرَضُهَا
أَلْقَى إِلَيْهِمْ وِزْرَهُ فَتَحَمَّلُوا
وَأَذَابَهُمْ فِي ((المُوبِقَاتِ)) فَأَصْبَحُوا
يَتَمَهَّلُ البَاغِي عَوَاقِبَ بَغِيهِ
حَتَّى كَأَنَّ مَصَايِرًا مَحْتَمومَةً
قَدْ قَلْتُ لِلشَّاكِينِ أَنَّ ((عِصَابَةً))
لَيْتَ ((المَوَالِي)) يَغْصِبُونَ بِأَمْرِهِمْ
فِيهِادِنُونَ شَهَامَةً وَرُجولَةً

طَفَحَتْ لَوَاعِجُهُ فَنَاجَى صَاحِبَا
عَنِّي، تُنَاشِدُ ذَاهِبًا أَوْ آيِسَا
مِلءَ العَيونِ، عَنِ المَحَافِلِ غَائِبَا
وَضَحُّ ((الصَّبَاحِ)) عَنِ العَيونِ غِيَاهِبَا
مَنْ يَسْتَحِقُّ صَدَى الشِّكَاةِ مُخَاطِبَا
وَمَفَاخِرًا وَمَسَاعِيًا وَمَكَاسِبَا
لَوْ نَالَ مِنْ دَمِهِمْ لَكَانَ الشَّارِبَا
حَقَرْتَهُمْ حَقَرَ السَّيْلِيبِ السَّالِبَا
مِنْهُمْ تَمُجُّ سَمومَهَا.. وَعَقَارِبَا
هَذَا العُلُوقِ عَلَى الدَّمَاءِ ضَرَائِبَا
أَثْقَالَهُ حَمَلِ ((الثِّيَابِ)) مَشَاجِبَا
مِنْهَا ((فُجورًا)) فِي فُجورِ ذَائِبَا
وَتَرَائِمُهُمْ يَسْتَعَجِلُونَ عَوَاقِبَا
سُودًا تُنِيلُهُمْ مُنَى وَرَغَائِبَا
غَضَبَتْ حَقوقَ الأَكثَرِينَ تَلَاعِبَا:
بَلْ لَيْتَهُمْ يَتَرَسَّمُونَ ((الغَاصِبَا))
وَيُجَارِبُونَ ((عَقَائِدًا))! وَمَذَاهِبَا

أُنْبِيكَ عَنْ شَرِّ الطَّغَامِ نَكَايَةً
لَقَدْ ابْتُلُوا بِصَاعِقَا مُتْلَهَّبَا
حَشَدُوا عَلَيَّ الْمَغْرِبَاتِ مُسِيلَةً
بِالْكَأْسِ يَقْرَعُهَا نَدِيمٌ مَالثَا
وَبِتَلَكُمُ الْخَلَوَاتِ تُمَسِّخُ عِنْدَهَا
وَبَأَنَّ أَرْوَاحَ ضُحَى ((وزيراً)) مِثْلَمَا
ظَنَّا بِأَنَّ يَدِي تُمَدُّ لِتَشْتَرِي
وَبَأَنَّ يَرْوَحَ وَرَاءَ ظَهْرِي مَوْطِنٌ
حَتَّى إِذَا عَجَمُوا قِنَاةً مُرَّةً
وَاسْتَيَأَسُوا مِنْهَا، وَمَنْ مُتَخَشَّبُ
حُرٌّ يُجَاسِبُ نَفْسَهُ أَنْ تَرَعَوِي
وَيَجُوزَ مَدْحَ الْأَكْثَرِينَ مَفَاخِرَا
حَتَّى إِذَا الْجُنْدِيُّ شَدَّ حِزَامَهُ
حَشَدُوا عَلَيْهِ الْجُوعَ يَنْشِبُ نَابَهُ
بِالْمَوْثُرَيْنِ ضَمِيرَهُمْ وَالْوَاجِبَا
وَقَدْ ابْتُلَيْتُ بِهِمْ جَهَامًا كَاذِبَا^(١)
صَغْرًا لُعَابَ الْأَرْذَلِينَ رَغَائِبَا
بِالْوَعْدِ مِنْهَا الْحَافَتَيْنِ وَقَاطِبَا^(٢)
تُلْعُ الرِّقَابِ مِنَ الطَّبَائِ ثَعَالِبَا!!
أَصْبَحْتُ عَنْ أَمْرِ بَلِيلٍ ((نائباً))
سَقَطَ الْمَتَاعُ، وَأَنَّ أَيْعَ مَوَاهِبَا
أَسْمَنْتُ نَحْرًا عِنْدَهُ وَتَرَائِبَا
شُوكَاءَ، تُدْمِي مَنْ أَتَاهَا حَاطِبَا^(٣)
عَتَا كِصْلَ الرَّمْلِ يَنْفُخُ غَاضِبَا
حَتَّى يَرْوَحَ لِمَنْ سِوَاهِ مُحَاسِبَا
وَيَجُوزَ ذَمَّ الْأَكْثَرِينَ مِثَالِبَا!!
وَرَأَى الْفَضِيلَةَ أَنْ يَظَلَّ مُحَارِبَا
فِي جِلْدٍ ((أَرْقَطًا)) لَا يُبَالِي نَاشِبَا!

(١) الجهام الكاذب: هو السحاب الذي لا يعقبه مطر.

(٢) البيت والتاليان له تعريض بالوصي على عرش العراق آنذاك الأمير عبد الإله.

(٣) القناة الشوكاء: هي التي يكثر في فروعها وأغصانها الشوك.

وعلى شُبُولِ اللَّيْثِ خَرَقُ نَعَالِهِمْ
 يتساءلونَ أينزلونَ بلادَهُمْ؟
 إنَّ يعصِرِ المتحكِّمونَ دمَاءَهُمْ
 فالأرضُ تشهدُ أنَّها خُضِبَتْ دَمًا
 ماذا يضرُّ الجوعُ؟ مجدُّ شامخُ
 أني أظُلُّ مع الرعيَّةِ مُرَهَقًا
 يتبجَّحونَ بأنَّ مَوجًا طاغياً
 كذبوا فملءُ فمِ الزَّمانِ قصائدي
 تستلُّ من أظفارِهِم وتخطُّ من
 أنا حتفُهُم ألجُ البيوتَ عليهمُ
 خيسُّوا: فلمَ تَزَلِ الرُّجولَةُ حُرَّةً
 والأمثلونَ همُ السَّوادُ: فديتُهُم
 بممْلُكينَ الأجنبيِّ نفوسَهُم

هذا الأديمُ تراهُ نضواً شاحبا؟
 أظأ الطُّغاةَ بشسَعِ نعلي عازبا
 أعلمتَ ((هاشمُ)) أيُّ وقْدِ جاحِمِ
 أنا ذا أمامك مائلاً مُتَجَبِّراً

^(١) يريد الشاعر بشبول الليث أولاده وأطفاله.

وأُطِّمُّ من شفّتي هُزءاً أن أرى
أرثي لحالٍ مُزخرفين حمائلًا
للهِ دُرٌّ أبُ يراني شاخصاً
أُتبرّضُ الماءَ الزُّلالَ وُعُنيتي
أوصي الظُّلالَ الخافقاتِ نَسائياً
ودعا ظلامَ الليلِ أن يَحْتَطِّي
ونهى طُيوفَ المُغرياتِ عرائساً
لستُ الذي يُعطي الزمانَ قيادَه
أليتُ أقتحمُ الطُّغاةَ مُصَرِّحاً
وَعَرَسْتُ رجلي في سَعيرِ عذابِهِم
وتركتُ للمشتفِّ من أسارِهِم
ولبينَ بينَ مُنافِقِ متربِّصِ
يلبغُ الدِّماءَ مع الوحوشِ نهارَه
وتُسيلُ أطماغَ الحياةِ لُعبابَه
عاشَ الحياةَ يصيدُ في مُتكدِّرِ
حتى إذا زوتِ المطامِعُ وجهها
ألقي بقارعةِ الطريقِ رداءه
خطانِ ما افترقا، فإما خُطَّةُ

عُفَرَ الجباهِ على الحياةِ تكالِباً
في حينَ هُمُ مُتَكهِّمونَ مَضاربا
للهاجراتِ، لِحُرِّ وَجْهِي ناصبا
كيسرُ الرِّغيفِ مطاعماً ومشاربا
ألا تُبرِّدَ من شذاتي لاهبا
بينَ النجومِ اللامعاتِ مَضاربا
عن أن يعودَ لها كرايَ ملاعبا
ويروحُ عن نهجِ تنهَجِ ناكبا
إذ لم أعوذُ أن أكونَ الرائباً
وثبتُّ حيثُ أرى الدعيَّ الهاربا
أن يستمنَّ على الضُّروعِ الحالبا
رعيَ الظروفِ! مُواكباً ومُجانبا
ويعودُ في الليلِ! التَّقِيَّ الراهبا
وتُشبُّ منه سِنامُهُ والغاربا
منها، ويخبطُ في دُجاها حاطبا
عنه، وقطبتِ اللبانةُ حاجبا
يَهدي المُضللينَ الطريقَ اللاجبا!
يلقى الكَمِيَّ بها الطُّغاةَ مُناصباً

الجوعُ يَرُصُّدها.. وإِما خَطَّةٌ تجتُرُّ منها طاعِماً أو شارِبا

لا بُدَّ ((هاشمُ)) والزَّمانُ كما ترى
والفجرُ يَنْصُرُ لا محالةً ((ديكهُ))
والأرضُ تَعْمُرُ بالشُّعوبِ فلن ترى
والحالمونَ سَيَفْقَهُونَ إذا انجَلَّتْ
لا بُدَّ عائِدةً إلى عِشائِها
يُجْرِي مع الصَّفْوِ الزُّلالِ شوائِبا
ويُطِيرُ من ليلٍ ((غُراباً)) ناعِبا!
بوماً مَشوماً يَسْتطِيبُ خِرابِبا
هذي الطُّيُوفُ خِوادِعاً وكِواذِبا
تلكَ العهودُ وإنْ حُسِبْنَ ذِواهِبا

بغداد، عام ١٩٤٩

إليها

٤٢٥

ديوان الجواهري

تَهَضَّمَنِي قَدُّكَ الْأَهْيَفُ وَأَلْهَبَنِي حُسْنُكَ الْمُتَرَفُّ
وَضَايَقَنِي أَنَّ ذَاكَ الْمَشْدَّ يَضِيقُ بِهِ خَصْرُكَ الْمُرْهَفُ
وَقَدْ جُنَّ وَرُكُّكَ مِنْ غَيْظِهِ سَمِينٌ يُنَاهِضُهُ أَعْجَفُ
فِدَاءٌ لِعَيْنَيْكَ كُلُّ الْعِيُونَ أَخَالَطُ جَفْنَيْهِمَا قَرَقَفُ
كَأَنِّي أَرَى الْقُبْلَ الْعَابِثَاتِ مِنْ بَيْنِ مُوقِيهِمَا تَنْطِفُ
وَرِعْشَةَ أَهْدَابِكَ الْمُثْقَلَاتِ عَلَى فَرْطِ مَا حَمَلْتَ تَحْلِفُ
كَمَا اللَّيْلُ صَبَّ السَّوَادَ الْمُخِيفَ صَبَّ الْهَوَى شَعْرُكَ الْأَغْدَفُ
تَلَبَّدَ مِثْلَ ظَلِيلِ الْغَمَامِ وَرَاحَتْ بِهِ غَمَمٌ تُكْشَفُ

أَطَارَ الْغُرُورَ نَثِيرُ الْجَدِيلِ عَلَى دَوْرَةِ الْبَدْرِ إِذْ يُعْقَفُ
وَرَاخَ الْحُلِيِّ عَلَى الْمِعْصَمِينَ بِأَعْدَابِ الْحَانَةِ يَعْرِفُ
وَأَوْشَكَ هَذَا النَّسِيحُ اللَّصِيقُ بِنَهْدِيكَ مِنْ فَرْحَةٍ يَهْتَفُ
وَكَادُ يُذِيعُ حَدِيثَ الْجَنَانِ وَأَسْرَارَ كَوَثْرِهِ الْمُطْرَفُ
مُنَى النَّفْسِ إِنَّ الْمُنَى تَرْتَمِي عَلَى قَدَمَيْكَ وَتَسْتَعْطِفُ
وَطَوْعَ يَدَيْكَ كَمَا تَشْتَهِي حَيَاةً تَجَدَّدُ أَوْ تَتَلَفُ
مُنَى النَّفْسِ إِنَّ عَلَى وَجْتَيْكَ مِنْ رَغْبَةٍ ظَلَالًا تَزْحَفُ
تَعَالِي نَضْنُ مَقْلَةً يَرْتَمِي بِهَا شَرَّرٌ وَفَمَا يَرِجِفُ

وَنُطَلِّقُ مِنَ الْأَسْرُورِ رُوحاً تَجِيئُ فِي قَفْصِ مَنْ دَمٍ تَرَسِفُ
تَعَالِي أذُقُكَ فَكُلُّ الشَّمَارِ تَعْرِفُ، وَنَوَازِهِمَا يُقَطِّفُ
صِرَاعٌ يَطْوُلُ فَكَمْ تَهْدِفِينَ إِلَى الرُّوحِ مَنْيَ وَكَمْ أَهْدِفُ
إِلَى الْجِسْمِ مِنْكَ، وَكَمْ تَعْرِفِينَ أَيْنَ الْمَحَزِّ، وَكَمْ أَعْرِفُ
وَمَا بَيْنَ هَذَيْنِ يَمْشِي الزَّمَانُ وَيُفْنِي مُلُوكاً وَيَسْتَخْلِفُ

أَمِيلِي بِصَدْرِكَ نَبْعَ الْحَيَاةِ وَخَلِّي فَمَا ظَامئاً يَرِشِفُ
وَمِيطِي الرِّدَاءَ عَنِ الْبُرْعَمِينَ يَفْضُ عَسَلٌ مِنْهَا يَرَعْفُ
وَمُرِّي بِكَفِّي تَشُقُّ الطَّرِيقَ لِعَاصِفَةٍ بِهِمَا تَعَصِفُ
أَمِيلِي فَيَنْبِوْعُ هَذَا الْجَمَالِ إِلَى أَمَدٍ ثُمَّ يُسْتَنْزَفُ
وَهَذَا الشَّبَابُ الطَّلِيْقُ الْعِنَانُ سَيُكَبِّحُ مِنْهُ وَيُسْتَوْقَفُ
أَمِيلِي فَسَيْفُ غَدٍ مُصَلَّتْ عَلَيْنَا، وَسَمْعُ الْقَضَا مُرْهَفُ
عِدِي ثُمَّ لَا تُخْلِفِي، فَالْحِمَامُ صُنُوكِ فِي الْعَنْفِ لَا يُخْلِفُ

خَبِرْتُ الْعَنِيفَ مِنَ الطَّارِئَاتِ مَا يَسْتَمِيلُ وَمَا يَقْصِفُ
وَذُقْتُ مِنَ الْغَيْدِ شَرَّ الشُّمُومِ طَعِماً يُمِيتُ وَيُسْتَلْطَفُ
وَخَضْتُ مِنَ الْحُبِّ لُجْجَةً عَلَى مَتْنِ جَنِيَّةٍ أَقْدَفُ
فَلَا وَالْهَوَى مَا اسْتَقَرَّ الْفَوَادُ الْأَطْفُ مِنْكَ وَلَا أَعْنَفُ

بغداد، عام ١٩٤٩

أطبق دجى

٤٢٩

ديوان الجواهري

أَطْبِقُ دُجَى، أَطْبِقُ ضَبَابُ أَطْبِقُ جَهَاماً يَا سَحَابُ
أَطْبِقُ دُخَانُ مِنَ الضَّمِيرِ مُحَرَّقاً، أَطْبِقُ عَذَابُ
أَطْبِقُ دَمَارُ عَلَى حُمَاةِ دِمَارِهِمْ، أَطْبِقُ تَبَابُ
أَطْبِقُ جَزَاءُ عَلَى بُنَاةِ قُبُورِهِمْ أَطْبِقُ عِقَابُ
أَطْبِقُ نَعِيبُ، يُجِيبُ صَدَاكَ الْبُومُ، أَطْبِقُ يَا خَرَابُ
أَطْبِقُ عَلَى مُتَبَلِّدِينَ شَكَاهُمْ وَوَلَهُمُ اللَّذْبَابُ
لَمْ يَعْرِفُوا لَوْنَ السَّمَاءِ لِفَرْطِ مَا انْحَنَّتِ الرِّقَابُ
وَلِفَرْطِ مَا دَيْسَتْ رُؤُوسُهُمْ كَمَا دَيْسَ التُّرَابُ
أَطْبِقُ عَلَى الْمَعزَى يُرَادُ بِهَا عَلَى الْجُوعِ احْتِيَابُ
أَطْبِقُ عَلَى هَذِي الْمُسُوخِ تَعَافُ عَيْشَتَهَا الْكِلَابُ
فِي كُلِّ جَارِحَةٍ يَلُوحُ لِجَارِحِ ظُفُرٌ وَنَابُ
يَجْرِي الصَّيْدُ مِنَ الْهَوَانِ كَأَنَّهُ مَسِيكَ مُسْلَابُ

أَطْبِقُ عَلَى الدَّيْدَانِ مَلَّتْهَا فَيَافِيكَ الرَّجَابُ
أَطْبِقُ عَلَى هَذِي الْوَجُوهِ كَأَنَّهَا صُورٌ كِذَابُ
الْمُخْرَسَاتِ بِهَا الْغُضُونُ فَلَا سَوْأَلَ وَلَا جَوَابُ
بُلْهَاتٍ تَدُورُ بِهَا الْعَيْوُنُ كَأَنَّ صَحَصَ جَهَا سَرَابُ

مَلَّ الْفَوَادُ مِنْ الضَّمِيرِ وَضَجَّ بِالرُّوحِ الْإِهَابُ

أَطْبَقُ عَلَى مُتَفَرِّقِينَ يَزِيدُ فُرْقَتَهُمْ مُصَابُ
يَتَجَحَّوْنَ بِأَنَّ إِخْوَتَهُمْ يُحِلُّ بِهِمْ عَذَابُ
نَدِمُوا بِأَنْ طَلَبُوا أَقْلَ حُقُوقِهِمْ يَوْمًا، فَتَابُوا
وَتَأَوَّبُوا لِلذَّلِّ يَأْكُلُ رُوحَهُمْ نِعَمَ الْمَاءِ !
أَطْبَقُ عَلَى هَذِي الْكُرُوشِ يَمْطُهَا شَحْمٌ مُذَابُ
مِنْ حَوْلِهَا بَقَرٌ يَجُورُ، وَحَوْلَهُ غَرْنَمِي سِغَابُ
أَطْبَقُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ لِلْخَابِطِينَ بِكَ احْتِطَابُ
أَطْبَقُ عَلَى مُتَنَفِّجِينَ كَمَا تَنْفَجَتِ الْعِيَابُ^(١)
مَسْتَنَوِقِينَ وَيَزَارُونَ كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ غِلَابُ
يَزَهُوهُمْ عَسَلٌ وَيُلْهِمُهُمْ عَنِ الْعِلْيَاءِ صَابُ^(٢)
يَمْشِي مِنَ الْأَمْجَادِ خَلْفَهُمْ بِمَيْسَرَةٍ رِكَابُ^(٣)

(١) المتنفج: النافع والنفاج، المتعاضم والتكبر والمتضخم. والعياب جمع ((عيبة)): السفت توضع فيه الثياب.

(٢) زها الشيء الرجل: استخفه واستطاره. والصاب: شجر شديد المرارة.

(٣) الميسرة: ضد المعسرة.

فاذا التقت حَلَقُ البطانِ وجَدَّتِ النُّوبُ الصَّعَابُ^(١)
خَفَّفَتْ ظِلَالَهُمْ وَمَاعَاوَا مِنْ نَعْوَمَتِهِمْ فَنَذَابُوا
وَنَجَّوَا بِأَنْفُسِهِمْ وَرَاحَتْ طُعْمَةَ النَّارِ الصَّحَابُ

أَطْبِقْ دُجَى، لَا يَنْبَلِجُ صُبْحٌ وَلَا يَخْفِقُ شِهَابٌ
أَطْبِقْ فَتَحَتَ سَمَاكَ خَلَقٌ فِي بَصَائِرِهِ مُصَابٌ
لَا يَنْفَتَحُ - خَوْفًا عَلَيْهِ - مِنَ الْعَمَى لِلنُّورِ بَابٌ
أَطْبِقْ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ وَيَوْمَ يَكْتُمُلُ النَّصَابُ
أَطْبِقْ دُجَى حَتَّى يَقِيءَ مُمَوَّلَ أَهْلِ الْغَابِ غَابٌ
أَطْبِقْ دُجَى؛ حَتَّى يَمَلَّ مِنَ السَّوَادِ بِهِ الْغُرَابُ
أَطْبِقْ دُجَى؛ حَتَّى يُجَلِّقَ فِي سَمَاوَاتِ عُقَابُ
غَضَبَانَ أَنْ لَمْ تَحْمِمْ أَعْيُنَهُمْ أَهْلًا طَيْرٌ غَضَابُ

أَطْبِقْ دُجَى؛ يَسْرَحُ بِظِلِّكَ نَاعِمًا عَارٌّ وَعَابُ
مِنْ لَوْنِكَ الدَّاجِي رِيَاءٌ وَارْتِياعٌ وَارْتِيَابُ
يَا عَصْمَةَ الْجَانِي، وَيَا سَرَحًا تَلُوذُ بِهِ الذَّنَابُ

^(١) حلق البطان: ما يربط به الحزام من آلة وعدة. و ((التقى)): حلق البطان مثل يضرب لعظمة

المكروه واشتداده.

يا مَنْ مَشَتْ بِدَمَائِهَا فِيهِ الْخَنَاجِرُ وَالْحِرَابُ
يا مَنْ يَضِجُ مِنَ الشَّرورِ الزاحفاتِ بِهِ الْعُبابُ
يا مَنْ تَضيقُ مِنَ الهوامِ الزاحفاتِ بِهِ الشُّعَابُ
كُنْ سِترَ مُجْرِمَةٍ تهاوَتْ عَنْ جَرِيمَتِهَا الثَّيَابُ

أطبِقْ، فَأَيْنَ تَفِرُّ إِنْ تُسْفِرُ وَيَنْحَدِرِ النِّقَابُ؟!
هذي العَبَاواتِ الكريمةُ! والجَمُودُ المُستطابُ!
هذا النِّفاقُ تَرَبُّهُ صُحُفٌ وَيُسَمِّنُهُ كِتَابُ!
أطبِقْ دُجى، حَتَّى تَجُولَ كَأَنَّهَا خَيْلُ عَرَابُ
هذي المَعَرَّاتِ الهِجَانُ لَهَا لظَلَمَتِكَ انْتِسابُ

أطبِقْ؛ فَأَنْتَ لِهَذِهِ السُّوءَاتِ - غارِيَّةٌ - حِجَابُ
أطبِقْ؛ فَأَنْتَ لِهَذِهِ الْأَنْيَابِ - مُشْتَحَدَةٌ - قَرَابُ
أطبِقْ؛ فَأَنْتَ لِهَذِهِ الْأَثَامِ - شائِخَةٌ - شَبَابُ
أطبِقْ؛ فَأَنْتَ لِصِبْغَةٍ مِنْهَا إِذَا نَصَلَتْ خِضَابُ

كُنْ سِترَها لَا يَنْبَلِجُ صُبْحٌ وَلَا يَخْفِقُ شَهَابُ

بغداد، عام ١٩٤٩

حنين

٤٣٥

ديوان الجواهري

أَحْسَنُ إِلَى شَبَحٍ يَلْمَحُ بَعِينِيَّ أَطْيَافُهُ تَمْرَحُ
أَرَى الشَّمْسَ تُشْرِقُ مِنْ وَجْهِهِ وَمَا بَيْنَ أَثْوَابِهِ تَجْنَحُ^(١)
رَضِيَ السَّمَاتِ، كَأَنَّ الضَّمِيرَ عَلَى وَجْهِهِ أَلِقَاءَ يَطْفَحُ
كَأَنَّ الْعَبِيرَ بِأَرْدَانِهِ عَلَى كُلِّ ((خَاطِرَةٍ)) يَنْفَحُ
كَأَنَّ بَرِيقَ الْمُنَى وَالْهَنَا بَعِينِيهِ عَنِ كَوْكَبٍ يَقْدَحُ
كَأَنَّ غَدِيرًا فَوْقَ الْجَبِينِ عَنِ ثَقَبَةٍ فِي ((غَدِيدِ)) يَنْضَحُ
كَأَنَّ الْعُصُونَ عَلَى وَجْتِيهِ يُكِنُّ بِهَا نَغْمٌ مُفْرِحُ^(٢)
كَأَنَّ بِهَامَتِهِ مُنْبَعًا مِنَ النُّورِ، أَوْ جَمْرَةٍ تَجْدَحُ
كَأَنَّ (فَنَارًا) عَلَى ((كَاهِلِ)) يُنَارُ بِهِ عَالَمٌ أفسَحُ
وَآخِرَ شُدَّتْ عَلَيْهِ يَدٌ فَلَا يَسْتَتِينُ، وَلَا تُفْتَحُ!

أَحْسَنُ إِلَيْهِ بَلِيغَ الصُّمُوتِ مَعَانِيهِ عَنِ نَفْسِهَا تُفْصِحُ
تَفَايُضَ مِنْهُ كَمَوْجِ الْخِضْمِ أَوْ لَحْنِ سَاجِعَةٍ تَصْدَحُ
جَمَالٌ، وَلَيْسَ كَهَذَا الْجَمَالِ! بِمَا بَهَرَ جَتْ زِينَةٌ يُضْلِحُ

^(١) جنح يجنح جنوحاً: أقبل.. ومال.

^(٢) الغصون: جمع غصن أو غصن، وهو كل تجعد وتثن في جلد أو ثوب أو غيرها.

كَأَنَّ الدُّهُورَ بِأَطْمَاحِهَا إِلَى خِلْقَةٍ مِثْلِهِ تَطْمَاحُ
كَأَنَّ الأُمُورَ بِمَقْيَاسِهِ تُقَاسُ فَتَوْخِذُ أَوْ تُطْرَحُ
كَأَنَّ الوجوهَ عَلَى ضَوْئِهِ تَلُوحُ فَتَحْسُنُ أَوْ تَقْبِحُ

يُذَاعِبُنِي إِذْ تَجِدُّ الحُطُوبَ فَأَمْرُحُ مِنْهَا كَمَا يَمْرُحُ
يُشَدُّ جَنَانِي بِعِزْمَاتِهِ وَدَمْعِي بِسِسْمَاتِهِ يُمَسِّحُ
وَيُزِدُ نَفْسِي بِأَنْفَاسِهِ إِذَا لَفَّنِي عَاصِفٌ يَلْفَحُ
وَيَطْرُقُنِي كَلِّمَا رَاوَدَتْ ضَمِيرِي فَاحْشَةً تَرشِحُ^(١)
وَكِدْتُ أَطَاحُ بِأَغْرَائِهَا فَأُخَدُّ رَكَائِبَ مَنْ طَوْحُوا
فِيمَشِي إِلَيَّ وَثِقَلُ الشُّكُوكِ مُنِيخٌ عَلَى النَفْسِ لَا يَبْرَحُ
وَقَدْ أَوْشِكَ الصَّبْرُ أَنْ يَلْتَوِي وَيَكْسِرُهُ المُبْهُضُ المُتْرَحُ
وَحِينَ تَكَادُ شِعَافُ الفُؤَادِ بِسِكِّينِ مُطْمَعَةٍ تُجْرَحُ^(٢)
وَإِذْ يُرَكِّبُ النَفْسَ - حَدَّ الرَّدَى - عِنَانٌ مِنَ الشَّرِّ، لَا تُكْبِحُ
وَإِذْ يَعْصُرُ القَلْبَ حُبُّ الحَيَاةِ! وَكَابُوسٌ جِرْمَانِهَا المُقْدِحُ
فَيَرْفَعُ وَجْهِي إِلَى وَجْهِهِ وَيَقْرَأُ فِيهِ وَيَسْتَوْضِحُ
فَأَرْجِفُ رُعبًا كَأَنَّ الحِشَا تَخَطَّفَهُ أَجْدَلُ أَجْلَحُ

(١) ترشح: تندى بالعرق.

(٢) الشعاف: جمع شعفة، وهي من القلب رأسه عند معلق النياط.

وأفهم من نظرة أنني
وأن الضمير بغي يبيء
وأن ليس ذلك من ديدن
فأنهال لثماً على كفه
لشر فكَرْتُ به أضلح!!
لها ((الليل)) ما ((الصبح)) يستقبح
لن همُّه عالم أضلح
وأسأل عفواً وأستصفح

أحين له: وكان الحياة
أحين له: وأحب الكرى
أحين له: ليس يقوى النعيم
ولا كل ما نهز الناهزون
ولا كل ما أمل الأمليون
لتعدل من نغره بسمة
خضراء من دونه، صحصح^(١)
لسانحة منه قد تسنح
وكُل للذاتيه مُربح
من الممتعيات وما استترحو^(٢)
ولا مخفق منه، أو منجح
بها نسمة الخلد تُستروح

فيا ليتني بعض أنفاسه
ويا ليتني ((ذرة)) عنده
لأمنح منهن ما يمنح
لأسبح في فلك يسبح

بغداد، عام ١٩٤٩

^(١) صحصح: جمعه صحاصح، وهو ما استوى من الأرض وكان أجرد.

^(٢) نهز بالدلو في البئر: ضرب بها في الماء لتملأه. استترح من نرح البئر إذا استقى ماءها حتى قل كثيراً أو نفذ.

سر في جهادك

٤٤١

ديوان الجواهري

إثر فوز حزب ((الوفد المصري)) بالانتخابات وإعلان حكومة الوفد إلغاء معاهدة (١٩٣٦) البريطانية - المصرية.

سِرٌّ فِي جِهَادِكَ يَحْتَضِنُكَ لِوَاءٍ
ضَوَى بِهِ عَلَقُ النَجِيعِ كَأَنَّهُ
مِنْ عَهْدِ ((زَغْلُولٍ)) يَرِفُّ وَتَحْتَهُ
لَمْ يُجْزِهِ الخَلْفُ الكَرِيمُ وَلَا اِزْدَرَى
فَدَتِ الكِرَامَةَ بِالْحَيَاةِ، وَلَمْ تُقْلُ
إِنَّ الجِهَادَ صَحِيفَةً مَخْضُوبَةً
هَوَتْ العُرُوشُ عَلَى مَدَبِّ سَطُورِهَا
حَمْرَاءُ صَارِخَةٌ، وَمِنْ لَحِ السِّنَا
الْهَادِيَاتُ الخَابِطِينَ تَسَاقَطَتْ
ضَلُّوا الطَّرِيقَ فَأَرْشَدَتْهُمْ هَامَةٌ
آمَنْتُ بِالْفَادِينَ.. كُلُّ بَيْنِيَّةٍ
نَشَرْتُ عَلَيْهِ قُلُوبَهَا الشُّهَدَاءُ
قَبَسٌ يَنَارُ بِهِ الدُّجَى وَيُضَاءُ^(١)
لِكَابِدِي وَهَجِ الوَغَى أَفِيَاءُ
لَمْ يُشْرَعَتْ لَهَا الآبَاءُ
إِنَّ الكِرَامَةَ لِلْحَيَاةِ فِدَاءُ
جَمَدَتْ عَلَيْهَا لِلشُّعُوبِ دِمَاءُ
وَتَصَاغَرَتْ لِحُرُوفِهَا الكُّبْرَاءُ
لِلتَضْحِيَاتِ فَإِنَّهَا بِيضَاءُ
مِنْهَا عَلَى خُطُواتِهِمْ أَضْوَاءُ
مَنْخُوبَةٌ أَوْ إِصْبَعٌ جِذَاءُ
لَمْ تُعْلِمَهَا أَشْلَاؤُهُمْ فَهَبَاءُ

أَزْعِيمَ مِصْرَ: وَلِلشُّعُوبِ أَمَانَةٌ
الصَّامِدُونَ عَلَى وُعُورَةٍ دَرَبِهِمْ
وَالصَّابِرُونَ عَلَى الجِلَادِ.. وَحَوْلَهُمْ
يُنْهَى بِهَا الْمُتَشَكِّكُونَ وَإِنَّهَا
مَا انْفَكَ يَحْمِلُ ثِقَلَهَا الأَمْنَاءُ^(٢)
مَا مَسَّهَمَ ضَجْرٌ وَلَا إِعْيَاءُ
لِمُجَالِدِينَ تَنَاطَرَتْ أَشْلَاءُ
أَمْرٌ حُرٌّ مُؤْمِنٍ وَزِدَاءُ

(١) النجيع: الدم النافع الذي به يحيا الإنسان ويصح.

(٢) يقصد بزعيم مصر: مصطفى النحاس.

ورسالةٌ خُلِقَ البليغُ سريرةً
إنَّ الضميرَ متى تخَوَّنَ رَبَّه
لأدائها، لا القالةُ البليغاءُ
شكُّ، فقد خانَ اللسانَ أداءً

سرٌّ في جهادِكَ تمسُّ خلفَكَ أمةً
شرفٌ يمدُّ الحقُّ أنَّ غريمَها
هي بالطموحِ منيعةٌ عصماءُ
شاكِي السلاحِ، وأنها عَزَلَاءُ
عَمَى، ولا طاشتُ بها نَعْماءُ
وتزيْدُ في تجريبهم أخطاءُ
شُمُّ الأنوفِ، وقادةٌ أكفَاءُ
ظَلَمَ الشُّكوكِ، وأزهرٌ وضاءُ
فيها.. ويحدثُ لبنةٌ ببناءِ
وطنٍ أفاءَ ظلاله وأفاؤوا
ولمثلِ مَتَنِكَ كانتِ الأعباءُ
عند النفوسِ عزيمةٌ ومضاءُ
الأقوياءِ إزاءه ضِعْفَاءُ
داءُ البُغاةِ وإنما لَدَوَاءُ
إنَّ المَباحِ ذِمَّارُهم رُحَمَاءُ
للبغِي: أينَ الطعنةُ النَّجلاءُ
في الناسِ تلكَ الحيَّةُ الرقطاءُ

سُرٌّ فِي جِهَادِكَ تَمَسُّ خَلْفَكَ أُمَّةٌ
شَرَفٌ يُمَدُّ الْحَقُّ أَنَّ غَرِيْمَهَا
عَرَكْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ لَمْ تَبْطُشْ بِهَا
تَرْمِي فَتَدْفَعُ بِالرُّمَاهِ إِصَابَةٌ
وَاسْتَكْمَلْتَ عُدَدَ الْجِهَادِ، فَذَاذَةٌ
فِي كُلِّ يَوْمٍ أَبْلَجٌ يَنْفِي بِهَا
يَجْتَثُّ مِنْ دَعْلِ الْقَدِيمِ مُشَدَّبٌ
وَجَزَاهُمْ خَيْرًا جَزَوْهُ بِمِثْلِهِ
حَتَّى انْتَهَتْ لَكَ فَاضْطَلَعَتْ بِعَبْئِهَا
وَلِثَلِ نَفْسِكَ مَا تُفَلُّ بِمِثْلِهِ
فَاصْمُدْ فَحَقُّكَ قُوَّةٌ مَرهُونَةٌ
وَانْفُذْ بِطَعْتِكَ الصَّمِيمَةَ إِنَّهَا
فَلَقَدْ تَعَجَّبَ مُسْتَبِيحٌ غَاصِبٌ
وَلَقَدْ تَسَاءَلَ مَقْتَلٌ مُتَكَشِّفٌ
وَلَقَدْ تَشَكَّتْ مِنْ هَوَانٍ لَدِيغِهَا

أزعيماً ((مصر)) متى تُردُّ إنطاقها
مكبوتة كالنارِ أعلتْ وَقَدَهَا
سبعونَ عاماً و ((الكِنانة)) تَغْتَلِي
و تُرابُة الوادي تَكُونُ وحوها
والذُّلُّ يَعْتَصِرُ النفوسَ جِرَائِهِ
وعلى العيونِ مِنَ المَغَاظَةِ جَمْرَةٌ
وثرى دنشوايِ الخَضِيبُ تصوبُهُ
وصحائفُ التاريخِ أَفسَدَ زهوها
كقوائمِ الطاووسِ حينَ تروَعُهُ
وكانَ مِنطَقَةَ ((القنالِ)) تلوَّثتْ
وكانَ مَغْرِرَ كُلِّ رِجْلِ مِنْهُمُ
تَنطِقُ وتَفصَحُ نِقْمَةً خرساءُ
وَسَطَ الييوتِ مُصَرَّةً نكباءُ
والنيلُ يَشخَبُ والجموعُ تُسَاءُ^(١)
مرعوبةً تتجاوبُ الأصداءُ
وكانَ حَشْرَجَةَ الصدورِ رُغَاءُ^(٢)
وعلى القلوبِ مِنَ الهوانِ غُثَاءُ^(٣)
بالذكرياتِ غَمَامَةٌ سوداءُ
ماعاثَ في جَنابَتِها الدُّخْلَاءُ
يَغْدو زُقاءً ذلِكَ الخَيْلَاءُ^(٤)
بالواغِلينَ، جَرِيمَةٌ شنعاءُ
صوتٌ يَصيحُ متى يتمُّ جَلَاءُ؟

(١) يشخب بضم الخاء وفتححه: يسيل.

(٢) الجران هو في الأصل مقدم العنق من البعير.. ثم استعير للأحمال والأثقال كما هو المقصود هنا
لدلالة الأصل عليه إذ كان العنق ومقدمه مركزي الثقل في البدن.. والرغاء صوت الناقة والجمل.

(٣) المغاظة: بمعنى الاغتيال. و ((الغناء)): هو ما يخالط زبد السيل من زبد الشجر البالي.

(٤) الزقاء: الصباح.

سَتَّ الْجِهَاتِ لِحَصْمِكَ الْبَغْضَاءُ
 كَفُّ الْغُرَاةِ، وَمَا أَفَادَ بِلَاءُ
 وَمِنَ الذُّحُولِ كَتِيبَةُ شَهَابٍ^(١)
 بِالْمَغْرِيَّاتِ، وَلَا يُخْنِكُ دَهَاءُ
 حَذِرُ الْجَنَانِ، وَكَائِدُ مَشَاءُ
 وَشَأَى الذَّنَابِ بِمَا تُسَاسُ الشَّاءُ
 بِمَسْوُوحِهِ مَتْرَهَبٌ بِكَّاءُ
 وَعِمَادُ مَا تَبْنِي الشُّعُوبُ إِبَاءُ
 مِنْ دُونِهِ، أَوْ أَنْ يَقُومَ بِنَاءُ
 فَلَكُ لَهَا، أَوْ أَنْ تَطُولَ سَمَاءُ
 مَا لَمْ ((يَعْمَدُ)) عِنْدَهُ الزُّعْمَاءُ

خَطَرٌ، وَفِي عَفْوَاتِهِ إِغْوَاءُ^(٢)
 ذُعْرًا، وَأَنْذَرَ بِالْحِمَامِ فُضَاءُ
 وَتَلَقَّقَتْهُ غَابَةُ شَجْرَاءُ
 فِيهِ حَيَاةٌ تُخْتَشَى وَذِمَاءُ

سِرٌّ فِي جِهَادِكَ تَلَقَّ حَوْلَكَ تَرْتَمِي
 هِيَ خَيْرٌ مَا أَسَدَى الطُّغَاةُ وَأَسَلَفَتْ
 وَمِنَ الصُّدُورِ الْمَوْغِرَاتِ ذَخِيرَةٌ
 وَاشْدُدْ جَنَانَكَ لَا يَنْلِكَ مُثَبِّطٌ
 وَاحْذَرُ: فَمَلَأُ ثِيَابِ خَصْمِكَ غَادِرٌ
 بَزَّ الثُّعَالِبِ فِي اقْتِنَاصِ أَحْيَدِهَا
 مَتَمَرٌ يَغْشَى الضُّعَافَ كَأَنَّهُ
 يَسْتَلُّ مِنْ قَعْرِ النُّفُوسِ إِبَاءَهَا
 وَيُشِيعُ فِيهَا الْيَأْسَ أَنْ تَعْلُو يَدُ
 أَوْ أَنْ يَدُورَ بغيرِ مَا يُوحِي بِهِ
 أَوْ أَنْ تَمَخَّضَ عَنْ زَعِيمِ بَطْنِهَا

((شَرُّ الْبُرَاةِ)) قَنَصَتْ، فِي يَقْظَاتِهِ
 يَأْتِي الْحِمَامَةَ وَكَرَهَا إِنْ أَحْلَدَتْ
 وَاسْتَمَّتْهُ شَرُّ الظُّرُوفِ وَقَدْ هَفَا
 فَتَوَقَّ أَنْ تُرْخِي يَدَيْكَ فَلَمْ تَنْزَلْ

^(١) الذحول: الثارات والأحقاد.

^(٢) شر البراة: يراد به هنا بريطانيا.

أبثت كُغوبَكَ تَغْلٍ تَحْتَكِ سَاعَةً
وَتَمَلَّ بِالْبُرْحَاءِ تَحْمَدُ غِبَّهَا
ما أهونَ السَّرَاءِ إنْ لم تَغْشَها
شرفُ السِّيَاسَةِ أنْ تَخوضَ غِمَارَها
لو لم يكنْ عَقْبِي نضالٍ مُناضِلِ
رمضاء، ثَمَّةَ تبرُّدِ الرَّمضاءِ
وَتُمَدِّمِنَ أنفاسِكَ الصُّعداءِ
وَتُزَكُّ طُهْرَ تَنَاجِها الضَّرَّاءِ
مُستبَسِّلاً، وكذلكِ الهِجَاءِ
إمّا، وإمّا.. لم يكنْ زُعماءِ

سَبْحانَ آلاءِ الشُّعوبِ فإِنَّها
واللهِ في هِمِّ الرِّجالِ، وإنْ رمى
المُحكِّمِمو أسِرِ الشُّعوبِ تَبَدَّلَتْ
ناموا على الغَبَقِ اللذيذِ وأصبحوا
وإذا العبيدُ النَّائمونَ على العصا
وإذا وخيزُ الشوكِ يفرُّشُ مَلعباً
وإذا بِحُكْمِ الأخرقينَ كما انبرتْ
لَتُقَلِّبُ الأيَّامَ كيفَ تشاءُ
- رَجَمَ الظُّنونِ - وشعوذُ الجهلاءِ
دُولُ بهم، فإذا هُمُ الأَسراءِ
فإذا الصَّبوحُ مدامعُ ودماءِ
ناهُونَ في أوطانِهِمُ أمراءِ^(١)
فرشَتُهُ أمْسِ حديقَةُ غَناءِ
حمقاءُ تَنقُضُ غَزَلها خرقاءِ

يا وفدَ ((مصر)) رأيتَ كيفَ تحوّلتْ
لِنَقِيضِها الأَسماءُ والأَشياءُ؟

^(١) أمراء: جمع أمر.

أرأيت كيف الظلم أثبت صورة
نزل ((السراة)) على الصعاليك عالة
عشرون مليوناً عريقاً مجدهم
منهم وإن سلخت جلود نسايتهم
وبهم وإن فجرت عروقهم دماً
ومن الجياع وإن خوت أمعاؤهم
ومن البلاد وإن تشرّد أهلها
ومن الشباب بمصر رغم أنوفهم
وكذلكم يجزي الحليف حليفه!
ندُّ يعاهد نذّه! ووراءه
فإذا تملل قيل بثست شيمة
رُحماك تاريخ الشعوب تحدنا

سِرُّ في جهادك علّ جذوة قابس
ولعلّ قافلة تسير القهقري
ولعلّ مضطجع النيام تهزّه
من ((طور سينا)) تقبس الصحراء
فيها يُبدل سيرها حداء
كف الصباح فيحسر الإعفاء

ولعلَّ أهلَ الكهفِ يُفرجُ عنهمُ
 أزعيمةَ ((مصرَ)) تَلَفَّتْ لِكَ جيرةُ
 تستأقها كفَ الخطوبِ كأنها
 حُسرَتْ عن المرعى وراحت ترتعي
 واجتأحها حبُّ السلامةِ ذلَّةً
 تتدافعُ الشهواتُ بينَ عصايةِ
 فإذا هم يقظُ به أحياءُ^(١)
 رثاءُ، بادِ بؤسها، عجفاءُ
 نَعَمُّ يُراحُ بسرِّجها ويُجاءُ
 منها الخطوبُ وتسمُنُ الأرزاءُ
 ومن السلامةِ للشعوبِ وباءُ
 وعصايةِ، وتجادِبُ الأهواءُ

أزعيمةَ ((مصرَ)) وقد يُنيمُ على الأذى
 ومن القساوةِ في العتابِ مودَّةُ
 وكذا الشعوبُ يمدُّ في نزواتها
 لزمتْ جموعُ ((الرافدين)) جُحورَها
 وتبنَّتِ الشكوى، فكلُّ سلاحِها
 تلكَ ((العواصمُ)) كانَ سترٌ تنقي
 واليومَ وهي على العراءِ كأنها
 كانتْ على عهدِ ((البداةِ)) جنائناً
 يتفياً المتحكِّمونَ ظلَّالها
 حمدٌ، ويُغري بالثُمولِ ثناءُ
 ومن الثناءِ خديعةٌ ورياءُ
 ملكٌ، ويُنعشُ ذُها إغراءُ
 مثلَ الأرامِلِ صَمَّهَنَّ خِباءُ
 عندَ التصادمِ آهةٌ حرَّاءُ
 حُزِرَ العيونِ بهِ وكانَ غطاءُ
 بينَ العوالمِ سَواةٌ نكراءُ
 واليومَ وهي بُقيعةٌ جرداءُ
 والأجنبيُّ.. وأهلها فقراءُ

^(١) يقظ: مصدر يراد به الجمع أي إيقاظ

وتروح تستسقي الغمام ظوامي
 وبحمرة ((الدستور)) تشقى أمة
 أخذ ((العيذ)) الموثقون بحبله
 وكان ((نصفاً)) زبدة موعة
 في حين يُغرق آخرين الماء
 وعليه يبرد معشر سُعداء
 وانسل منه عبيده الطلقاء
 منه، و((نصفاً)) صخرة صماء

لم يبق شيء يستفز مساحاً
 زعم المبرأ حالها أن قد مشى
 كذباً؛ فعند المشرقين نظائر
 أمم غزا المستعمرون ديارها
 شرعت لها بدع الضلال وعبدت
 وتضافر الإقطاع ينخر صلبها
 وتعددت فيها المذاهب ضلة
 وبحالك من ليها كانت يد
 وتروح تمسح كل موطن علة
 لا هم جنبني الضلال: أمة
 لم تبل هذي الأمة السمحاء
 فيها السقام، وأعضلت أدواء
 مما تحس، وعندة نظراء
 ونفوسها، وعتوا بها ما شاؤوا
 سبل الحنا، واستحدثت الزعماء
 والجهل، والإدقاع والإثراء
 وتفرقت شيعاً بها الآراء
 تمتد من تاريخها بيضاء
 حتى يحل محلها الإبراء
 عقر البطون؟! وأمة عشراء^(١)

^(١) عشراء أي ولود.

مُلُّ المَقَامِ ((زَعِيمَ مِصْرَ)) بِمِوْطِنِ
أَصْفَى، فَلَا عَوْدَ وَلَا إِبْدَاءَ
وَهفَا: فَخَيْلُ الحَادِثَاتِ تَدْوِسُهُ
بَيْنِ اثْنَيْنِ! فَسَاسَةٌ قَدْ أُوثِقُوا
و ((مُحَايِدُونَ)) يُفَاخِرُونَ بِأَنَّهُمْ
هَوُوا السَّلَامَةَ حَيْثُ كُلُّ عَشِيرِهِمْ
و ((مَنَاوِشُونَ)) يُبَادِلُونَ خِصْمَهُمْ
و ((مَهْدَبُونَ)) خُصُومَةً وَطَرِيقَةً!!
يَدْرُونَ مِنْ مَعْنَى ((السِّيَاسَةِ)) أَنَّهُمْ
مُتَسَاخِحُونَ يُمِيلُهُمْ تَرَفُ الصُّبَا!

صَافِي بِهِ سُرَّاقَهُ الخُفْرَاءُ
وَخَوَى، فَلَا دَلِجٌ وَلَا إِسْرَاءٌ^(١)
وَتَدْوِسُ كُلَّ بَطِيئَةٍ عَجَلَاءُ
بِالْأَجْنَبِيِّ، وَسَاسَةٌ جُنْبَاءُ
عَمَّا يَجِيقُ بِأَهْلِهِمْ غُرْبَاءُ
صَرَعَى، وَكُلُّ رَفَاقِهِمْ أَنْضَاءٌ^(٢)
غَزَلَاءُ، فَلَا عَنَتٌ وَلَا إِيْدَاءُ
مَرِنُونَ فِي أَسْلُوبِهِمْ ظُرْفَاءُ!
كَأَسُّ بِهَا يَتَقَارَعُ النُّدْمَاءُ
وَتُشِيعُ فِيهِمْ رِخْوَهَا النِّعْمَاءُ

و ((مُحَدَّرُونَ)) يُسَهِّلُونَ مَهْمَةَ الجِرَاحِ سَاعَةً تُبْتَرُ الأَعْضَاءُ
و ((مُنْفَسُونَ)) كَأَنَّهُمْ صَمَامَةٌ
يَنْفِي بِهَا ضَغْطَ البُّخَارِ المَاءِ
طَوْرًا عَلَى المُسْتَعْمِرِينَ، وَتَارَةً
حَرْبٌ عَلَى أَعْدَائِهِمْ شِعْوَاءُ
يَبْغُونَ أَنْصَافَ الحُلُولِ، وَإِنَّهُمْ
أَدْرَى بِأَنَّ المِنْصَافَاتِ هُرَاءُ
مُتَصِيدُوا جَاهِ يَرُونَ طَرِيقَهُ
أَنْ يُجْمَعَ الدِّهْمَاءُ وَالوَجْهَاءُ

(١) أصفى: خلا. الدليج: السير من أول الليل، الإسرائ: السير عامة الليل.

(٢) أنضاء: جمع النضو وهو المهزول الضعيف.

فهم مع الغرثى صباحاً، غيرهم
يتعطفون على ((السواد)) وإنه
ويُصبصون لمدقع، ويمسُّهم
ويُثرثرون عن الإخاء وحوهم
في الليل ساعة تُسرج الأبهاء
منهم كما احتكت بهم ((حرباء))
صراً إذا مسَّ التراب حذاء
خول أسارى عندهم، وإماء

و ((مظاهرون)) على الطغاة وإنهم
يتراشقون على الرخاء كما رمت
فإذا تفجرت الجموع وأذنت
نهضوا لتفريق الصفوف، وأقسموا
ثم ارتقوا أدرجها فإذا بهم
شُرط لهم إن صرحت هيجاء^(١)
بالورد أتراباً لها غيداء
بالفجر تلك الليلة الطخياء
أن لا يمسَّ الحاكمين بلاء
رغم العبيد!! السادة الوزراء

و ((مثقفون)) ثناهم عن شعبهم
أعمتهم عن كل قُصد شهوة
زوت ((الشباب)) عن البلاد مطامع
حتى من الألم الحبيس تصوحت
بس الضلوع: فلا الرماح تقصفت
بيع يدرّ عليهم وشراء
ولقد تحسَّ طريقها عمياء
مجدومة، ومنافع حساء
جنباتهم، وتعرضت السياء^(٢)
فيها، ولا عصفت بها الشحناء

^(١) صرحت: ظهرت.

^(٢) تصوحت: خلت. السياء: الهيئة والعلامة.

واستسلمَ ((الشعراءُ)) إلا عُصْبَةً
واستأثرَ ((الفنانُ)) يرسمُ ((بطَّةً))
وتنافسَ ((الفُقهاءُ)) أيُّ منهمُ
تُسقى الحميمَ، وأخلدَ ((الأدباءُ))
حَسَناءَ تمسحُ ريشها حسناء
عند الصلاة الضارعُ البكاءُ

وتغيبتُ بينَ السُّجونِ ((عُصارَةٌ))
غطتُ على فقرِ ((الرجالِ)) كما ارتمت
ومشتُ على البلدِ المُلحِ نساءً
ومَضَوْا على النهجِ السويِّ وإنه
وتحمَّلوا ديةَ الصُّمودِ، وإنما
حَبَسُوا ((الضمايرُ)) أنْ تُلاثَ، كما أبت
وتنكَّروا للحاكمينَ فهاهمُ
هي في عُيونِ مُسلطٍ أقداءُ
في الفقرِ تُزهي ((واحةً)) خضراءُ
من رُوحهمُ وتساقطتْ أنداءُ
في ((الرافدينِ)) لكربةٌ وعناءُ
زُبِرَ الحديدِ يجرُّه السجناءُ^(١)
أكلَ الثُّديَّ على الطَّوى عذراءُ
أكلُ لسوطِ عَذابهمُ وغذاءُ

ولقد تروَعُكَ، حينَ تنظرُ من ((علِّ))
الموتُ يكمنُ عندها وتسُدُّها
فمُكرِّشُ نُفجِ الحُضينِ كمُقربِ،
فيها لأسفلَ، هُوَّةُ جوفاءُ
خلَّلَ الرمادِ ((الثورةُ)) الحمراءُ
بادي الوحامِ كأنه ((النفساءُ))^(٢)

^(١) الزبر: جمع زبرة وهي القطعة من الحديد.

^(٢) نفج الحُضين: عظيم الأرداف. المقرب: المرأة التي قرب ولادها.

وَمُصْعَلِكُ لِصْقِ الْهَوَانِ كَأَنَّا
وَشَوَاحِبُ ضُنُكِ الْعِظَامِ خَدُودُهَا
وَلَوْاهِبُ هُمُرِ الْخُدُودِ كَأَنَّا
وَمُكَافِئُونَ عَلَى الْجَرَائِمِ خَيْرَ مَا
وَمَزَامِلُو قَعْرِ السُّجُونِ كِرَامَةٌ
قَدَفْتُهُ مِنْ أَحْشَائِهَا الْغِبْرَاءُ^(١)
وَكَأَنَّهُنَّ بِمَا نُزِفْنَ خَوَاءُ^(٢)
فِيهِنَّ مَنْ شَرِبَ الدَّمَاءَ حَيَاءُ
يُجْزَى الْكَرِيمُ! لِأَنَّهُمْ قُرْبَاءُ
وَيُعَدُّبُونَ لِأَنَّهُمْ كُرْمَاءُ

بغداد، عام ١٩٥٠

^(١) لصق الهوان: أي ملازم الهوان.

^(٢) الضنك: جمع ضنيك وهو الضيق الدقيق.

الفهرست

رقم الصفحة	الموضوع
٧	ستالينغراد.....
١٧	يوم الجيش الأحمر.....
١٩	عالم الغد.....
٥٩	تونس.....
٦٩	أمم تجد ونلعب.....
٧٧	نشيد العودة.....
٨٣	إلى الرصافي.....
٨٧	الأصيل في لبنان.....
٩١	أبو العلاء المعري.....
١٠١	أحييك طه.....
١٠٩	جمال الدين الأفغاني.....
١١٧	يافا الجميلة.....
١٢٣	ألقت مراسيها الخطوب.....
١٣٣	طرطرا.....
١٤٣	ذكرى وعد بلفور.....
١٥١	ذكرى أبو التمن.....
١٦٣	دجلة في الخريف.....
١٧١	الجيل الجديد.....
١٧٣	إلى الوفد الرياضي الإيراني.....

١٧٥	أرج الشباب.....
١٨١	إلى المناضلين.....
١٨٧	عمر فاخوري.....
١٩٣	أرشد العمري.....
١٩٤	ذات الحجاب.....
١٩٥	أندونيسيا المجاهدة.....
١٩٧	أخي إلياس.....
٢٠١	اليأس المنشود.....
٢٠٩	يابنت رسطاليس.....
٢١٩	عدنا وقوداً.....
٢٢٥	المقصورة.....
٢٤٧	عند الوداع (مخطوطة بيد الشاعر).....
٢٥١	مقطعات من لندن.....
٢٥٥	آمنت بالحسين.....
٢٦٣	ناغيت لبنان.....
٢٧٣	الشهيد قيس.....
٢٧٩	قف بأجدات الضحايا.....
٢٨٥	أخي جعفر.....
٢٩٧	يوم الشهيد.....
٣١٥	دم الشهيد.....
٣٢٥	ذكريات.....
٣٣١	عرت الخطوب.....
٣٣٧	ياثمر العار.....

٣٣٩ فلسطين والأندلس
٣٤١ فلسطين
٣٥١ أطل مكثا
٣٥٧ باريس
٣٧٢ أنيتا
٣٧٣ شهرزاد
٣٨٧ ذكريات
٣٩٥ فراق
٤٠١ وداع
٤٠٨ برم بالشباب
٤١١ هاشم الوتري
٤٢٥ إليها
٤٢٩ أطبق دجى
٤٣٥ حنين
٤٤١ سر في جهادك
٤٥٥ الفهرس

ملحق للباحثين

طبغات ديوان الجواهري

- ١- حلبة الأدب (أول مجموعة في العشرينات).
- ٢- طبعة ١٩٢٨.
- ٣- طبعة ١٩٣٥.
- ٤- طبعة ١٩٤٩.
- ٥- طبعة ١٩٥٠.
- ٦- طبعة ١٩٥٣.
- ٧- طبعة ١٩٥٧.
- ٨- طبعة ١٩٦٠.
- ٩- طبعة ١٩٦١.
- ١٠- بريد الغربية.
- ١١- طبعة ١٩٦٧.
- ١٢- طبعة ١٩٦٨.
- ١٣- طبعة ١٩٦٩.
- ١٤- خلجات ١٩٧١.
- ١٥- بريد العودة.
- ١٦- طبعة وزارة الثقافة والاعلام العراقية ١٩٧٣ - ١٩٨٠.
- ١٧- طبعت وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية ١٩٧٩ - ١٩٨٤.
- ١٨- طبعة دار ((العودة)) ١٩٨٢.
- ١٩- مختارات ((الجواهري في العيون من أشعاره)) - دار ((طلائع)) ١٩٨٦.

الجزء الثالث

القصيدة	المرجع وتاريخ النشر
ستالينغراد	جريدة "الرأي العام" العدد ٧٠١ في ٢١/٢/١٩٤٣، ٥ ج ١٢، ٢ ج ١٦، ١ ج ١٧، ٣ ج ١٨، ١ ج ١٩، ٢*.
يوم الجيش الأحمر	جريدة "الرأي العام" العدد ٧٠٣ في ٢٦/٢/١٩٤٣، ١٦ ج ١٧، ٣ ج ١٨، ٢ ج ٢.
عالم الغد	جريدة "الرأي العام" (نشرت قطعاً متلاحقة - الأولى في العدد ٨٤٢ في ١٩/١٠/١٩٤٣ والأخيرة في العدد ٩١٧ في ٢٢/١/١٩٤٤)، جريدة "الجمهورية" / الملحق الأسبوعي ابتداءً من العدد ٢٠٠٤ عام ١٩٧٤، ١٦ ج ١٨، ٧ ج ٤.
تونس	جريدة "الرأي العام" العدد ٧٣٣ في ٢٦/٥/١٩٤٣، ٤ ج ١ (كاملة)، ٩ ج ١٢، ١١، ٢ ج ١٦، (غير كاملة)، ١٦ ج ١٧، ٣ ج ١٨، ١ ج ٢.
أمم تجد ونلعب	جريدة "الرأي العام" العدد ٦٠٤ في ٧/٧/١٩٤٢ (قطعة منها)، العدد ١٠٠١ في ٦/٥/١٩٤٤ (كاملة)، ٤ ج ١، ٨ ج ١٣، ١ ج ١٦، ٢ ج ١٧، ٣ ج ١٨، ١ ج ١٩، ٢.
نشيد العودة	جريدة "الرأي العام" العدد ١٠٠٦ في ١٢/٥/١٩٤٤ بعنوان "١١ آيار ١٩٤٤ نشيد العودة"، ١٦ ج ١٧، ٣ ج ٢، ١٨ ج ٢.

إلى الرصافي	جريدة "الرأي العام" العدد ١٠٠٨ في ١٥/٥/١٩٤٤ والعدد ١٠١٩ في ٢٧/٥/١٩٤٤، ج٦، ج٣، ج٨، ج١١، ج١٦، ج٣، ج١٧، ج١٨، ج٢.
الأصيل في لبنان	١٩٤٤/٨/٢١، ج٥، ج٢، ج١٢، ج١، بعنوان "الأصيل في دجلة" ج١٦، ج٣، ج١٧، ج١٨، ج٢.
أبو العلاء المعري	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١١٢١ في ٥/١٠/١٩٤٤، ج٤، ج١، ج٧، ج٩، ج٢، ج١١، ج١٢، ج١٦، ج٣، ج١٧، ج١٨، ج٢، ج١٩.
أحييك طه	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١١٥٠ في ١٣/١١/١٩٤٤، ج٤، ج١، ج٩، ج٢، ج١١، ج١٢، ج١٦، ج٣، ج١٧، ج١٨، ج٢.
جمال الدين الأفغاني	جريدة ((الرأي العام)) العدد الخاص ١١٧٥ في ١٦/١٢/ ١٩٤٤، ج٤، ج١، ج٧، ج٩، ج٢، ج١١، ج١٣، ج٢، ج١٦، ج٣، ج١٧، ج٢، ج١٨، ج٢، ج١٩.
يافا الجميلة	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٢٢٨ في ١٦/٣/١٩٤٥، ج٤، ج١، ج١٦، ج٣، ج١٧، ج١٨، ج٢، ج١٩.
ألقت مراسيها الخطوب	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٢٧٧ في ١٧/٥/١٩٤٥، بعنوان ((يوم ٨ مايس أو الجيل الجديد))، ج١٤، ج١٦، ج٣، ج١٧، ج١٨، ج٣.
طرطرا	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٤٨٤ في ٢٤/٣/١٩٤٦، ج١٦، ج٣، ج١٧، ج٢، ج٨، ج٢، ج١٩.

ذكري وعد بلفور	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٣٧٢ في ١١/٤/١٩٤٥، ٤ج١٦،١ج١٧،٣ج١٨،٢ج١٩،٢.
ذكري أبو التمن	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٤٢٢ في ١٦/١/١٩٤٦، ٤ج١،٧،٩ج٢،٣ج١٦،٢ج١٧،٣ج١٨،٢ج١٩،٢.
دجلة في الخريف	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٤٢٤ في ٩/١/١٩٤٦، ٤ج١،٧،٩ج٢،٢ج١٦،١ج١٧،٣ج١٨،٢ج١٩،٢.
الجيل الجديد	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٤٥٥ في ١٧/٢/١٩٤٦، بعنوان ((يا أيها الجيل الجديد))، ١٦ج١٧،٣ج١٨،٤ج٢.
إلى الوفد الرياضي الإيراني	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٤٩١ في ٢/٤/١٩٤٦، ١٤ج١٦،٣ج١٧،١ج١٨،٢ج٢.
أرج الشباب	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٥٠١ في ١٤/٤/١٩٤٦، بعنوان ((إلى أشبال اليوم وأسود الغد))، ١٤ج١٦،٣ج١٧،٣.
إلى المناضلين	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٥١٧ في ٢/٥/١٩٤٦، ٥ج١٦،٢ج١٧،٣ج١٨،١ج١٩،٢ج٢.
عمر فاخوري	٤ج١٦،١ج١٧،٣ج١٨،٤ج١٩،٢ج٢.
أرشد العمري	١٦ج١٧،٣ج١٨،٤ج٢.
ذات الحجاب	مجلة ((عالم الغد)) العدد ١٧ في ١٥/١٠/١٩٤٦، ١٦ج٣، ١٧ج١٨،٣ج١٩،٢ج٢.

أندونيسيا المجاهدة	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٣٦ في ٦/٢/١٩٤٧، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٣، ١٨ ج ٢.
أخي الياس	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٥٢ في ٢٥/٢/١٩٤٧، ٥ ج ٢، ٩ ج ٢، ١٢ ج ١، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٣، ١٨ ج ٢، ١٩.
اليأس المنشود	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٥٣ في ١٧/٢/١٩٤٧ بعنوان ((اليأس المنشود أو فلسطين بين العرب والصهاينة)) (القسم الأول منها)، مجلة ((عالم الغد)) العددان ٢٣ و ٢٤ في تشرين الأول ١٩٤٧، ٥ ج ٢، ١٢ ج ١، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٣،
يابنت رسطاليس	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٦٤ في ٢٨/٤/١٩٤٧، ٥ ج ٢، ١٢ ج ١، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٢، ١٨ ج ٢.
عدنا وقوداً	٤ ج ١، ٧ ج ٩، ١٢ ج ١، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٢، ١٨ ج ٢، ١٩.
المقصورة	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٩١٠ في ١١/٨/١٩٤٨، ٦ ج ٣، ٨ ج ١، ١٢ ج ١، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٤، ١٨ ج ٢، ١٩.
عند الوداع	قطعة من المقصورة، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٤، ١٨ ج ٢.
مقطعات من لندن	١٦ ج ٣، ١٨ ج ٢، ١٩.
آمنت بالحسين	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٢٢٩ في ٣٠/١١/١٩٤٧، ٤ ج ١، ١٣ ج ٢، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٣، ١٨ ج ٢، ١٩.
ناغيت لبنانا	جريدة ((الرأي العام)) العدد ٢٣٢ في ٣/١٢/١٩٤٧، ٦ ج ٣، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٣، ١٨ ج ٢.

الشهيد قيس	جريدة ((الرأي العام)) في ٢٨/١/١٩٤٨، ج٢، ١٣ ج٢، ١٦ ج٣، ١٧ ج١، ١٨ ج٢.
قف بأحداث الضحايا	جريدة ((صدى الدستور)) العدد ٢٠ في ٢٠/٢/١٩٤٨، ١٦ ج٣، ١٧ ج٣، ١٨ ج٢.
أخي جعفر	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٨٣٦ في ١٥/٢/١٩٤٨، ٤ ج١، ٧ ج١، ٨ ج١، ١١ ج١، ١٢ ج١، ١٦ ج٣، ١٧ ج٤، ١٨ ج٢،
يوم الشهيد	جريدة ((الرأي العام)) العدد ١٨٧١ في ٢٨/٣/١٩٤٨، ٥ ج٢، ١٢ ج١، ١٦ ج٣، ١٧ ج٤، ١٨ ج٢، ١٩.
دم الشهيد	جريدة ((الرأي العام)) العدد الخاص بوثبة كانون ١٩٤٨، ١٦ ج٣، ١٧ ج٣، ١٨ ج٢.
ذكريات	جريدة ((الرأي العام)) العدد الخاص بمناسبة أربعين الشهيد جعفر الجواهري، ١٦ ج٣، ١٧ ج٣، ١٨ ج٢.
عرت الخطوب	جريدة ((الحضارة)) العدد ٦٤ في ٢٤/٧/١٩٤٨ بعنوان ((عرت الخطوب))، جريدة ((العصور)) العدد ٣٩ في ٢٤/٧/١٩٤٨، ١٦ ج٣، ١٧ ج٢، ١٨ ج٢، ١٩.
يا ثمر العار	جريدة ((الحضارة)) العدد ٦٥ في ٣١/٧/١٩٤٨، ١٦ ج٣، ١٨ ج٢.
فلسطين والأندلس	جريدة ((الحضارة)) العدد ٦٥ في ١٣/٧/١٩٤٨، ١٦ ج٣.
فلسطين	٤ ج١، ١٦ ج٣، ١٧ ج٢، ١٨ ج٢.
أطل مكنأ	٥ ج٢، ٩ ج٢، ١٣ ج٢، ١٦ ج٣، ١٧ ج٣، ١٨ ج٢، ١٩.

باريس	جريدة ((الحضارة)) عام ١٩٤٨ (قسم منها))، جريدة ((الثورة)) (كاملة) في الأعداد ١١١٩ في ١٩٧٢/٤/٢٠ و ١١٣٠ في ١٩٧٢/٥/٤ و ١١٣٦ في ١٩٧٢/٥/١٠. ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠.
أنيتا	٥ ج ٢، ٢ ج ١٦، ٣ ج ١٧، ٥ ج ١٨، ٢ ج ١٩.
شهرزاد	١٦ ج ١٧، ٣ ج ١٨، ٢ ج ١٩.
ذكريات	١٦ ج ١٧، ٣ ج ١٨، ٣ ج ١٩.
فراق	١٦ ج ١٧، ٣ ج ١٨، ٣ ج ١٩.
وداع	١٦ ج ١٧، ٣ ج ١٨، ٣ ج ١٩.
برم بالشباب	٥ ج ٢ بعنوان ((برمت))، ٨ ج ١، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٥، ١٨ ج ٣.
هاشم الوتري	٥ ج ٢ بعنوان ((إلى الدكتور الوتري))، ٧ بعنوان ((إيه عميد الدار))، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ١، ١٨ ج ٣، ١٩.
إليها	٥ ج ٢، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٣، ١٨ ج ٣.
أطبق دجى	٥ ج ٢، ٧ ج ٨، ١٠ ج ١١، ١٣ ج ٢، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ١، ١٨ ج ٣، ١٩.
حنين	٤ ج ١، ٩ ج ٢، ١٠ ج ١١، ١٣ ج ٢، ١٦ ج ٣، ١٧ ج ٢، ١٨ ج ٣.
سر في جهادك	جريدة ((العالم العربي)) العدد ٧١٥٧ في ١٩٥٠/١٢/٤، ٦ ج ٣، ١٣ ج ٢، ١٦ ج ٤، ١٧ ج ١، ١٨ ج ٣.

حييتُ سفحك عن بعد فحييني
مشى التبغدُ حتى في الدهاقين
للآن يعبقُ عطرُ في التلاحين
به الحضارة ثوباً وشي هارون
والملبس العقل أزياء المجانين
والمنفق اليوم يضدي بالثلاثين
والملمم الفن من هو أفانين
قرع التواقيس في عيد الشعانين

يا دجلة الخيرا أم البساتين
يا أم بغداد، في ظرف ومن غنج
يا أم تلك التي من "ألف ليلتها"
يا مستجم النواصي التي لبست
الغاسل الهم في ثغر، وفي حبب
والساحب الزق ياباه ويكرهه
والراهن السابري الخزي في قدح
والمسمع الدهر، والدنيا، وساكنها



وزارة الثقافة والسياحة والآثار العراقية
طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية
info@darculture.com
سعر النسخة : IQD 8000